



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

معهد الآثار



**الآثار الثابتة والمنقولة بإقليم توات
- دراسة أثرية وصفية أنموذجية -**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

إشراف الأستاذة:

أ.د.ة/ حنفي عائشة

من إعداد الطالب:

الأبيض محمد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د عزوق عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د.ة/ حنفي عائشة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مشرفا ومقررا
د/ بن بلة علي	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	ممتحنا
د/ بوتشيشة علي	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	ممتحنا
د/ بيدي محمد	أستاذ محاضر	جامعة بشار - طاهري محمد	ممتحنا
د/ بوزيد فؤاد	أستاذ محاضر	جامعة قالمة - 8 ماي 1945	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021- 2022م / 1443- 1444هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أشكر الله العزيز القدير الذي أنعم علي بالصحة والعافية
واستطعت بحوله وقوته أن أنجز هذا العمل ثم إلى
أستاذتي القديرة عائشة حنفي التي كانت لي سند وموجه
في كل صغيرة وكبيرة في هذا البحث كي يرى النور ،
وكذلك لا يفوتنا أن نشكر كل الأساتذة الكرام الذين تعلمنا
على أيديهم مبادئ الآثار كل باسمه ، وأدعو الله أن يرحم
من مات منهم وان يديم الصحة على الأحياء ، كما أتقدم
بالشكر لكل من كان لي عوناً في بحثي هذا وخاصة زميل
الدراسة وابن منطقة توات بحيدي عبد الله ، فجزى الله
الجميع عني خيراً والصلاة والسلام على حبيبنا محمد وعلى
آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

إهداء

إلى التي ربت وسهرت ونصحت ودعت أُمي الحبيبة حفظها
الله وأدام صحتها وعافيتها.

إلى الذي تعب وشقا لِنرتاح جاع لكي نأكل وسهر لكي ننام
أبي الغالي جازاه الله عنا كل خير وحفظه.

إلى التي كانت لي سند في حياتي ومعينا لي في كل شيء
زوجتي أسأل الله أن يحفظها من كل مكروه.

إلى أخي الغالي وأخواتي شموع حياتي وضوئها سترهم
الله وأبنائهم كل باسمه .

إلى كل أصدقائي وكل من ترك بصمة في حياتي.

إلى أستاذي المرحومين بن قرية صالح يوسف ولعرج عبد
العزیز رحمهما الله تعالى برحمته.

إلى الأستاذ المرحوم بإذن الله محمد بن سويسي جازاه الله
عنا كل خير .

قائمة المختصرات باللغة العربية

ص: صفحة

د-ت: بدون تاريخ

ج: جزء

ط: الطبعة

مج : مجلد

د.ط : دون طبع

د.م.ط : دون مكان طبع

مج : مجلد

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية

P: page

C.N.R.S : Centre national de la recherche scientifique

C.C.D.S : Centre culturel et de documentation saharienne

T.I.R.S : Travaux de l'institut de Recherche Saharienne

قائمة المصطلحات باللهجة المحلية

المصطلح باللهجة المحلية	المصطلح باللغة العربية
المنار	الباب
الرحبة	الفناء
الشضاض	محور الرحي
أنور	فرن
نعال	حذاء
الكرناف	هو الأجزاء العريضة من جريد النخيل
الفدام	وهو عبارة عن شبكة من الألياف تغطي الجزء العلوي من جذع النخلة
الحشف	تمر يابس
أفكر	قفل باب
ساروت	مفتاح
مسحة	رفش
زنبو	دقيق القمح
إيزار	رداء المرأة
مشار	زريبة الأغنام
كبال	خيزو
أقربيش	مدرسة قرآنية
قلوشة	إناء مصنوع من سعف النخيل يستخدم لحمل المياه
لدبش	هو كيس يصنع من ليف النخيل وهذا لكي تحمل عليه الأشياء الثقيلة
قدرة	هو إناء كبير يستخدم لطهي الطعام

مقدمة

مقدمة:

إن دراسة آثار أمة ما يقودنا إلى فهم الإنسان الذي أوجدها ، فالآثار هذا العلم الذي لا يعني بدراسة المخلفات المادية فقط ، وإنما يدرس النفس البشرية التي استطاعت ترك بصمتها وكتابة تاريخها بقصد أو دون قصد ، وبلادنا الحبيبة تزخر بموروث أثري وثقافي قل مثيله في العالم ، كيف لا وهي البلد القارة الذي تعاقبت عليه أعراق وحضارات ، وكان كذلك مطمعا للغزاة الطامعين ، فكل من مر على ترابه ترك أثرا شاهدا عليه ليكون دليلا عليه.

ولامتداد بلادنا الجغرافي، فقد تنوعت فيه الآثار بتنوع جغرافيتها وساكنيها وكذلك لاختلاف مناخها وكذا لتنوع المراحل التاريخية التي عرفت فيها ، ومن بين المناطق التي عرفت تنوعا في آثارها المعمارية وفي صناعاتها التقليدية وفي عاداتها وتقاليدها منطقة توات ، ولم يأت لها هذا إلا بفضل موقعها الإستراتيجي المتوسط لأهم طريق كان يربط حواضر المغرب في الشمال كتلمسان ومراكش وفاس ، بحواضر الجنوب في السودان الغربي كتمبكتو وكيدال وغاوا ، فهذا الطريق جلب الثروة والحضارة معا ، وأدى إلى انفتاح الإقليم على العالم الخارجي فتأثر بما حوله من حضارات مختلفة، وكان الإقليم كذلك محط أعين الدول القوية التي قامت على تخومه فتعرض لغزو العلويين والسعديين وبنو مرين قبلهم ، كذلك تعرض في وقت ما لحملة من سلطان مالي كنان موسى ، وهذا كله لأهمية الإقليم تجاريا وحضاريا .

وقد عرف هذا الإقليم الاستيطان البشري مبكرا لملائمة مناخه للسكن ، وأيضا موقعها البعيد عن الحروب والنزاعات التي عرفها شمال المغرب ، جعلها قبلة للفارين من هاته النزاعات ، لهذا شهد الإقليم تنوعا عرقيا وبشريا ساهم في تنوع ثقافته وفنونه .

كما تعتبر منطقة توات متحفا على الهواء الطلق بما تحويه من معالم أثرية ، تميزه عن غيره من المناطق في العالم ، وهاته المعالم شيدت في فترات تاريخية مختلفة كانت شاهدة على أهميته .

ومن بين أهم أسباب النهضة المعمارية التي عرفها الإقليم هو التطور والانتعاش الاقتصادي منذ بدايات القرن (11هـ / 17م - 13هـ / 19م) ، حيث نشطت حركة المبادلات التجارية وازدهرت حركة القوافل الزاهية والقادمة من الشمال إلى الجنوب والعكس ، وتؤيد ذلك الكتابات التاريخية التي تكلمت عن هاته الحركة الاقتصادية وتمدح أهل توات وتصف كرمهم ومسالمتهم ومن بين الكتابات التي تكلمت على ذلك عبد الرحمان بن خلدون ، ومحمد بن عبد الله بن بطوطة ، وحسن الوزان القشتالي ، وغيرهم من الرحالة والمؤرخين .

وقد انعكس التطور الاقتصادي على حركة التعمير بالمنطقة فأُسست الكثير من القصور على طول الخط التجاري ، فأُسس البعض منها كمساكن والبعض الآخر كمحطات استراحة وأخرى كمخازن للطعام ، كما قام أهل المنطقة بتحسينها لحمايتها من قطاع الطرق ، فهاته القصور تعتبر كنزا معماريا وحضاريا تتميز به هاته المنطقة .

و إلى جانب العمارة نلاحظ موروثا حضاريا مهما متمثلا في الخزائن والمخطوطات المنتشرة عبر ترابها ، والتي تحتاج إلى نفص الغبار عليها وإخراجها للنور وهذا للحفاظ عليها من الاندثار والإهمال الذي يطالها ، ومنطقة توات كذلك مشهورة بصناعاتها التقليدية التي تتميز بتنوعها ، وهذا بتنوع الأعراق التي تعيش على أرضها .

فهاته المنطقة العزيزة من بلادنا الغالية تحتاج إلى الكثير من الدراسات لعلها توفي لها حقها ، بما تحويه من معالم وفنون وعادات وتقاليد ، لهذا فقد كان من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ليكون مساهمة مني في التعريف بالموروث المعماري والفني لهذا الإقليم ، لأننا تناولت في مذكرة الماجستير جانبا من جوانب العمران في المنطقة وهو العمران الدفاعي للقصور الصحراوية ، وأردنا أن نواصل البحث على هاته المنطقة ، وقد دفعتنا قلة الدراسات مقارنة بشساعة المنطقة وتنوعها كما قلنا سابقا ، وقد شجعتنا الأستاذة المشرفة جزاها الله عني كل خير على اختيار هذا الموضوع رغم صعوبته وتشعبه فكان في البداية موضوعنا على الجانب المعماري فقط ، إلا أننا الأستاذة المشرفة قد طلبت منا إضافة الجانب الفني المتمثل في دراسة المخطوط والصناعات التطبيقية .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي ، وهذا من خلال العينات سواءا تعلق الأمر بالعمارة أو بالمخطوط أو القطع الأثرية المختلفة ، كما اعتمدنا على المنهج المقارن والتحليلي من حيث مقارنة العينات في المنطقة بما حولها من مناطق ، حيث أن الكثير من تقنيات البناء والصناعة التقليدية تتشابه فيما بينها ، كما كان المنهج التاريخي حاضرا وهذا من خلال استقراء الماضي وفهمه ، فبدون الجانب التاريخي لا نستطيع أن ندرس الآثار وأن نضعها في صياغها الحضاري .

وكغيره من البحوث الأكاديمية قد واجهتنا صعوبات عديدة والتي تمثلت أساسا في نقص المصادر التي تكلمت عن المنطقة ، وخاصة الجانب المعماري إلا بعض المصادر هنا وهناك ، واكتفينا في الكثير من الأحيان بالروايات الشفوية ، ومن بين المشاكل أيضا قلة تجاوب أصحاب الصنائع معنا وخاصة أصحاب الخزائن وهذا الخوف مبرر ، بما حدث لهم سابقا من سرقات لمخطوطاتهم .

ونهدف من خلال هاته الدراسة التي حاولنا فيها الإلمام بالفنون المعمارية والتطبيقية لمنطقة توات ، إلى التعريف بالخصائص المميزة للفن المعماري بمختلف أنواعه الديني والعسكري والمدني ، بالإضافة إلى التطرق للفنون التطبيقية التي ميزت هاته المنطقة والتي أثرت وتأثرت بما حولها من المناطق ، فدراستنا محاولة إلى حصر التراث المادي لهاته المنطقة الكبيرة المترامية الأطراف ، وهي تحتاج للعديد من الدراسات المماثلة لكي نستطيع إعطاؤها حقها بما تحويه من معالم أثرية ومعمارية ، وموروث فني متنوع .

ولكبر الموضوع وتشعبه واتساع المنطقة الجغرافية طرحنا إشكالية رئيسية تمثلت في :

ما هي أنواع المعالم الأثرية بمنطقة توات ؟ وفيما تتمثل أهم الحرف والصناعات في المنطقة ؟

بالإضافة إلى هاته الإشكالية طرحنا أسئلة فرعية والتي تمثلت في :

ما هي المراحل التاريخية التي عرفها الإقليم والتركيبية البشرية التي استقرت فيه ؟

كيف استطاع الإنسان التواري إيجاد هذه المعالم والسكن في هاته البيئة الصعبة ؟

ما هي مميزات صناعة المخطوط بالمنطقة ؟

هل كان لوقوع الإقليم في طريق التجارة دور في تنوع الصناعات والحرف في المنطقة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاءت هاته الأطروحة تحت عنوان " الآثار الثابتة والمنقولة بإقليم توات - دراسة أثرية أنموذجية - "، لتجيب عليها وتضع وصفا وتحليلا لأهم المعالم الأثرية وكذلك أهم الحرف والصناعات لذلك قمنا بتقسيم بحثنا إلى بابين رئيسيين بالإضافة إلى فصل تمهيدي:

الفصل التمهيدي تطرقنا فيه إلى الجانب الجغرافي والتاريخي للمنطقة

الباب الأول والمعنون بـ الآثار الثابتة حيث هذا الباب معني بالعمارة في الأساس وقد قسمناه إلى أربعة فصول :

الفصل الأول العمارة الدينية : لقد خصصنا الفصل الأول لدراسة المعالم الدينية في الأساس والتي تتقدمها المساجد ، حيث تكلمنا عن خصائصها وتخطيطها وأصل عمارتها وكذا العناصر المعمارية المكونة لها وقد أخذنا مثالا عنها يتمثل في مسجد تماسخت ، ثم تكلمنا عن الزوايا ونشأتها وانتشارها في المنطقة ، وأخذنا نموذجا من زوايا المنطقة لتكون مثالا عن غيرها من الزوايا وهي زاوية الشيخ أحمد الرقاد بقصر زاوية كنتة ، كما تناولنا في هذا الفصل عمارة الأضرحة في المنطقة وأخذنا نموذجا أيضا عنها والمتمثل في ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان في قصر مهدية .

الفصل الثاني العمارة المدنية والعسكرية : حيث تكلمنا فيه عن تعريف القصر والمدينة والفرق بينهما ، كما تحدثنا أيضا عن أنماط القصور بالمنطقة وخصائصها العمرانية من بينها الجانب الدفاعي لها ، وكذلك تطرقنا إلى المكونات المعمارية للقصور كالأزقة والشوارع والمنازل ، وقد أخذنا نموذجا من أحد قصور المنطقة والمتمثل في قصر تماسخت.

الفصل الثالث نظام الري بالمنطقة: لقد حصصنا هذا الفصل للحديث عن أهم نظام للري في الصحراء وهو الفقارة ، فتناولنا فيه تعريف هاته التقنية وتاريخ دخولها للمنطقة ، وكذلك طريقة إنجازها وتقسيم المياه بين الأفراد ، وقد أدرجنا أحد فقرات المنطقة والمسماة "فقارة بن الطاهر" بقصر تيطاوين الشرفاء لتكون مثالا لهاته التقنية .

الفصل الرابع مواد وبناء تقنيات البناء: حيث في هذا الفصل عرفنا فيه المواد المستخدمة في المنطقة وتقنيات استخدامها في البناء.

الباب الثاني: الآثار المنقولة وهي تتمثل في الفنون التطبيقية ولقد قسمت لفصلين :

الفصل الأول الخزائن والمخطوطات: وفي هذا الفصل تكلمنا عن المخطوط وتطور صناعته ومواد صنعه، ووضعنا كذلك قائمة بأهم الخزائن في المنطقة وأهم المخطوطات، وقد أخذنا مثالا عن خزائن المنطقة والمتمثل في خزانة سيدي أحمد ديدي بقصر تمنطيط .

الفصل الثاني الحرف والصناعات: لقد تناولنا في هذا الفصل تعريف الحرف وأنواعها والفرق بين الحرف والصنائع وكذلك عن أهم الحرف في المنطقة والمواد التي استخدمت، وكذلك الأدوات التي صنعها السكان.

وقد اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع ومذكرات سابقة ونذكر من أهمها :

1/المصادر المخطوطة :

مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام للعلامة محمد بن عبد الكريم البكراوي ، والذي عاش في هذا القرن وقد وضع لنا وصفا لإقليم توات وتاريخه، وعن ما يسكنه من قبائل زناتة والعرب والزنوج ، وكذلك يتكلم عن هجرة القبائل و استيطانها كما قدم لنا المخطوط معلومات عن العمارة والفنون في المنطقة .

مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توت لمولاي احمد الطاهري الادريسي وقد ساهم الشيخ الطاهري بالحفاظ على الموروث الثقافي لمنطقة توات،وعالج في مخطوطه

قضايا كبيرة كان لها الأثر الكبير في الحفاظ على الموروث الثقافي في منطقة توات ،وتكلم الشيخ في مخطوطه على حضارة الإقليم وتركيبته البشرية .

2/المصادر المطبوعة:

من بين أهم المصادر المطبوعة التي تكلمت على منطقة توات نجد

كتاب العبر لعبد الرحمان ابن خلدون.

تحفة النظر وعجائب الأمصار لابن بطوطة الذي قدم ملاحظات عديدة أثناء عبوره منطقة توات متجها إلى بلاد السودان .

كتاب القول البسيط لابن بابا حيدة حيث يعتبر من بين أهم المصادر من خلال المعلومات التي قدمها عن تاريخ المنطقة.

كتاب لسان العرب لابن منظور واستقينا منه مصطلحات العمارة والفنون واصلها في اللغة العربية .

3/المراجع:

من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر:

كتاب فرج محمد فرج وعنوانه إقليم توات خلال القرنين 18 و19م حيث يعتبر مرجعا هاما يتكلم فيه عن تاريخ المنطقة واهم الفنون فيها .

كتاب توات والازواد بجزأيه حيث أفادني كثيرا من خلال المعلومات القيمة ،وتكلمه عن كل الجوانب الحياتية للإقليم.

كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات للشيخ محمد باي بلعالم حيث يعطينا وصفا كاملا للإقليم ،وترجمة لكثير من العلماء كما يعطينا معلومات كثيرة حول تاريخ المنطقة وأصل تسمية قصورها .

4/الدراسات السابقة :

لقد اعتمدنا على مجموعة من الدراسات السابقة والتي انطلقنا منها ،ومن بين أهم الأعمال نذكر:

العمارة الدينية بتمنيط رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية لعهد بن سويسى ، وقد أفادتنا كثيرا في معرفة خصائص العمران الديني بالمنطقة .

قصر ملوكة رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية لعليق ريحة ، حيث تناولت الباحثة العمران المدني والعسكري لمنطقة توات.

الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات رسالة دكتراة في الثقافة والفنون الشعبية ،لبلاح ميلود، حيث استفدنا من دراسته للحرف والصناعات بالمنطقة .

أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات رسالة دكتراة في الفنون الشعبية ، لعز الدين جعفري حيث عرفنا من خلالها عادات وتقاليد السكان.

ورغم هاته الدراسات العديدة للموروث التاريخي والثقافي لمنطقة توات إلا أنها تبقى قليلة لإيفاء هذا القطر حقه من الاهتمام ، فهو يحتاج للعديد من الأبحاث لاتساع النطاق الجغرافي أولا ولثرائه الحضاري ثانيا ، لذلك جاءت دراستنا مكملة لما سبق ومحاولة للتعريف بما تحويه هذه المنطقة من معالم أثرية بأنواعها ، وحرف وصناعات مختلفة ، وهذا لإبراز أهميتها ودق ناقوس الخطر لما يتعرض له تراث توات العريق من إهمال أدى إلى اندثار العديد من آثارها وحرفها وفنونها ، وكذلك لتطوير المناطق الأثرية والحرف والصناعات التي تزخر بها المنطقة، لتأهيلها كي تصبح قطبا سياحيا بامتياز .

والله ولي التوفيق

الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة توات :

أولا : الإطار الجغرافي للمنطقة

ثانيا : الإطار التاريخي

ثالثا : التركيبة الاجتماعية

منطقة توات هاته المنطقة الغنية بتراتها وعمرانها ، هي من بين المناطق التي لعبت دورا حضاريا كبيرا ، وهذا بفضل موقعها الجغرافي المميز لذلك نجد الكثير من المصادر تكلمت عليها ، وأشارت إليها ولتضاريسها وعمرانها ونباتها وتعدد أعراقها .

أولا الإطار الجغرافي للمنطقة

1/ أصل التسمية :

منطقة توات هي مجموعة من الواحات في الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تُولف مجموعها إقليميا للعبور بين سفوح جبال الأطلس شمالا وبلاد السودان جنوبا . وتوات هو الاسم الذي أطلقه العرب والطوارق على مجموع الواحات التي انتشر بالمنخفض العميق لوادي الساور و وادي مسعود ، جنوبه وملحقاته من الأحواض الشرقية والغربية له¹ ، كما يشكل وادي الساور الطريق التجاري له إذ يقطع الإقليم من شماله إلى جنوبه .

وقد اختلفت الروايات في شأن أصل تسمية توات ونذكر من بينها رواية لعبد الرحمان السعدي الذي يرى بأن سلطان مالي (كنكان موسى) عندما رحل إلى الحج مر بتوات ، فأصابه وجع في رجله في تلك المنطقة ، وقد علل السعدي هذا بأن معنى ذلك في أهل سنغاي بأنه توات² ومن الروايات أيضا رواية لمحمد بن عمر بن محمد المبروك البداوي ، أن توات سميت بهذا الاسم عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ولما عاد إلى واد نون ودرعا وسجل ماسة ووصلت خيله توات عام 62هـ / 682م وسألهم عن هذه البلاد هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه بأنها تواتي ، فأطلق اللسان بذلك بتغير اللفظ³ .

بينما يرى مولاي أحمد الإدريسي الطاهري أن المنطقة سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة ، كما يقول الأنصاري بأنها اسم لإحدى القبائل بالصحراء .

¹ أحمد العمري ، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب ، منشورات كلية الآداب بفاس ، المغرب ، 1988 ، ص 1

² عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية ، باريس ، 1981م ، ص 07

³ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ، نسيم النفحات في ذكر جانب من أخبار توات ، مخطوط خزانة الشاري الطيب ، كوسام ، أدرار ، دلت ص 02

كما يرى محمود فرج أن كلمة توات هي كلمة بربرية، أطلقتها قبائل لمتونة لما جاءت إلى الإقليم في منتصف القرن 6هـ / 13م¹.

وهناك رواية أخرى لأحد المؤرخين المحليين وهو عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنيطي، إذ يرى بأن أصل اسم توات مشتق من الإتاوات التي كان القائدين علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن كانا يقبضانها لصالح السلطان الموحيدي عبد المؤمن بن علي (6هـ / 12م) على أهل توات (حكى عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طلبهم المهدي ملك الموحيدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض المغارم الرطب والغنب وسائر الثمار والكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الإتاوات كيلا ووزنا على حسب التخريص فعرف أهل الأرض بأهل الإتاوات لأن السلطان قبلها منهم في المغرب)².

ولهذا اللفظ مستند في العربية قال: التوت جمعها اتوات فعرفت هاته البلاد بأهل الإتاوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه وحذف التعريف فصار توات وأطلق على مجمل القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح.³

ويرى كذلك أحد المؤرخين أن توات اسم بربري معناه الواحات⁴. بينما يرجع صاحب نقل الرواة مصدر كلمة توات إلى مصدر عربي إذ يقول (عندما فتح عقبة بن نافع بلاد المغرب ، ولما عاد لوائي نون ودرعة وسجلماسة ، وصلت خيله توات عام 62هـ فسألهم عن هاته البلاد

¹ فرج محمود فرج ، إقليم توات بين القرنين 18 و19م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977م ، ص 03

² محمد بن عبد الكريم ، البكراوي ، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط خزانة أبناء عبد الكبير ، المطارفة ، أدرار دت ، ص 03 ،

³ نفسه ص 03

⁴ أحمد العماري المرجع السابق ، ص 11

وهو يعني توات ، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه بأنها تواتي ، فأنطلق اللسان بذلك بتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التحقيق¹ .

ومن بين الروايات أيضا والتي تعتبر من الروايات الحديثة التي تكلمت عن أصل تسمية توات ، وصاحبها الأستاذ بوسماحة ، حيث يرى أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة ، وهذا في اللهجات البربرية ويورد مثالا لذلك فيقول أن المقصود بكلمة توات في جسم الإنسان ، هو ذلك الجزء الداخلي من الجسم والذي يقع تحت القفص الصدري ، كما يذكر أن ثنايا أمعاء الحيوان يطلق عليها اسم توات² ، هو مصطلح زناتية .

فالملاحظ لهاته الروايات المختلفة والمتضاربة لحد بعيد في محتواها حسب رغبات أصحابها وانتماءاتهم ، إلا أن الرأي القريب للتصديق هو أن المنطقة أصل تسميتها بربري لكون أغلب مناطقها كتنجورارين التي تعني بلهجة زناتة المعسكرات أو منطقة تيديكلت والتي تعني راحة اليد وكذلك أسماء القصور كقصر تيطاوين والذي يعني العيون وأغرملال ويعني الخبز الأبيض في لهجة زناتة ، ولكونها عرفت تعميرا بشريا بربريا قبل قدوم العرب مع بداية الفتح الإسلامي ، لهذا فإننا نرجح أن أصل تسمية المنطقة ككل هو ذو أصل بربري محض ، وفي ذلك نجد قول الباحث الحاج أحمد الصديق إذ يقول في ذلك (فمادام الفرع وهو القصور التواتية قد وضع بربريا ، فإن الأصل وهو تسمية الإقليم ، لابد أن يكون بربريا كذلك)³ .

2- الموقع :

تقع توات في الجنوب الغربي للجزائر ، يحدها من الشمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن ، ومن الجنوب يحدها صحراء تانزروفت* وواد قاريت وجبال مويدرا ومن الشرق هضبة تادمايت (خارطة رقم 01) . وتبعد أقرب نقطة منه من العاصمة الجزائر ب 1200 كلم ويشتمل

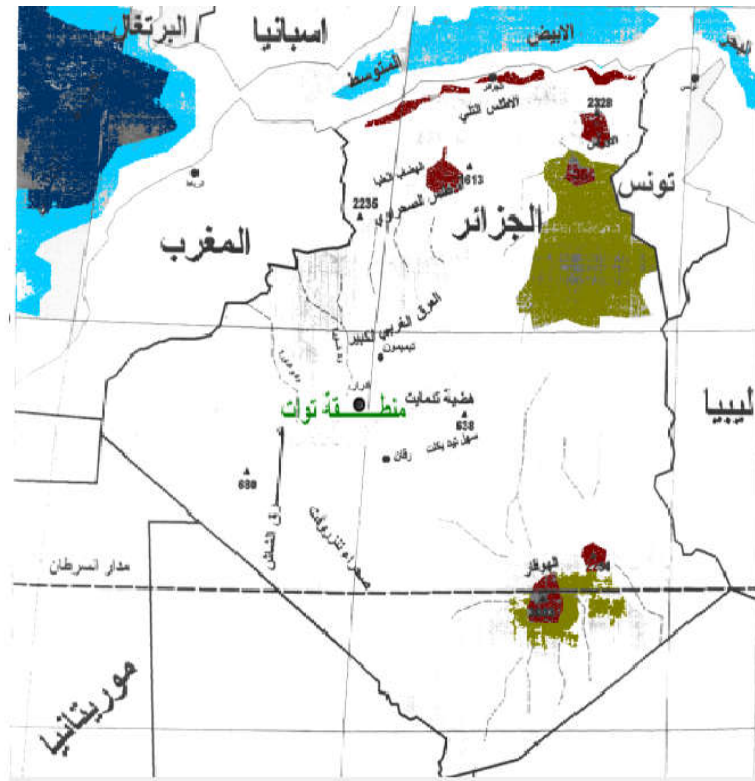
¹ محمد المبروك ، نقل الرواة من أبدع قصور توات ، مخطوط ، بخزانة أبا سيدي جعفري ، زاوية سيدي حيدة بودة ولاية أدرار د- ت ص 04 ،

² أحمد بوسماحة ، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2002 ، ص 11

³ الحاج أحمد الصديق ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ط1 ، مديرية الثقافة ، أدر ، 2003 ، ص 29

* تنزروفت هي صحراء شاسعة تقع جنوب توات مدينة رقان حاليا الى غاية الحدود مع مالي وموريتانيا

هذا الإقليم على عدد كبير من الواحات والقصور التي تزيد على 350 قصر** وهي تغطي مساحة شاسعة من الأرض تتعدى 200 ميل ، ومدن وقصور الإقليم تمتد في السهول الرملية جنوب العرق الغربي الكبير وحول هضبة تادمايت من جهاتها الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية وينتهي الغقليم ثلاثة أودية تصب مياهها الجوفية فيه لتغذي الفقاير*** بالمياه¹ ، ومنطقة توات مقسمة إلى ثلاثة أقسام جغرافية شاسعة وهي قورارة في الشمال وتوات في الوسط وتيديكلت في الجنوب ، ولقد أطلق الجغرافيون على المناطق الثلاث معا اسم توات (خارطة رقم 02) .



خارطة رقم 01 موقع منطقة توات بالنسبة لخارطة الجزائر

- عن محمد بن سوسي -

** القصر هو عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه في مابينهم من ناحية القرابة المشتركة أو علاقة اجتماعية أو قد يكون عبارة عن نقطة استراحة للقوافل التجارية .

*** الفقارة أسلوب مستخدم في المنطقة للري يتم فيه حفر آبار يصل عددها أحيانا الى 50 بئرا والربط بينها بواسطة ممر ينفذ فيه الماء ويتدفق من بئر إلى بئر إلى أن ينتهي بعدها في حوض الاستقبال ليقوم بعدها بتوزيعها للسقي ومختلف الاستعمالات المختلفة.

¹ فرج محمود فرج المرجع السابق ص 20



خارطة رقم 02 المناطق المشككة لإقليم توات

عن - www.sahabadrar.com -

أ/ منطقة قورارة :

سميت قديما بتينجورارين من طرف قبائل البربر، ومعناها بالبربرية المعسكرات¹، وهناك رأي آخر يتبناه سكان المنطقة إذ يقول العارفون باللسان الزناتي أن أصل الكلمة من لفظ "أقرو" بالجيم القاهرية، ويطلق على الحفرة المزروعة وسط الرمال. ولا يزال اللفظ متداولاً في بعض القصور في المنطقة كقصور قدور ووحدات ظلمين وأجدير، وهذا يعني أن تعمير المنطقة كان بإنشاء البساتين ووحدات النخيل أو ما تعرف عندهم "بأقرو" ثم استحدثت حولها تجمعات سكانية أطلق "أقراو" بمعنى التجمع وجمعها تيقورارين أو تيمقورارين أي التجمعات، التي عرفت بعدها

¹ الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص133.

بتيقورارين أوتينجورارين . وهي تقع شمال منطقة توات ، ويحيط بها العرق الغربي الكبير من جهة الشمال والشمال الشرقي ، ومن الجنوب سفح هضبة تادمايت الشمالي ، أما من الغرب وادي الساورة وواد مسعود ، مركزها مدينة تيميمون ، وهي تمتد في دائرة قطرها حوالي 80 كلم أبعداها هي قصور تبلكوزة في الشمال ، وينتهي بهذه المنطقة وادي مقيدن سبخة كبيرة تعرف بسبخة قورارة¹.

ويوجد الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافيا باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور، والتي تقع في شمال الإقليم ويوجد بالإقليم سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب ، وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي أمقيدن ووادي صالح².

وهذا الجدول يبين أهم قصور منطقة قورارة ومواقعها :

الإسم	الموقع	عدد القصور
أوقروت	منخفض وادي مقيدن	14 قصرا
تتركوك	جنوب العرق الغربي	5 قصور
القصور الشرقية	على طريق قصر المنيع	10 قصور
القصور الغربية	على طريق منطقة الساورة (بشار)	5 قصور
قصور أجريفت	في سبخة تينجورارين تبعد 36 كلم غرب تبلكوزة	15 قصرا
قصور تيميمون	في الجهة الجنوبية لسبخة تيميمون	20 قصرا
قصور أولاد سعيد	تبعد 10 كلم عن قصر الحاج قلمان	3 قصور
قصور تقانت	في الضفة الشمالية لسبخة تينجورارين	7 قصور
قصور حيحة	على الضفة الشمالية لسبخة تيميمون	5 قصور
قصور شروين	على الضفة الغربية لسبخة تينجوراري	4 قصور
قصور الزوا ودلدول	في الجنوب الشرقي من السبخة وجنوب مقاطعة شروين	7 قصور

¹ محمد ، بن سوبسي ، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا من القرن (6هـ / 13م - 12هـ / 19م) ، مذكرة

ماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 2007 / 2008 ، ص 04.

² محمد ، الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية ، 2004 ، ص 06.

قصور الدرامشة	غرب دلدول ب 25 كلم	4 قصور
قصور تسابيت	على بعد 35 كلم جنوب غرب مقاطعة الدرامشة وتبعد عن وادي مسعود ب 40 كلم	11 قصرا
قصور السبع	تقع على بعد 50 كلم جنوب قصر الهبله	02 قصور

الجدول رقم 1 أهم قصور منطقة قورارة ومواقعها

- من إعداد الطالب -

ب/ منطقة توات الأصلية (توات الوسطى) :

تبدأ من أعالي قصور بودة في النقطة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه من الشمال إلى الجنوب وتتشكل هذه المنطقة من أرخبيل من القصور والواحات إلى غاية رقان وتسمى بتوات الأصلية¹، ومن أهم قصورها تيمي ، تمنطيط ، زاوية كنتة ، ويضاف إلى توات الوسطى قصور تسابيت جنوب دغامشة على نحو 30 كلم من وادي الساوره وهي مجموعة من القصور تبدأ من قصر عريان الراس وهذا الجدول يبين موقع وعدد هاته القصور:

الاسم	الموقع	عدد القصور
قصور بودة	موازية لوادي مسعود وهي أول قصور توات من جهة الشمال، تنقسم الى مجموعتين من القصور بودة الفوقانية وبودة التحتانية تبعدان عن بعض 08 كلم .	12 قصرا (7 في بودة الفوقانية و 5 في بودة التحتانية)
قصور تيمي أولاد إبراهيم	تقع جنوب قصور بودة وموازية كذلك لواد مسعود، و تلتقي فيها معظم الطرق القادمة من الشمال والشرق والغرب .	39 قصر

¹ محمد الصالح ، حوتية المرجع السابق ص 07

قصور تمنطيط	تتواجد جنوب قصور تيمي على بعد 12 كلم ، وتبتعد شرقا عن واد مسعود ب35 كلم .	5 قصور قريبة لبعضها البعض مشكلة قصرا واحد كبير .
قصور بوفادي وباعمر	تقع جنوب قصور تمنطيط بحوالي 12 كلم وتبعد شرقا عن واد مسعود ب30 كلم	04 قصور
قصور فنوغيل	تتواجد غرب قصور باعمر	17 قصرا
قصور تامست ولحمر	تتواجد جنوب فنوغيل تبعد عن وادي مسعود ب20 كلم	14 قصرا
قصور زاوية كنتة	تظهر جنوب قصور تامست	16 قصرا
قصور تيديماين وانزجمير	تتواجد في المنخفض الايسر لواد مسعود تفصلها عنه السبخة	13 قصرا
قصور سالي	تقع جنوب أنزجمير في المنخفض الايسر لواد مسعود	13 قصرا
قصور رقان	توجد في اقصى جنوب توات	15 قصرا

جدول رقم 02 أهم قصور منطقة توات توات الأصلية ومواقعها

- من إعداد الطالب -

ج/ منطقة تيديكلت :

ومعناها باللغة البربرية كف اليد أو اليد المفتوحة¹ ، وهي البلاد الواقعة بين الانحدار الجنوبي لهضبة تادمايت إلى غاية الجهة الشمالية، التي يحدها وادي جاريت ،وقصورها موزعة على سطح منبسط قليل التلال وتعرف بالغابة ومركزها مدينة أولف²، إضافة إلى قصور تيط وإنغر وعين صالح . وفيما يلي جدول لأهم قصور المنطقة:

¹ عبد الحميد فادي ، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة ، بدون دار نشر ، الجزائر ، د - ت ، ص 20

² محمد بن سويبي ، المرجع السابق ، ص 05

الاسم	الموقع	عدد القصور
قصور أولف	تقع في نهاية منخفض هضبة تادمايت وتبعد 80 كلم شرق قصر رقان	11 قصر
قصور أقبلي	توجد جنوب منخفض تيديكلت	5 قصور
قصر تيط	يقع بالقرب من قصر أقبلي على بعد 19 كلم	قصر واحد
قصور أينغر	تقع في منحدرات هضبة تادمايت وهي من القصور المهمة ، إذ شهدت مقاومة شرسة للمستعمر الفرنسي .	07 قصور
قصور عين صالح	تظهر في منحدرات هضبة تادمايت على بعد 50 كلم شرق قصور أينغر تنتشر من الشمال نحو الجنوب ، وهي تعتبر قلب منطقة تيديكلت وعاصمتها .	12 قصرا

جدول رقم 03 قصور منطقة تيديكلت وأهم قصورها

- من إعداد الطالب -

وتتوزع قصور منطقة توات على ضفاف الوديان المعروفة واد مقيدن والذي ينتهي بمنطقة قورارة ، وواد مسعود والذي ينتهي بمنطقة توات ، والواد الثالث وادي قاريت والذي يينتهي بمنطقة تيديكلت وكذلك السبخات الموجودة مثل سبخة تيميمون ، سبخة تمنظيط

ونجد في هذا قول صاحب مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات (وتوات هذه هي قصور وفرة عديدة على حافة وادي كبير ينحدر من ناحية المغرب وعليه قصور توات)¹.

وكذلك في حديثه عن واد ملوية الذي ينتهي رافد منه في توات إذ يقول (..وينبع من هذا النهر فوهة نهر كبير ينحدر ذاهبا في في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق إلى أن ينتهي إلى بودة ، ثم بعدها إلى تمنظيط ويسمى هذا النهر جير عليه قصورها ، ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويغوص في رمالها ، وعلى موقع مغاصه ، قصور ذات نخل تسمى رقان ، وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء ، وفي شرق تسابيت إلى مايلي الجوف قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمئة أو أكثر في وادي ينحدر من المغرب إلى المشرق

¹ محمد بن المبروك ، المصدر السابق ، ص 07

... وأما موقع بلاد توات بالنسبة لما يقابلها من ناحية الشمال من الإقليم التي وراء العرق ... ووراءه من جهة الجنوب بلاد ذات نخل وأنهار معروفة في جملة بلاد المغرب مثل بلاد بودة ،
تمنيط في مقابلة المغرب الأقصى وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأقصى¹.

وتكون هاته الأقسام الجغرافية الثلاثة بالإضافة إلى صحراء تانزروفت ولاية أدرار* والتي
ينحصر موقعها الفلكي مابين خط طول 1° شرقا و 3° غربا وبين دائرتي عرض 62° و 30°
شمالا².

3/ التكوين الجيولوجي :

حسب المميزات الجيولوجية يمكن أن نلاحظ أن منطقة توات لها رواسب فيضية ترجع
للزمن الجيولوجي الرابع ، والتي تتسع في الجهة الغربية وجنوب هضبة تادمايت ذات الصخور
الكرتاسية ، بينما تحدها من جهة الشمال كثنان العرق الغربي الكبير ، ويحدها من الغرب كثنان
عرق إمقيدن ، و من جهة الجنوب تكون هضبة مويدير الحدود الطبيعية لسهول توات³.

وإذا لاحظنا الخريطة الجيولوجية (الشكل 01) التي وضعها قوتي "GOUTIER" وجدنا
أن البيئة الصخرية لمنطقة توات تتكون من بنية متنوعة ويمكن تصنيفه كالتالي :

أ / صخور قديمة :

ترجع إلى الزمن الأول وهي التي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية التي تكونت عبر الأزمنة
الجيولوجية التي تلت الزمن الأول ، وتظهر هذه القاعدة أحيانا على السطح خصوصا بمنطقة

¹ محمد بن المبروك ، المصدر السابق ، ص 10

* ولاية أدرار إنبتقت من التقسيم الإداري 1974 ، يحدها من الشمال كل من ولايتي بشار والبيض ومن الغرب تندوف ودولة
موريطانيا ومن الشرق ولاية تمنراست وولاية غرداية أما من الجنوب دولة مالي وتتربع على مساحة قدرها 427968 كلم² ، وهو
ما يمثل 17,9% من المساحة الإجمالية للجزائر وتتألف إداريا من 11 دائرة و 28 بلدية

² جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية ، دليل ولاية أدرار ، بمناسبة انعقاد ملتقى الزوايا 2000 ، ص 02

³ جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية ، المقال السابق ، ص 2

الخطوط الإنكسارية مثل الخط الإنكساري الشرقي الذي يمتد جنوب شرق العرق الكبير الذي يظهر جنوب توات¹.

ب / صخور الزمن الجيولوجي الثاني :

أو ما يسمى بالعصر الكرياتسي الأوسط ، الذي يظهر بشكل واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي للخط الإنكشاري مابين تينجورارين غربا إلى شمال شرق منطقة لحر².

ج / صخور الزمن الجيولوجي الرابع :

تظهر بالسبخة الواقعة شرق تاسفوت وشرق شروين وفي بعض النقاط المحدودة جدا هذه معظم صخور البنية السطحية التي تتكون منها منطقة توات والتي تعطي تضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية، أهمها العرق الذي يمتد بشكل واسع بالقسم الشمالي لتوات من الغرب إلى الشرق، إضافة إلى بعض أجزاء تضاريس الحمادة ذات الشكل المتحجر التي تظهر بالمنطقة من حين لآخر³.

4/ التضاريس

أ/ الهضاب :

إن الهضاب من أهم التضاريس المكونة لأرض توات إذ تعتبر هضبة تادمايت الشاسعة من أكبر هضاب هذه الرقعة الجغرافية وحتى الجزائر، وتتشكل من منحدر كبير تم تكوينها بسبب تآكل الطبقة التحتية، وهي عبارة عن "قارة" شاسعة المساحة يبلغ مداها من الشمال إلى الجنوب حوالي 220 كلم، ومن منخفض تيديكلت في الشرق إلى وادي مقيدن في الغرب وطولها حوالي 300 كلم، وهي امتداد نحو الجنوب الغربي للتكوينات الكرياتيسية لسبخة وادي ميزاب .

ب/ العرق : العرق عبارة عن بحر من الرمال، وهو عبارة عن كثبان رملية مرتفعة والتي جلبتها الرياح، وهي تتواجد بمساحات كبيرة في المنطقة، وتتمثل في العرق الغربي الكبير والعرق

¹ محمد صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 44

² نفسه ، ص 44

³ نفسه ، ص 45

الشرقي وعرق شاش ، ويصل ارتفاع قمم العرق في بعض الأماكن إلى حوالي 200م¹.

ج/ الرق :

هو سهل مغطى بالحصى الجافة تنتشر بينها الرمال لتكون الرق²، ويظهر هذا في رق تنزروفت جنوب منطقة توات.

د/ الحمادة :

هي هضبة صخرية جيرية ممتدة في شكل صفائح طبقية³، وتظهر في شرق المنطقة بشكل واسع.

هـ/ السبخة :

هي بحيرة تتبخر مياهها في الصيف لتصبح ضاية من الملح تسمى الشط أو السبخة أو زاغز ، والسبخات في الأصل عبارة عن منخفضات نتجت عن هزات أرضية، ومن بين سبخات المنطقة نجد سبخة تيميمون وسبخة تمنطيط

5/ المناخ :

أ/ الحرارة :

يعتبر المناخ المحدد الأساسي لحياة البشر من خلال تأثيره على الغطاء النباتي والنظام البيئي ككل ومنطقة توات والتي تقع ضمن النطاق الصحراوي الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفا والبرودة شتاءا جاف شديد البرودة شتاءا وشديد الحرارة صيفا وتتجاوز درجة الحرارة فيه. 50° أحيانا في فصل الصيف وفي الشتاء تنزل إلى 9° ، أما متوسطها فهو 40°⁴ وهذا ما يجعل

¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 07.

² بن عبد الله عبد العزيز ، معلمة الصحراء ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب ، 1967 ، ص 10.

³ ريحة نابت عليق ، قصر ملوكة دراسة أثرية تاريخية ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2002 ، ص 11

ديسمبر ، 2017 .

⁴ محطة الأرصاد الجوية بأدرار ، التاريخ ، شهر ديسمبر ، 2017.

المنطقة تتكون من فصلين في السنة أحدهما بارد يبدأ من ديسمبر إلى غاية فيفري والشهور الأخرى تتميز بارتفاع درجة الحرارة فيها.

ب/ الرياح :

إن الرياح الغالبة في المنطقة هي تلك التي يكون إتجاهها شمال شرق وجنوب غرب ، وأما بالنسبة للرياح الشمالية الشرقية فتشتد في الفترة الممتدة ما بين شهري جانفي وأفريل ، وفي الفترة الممتدة من شهر جوان إلى غاية شهر سبتمبر، تشتد فيها الرياح الشرقية، كما تهب الرياح الجنوبية الغربية في العادة من شهر مارس إلى شهر ماي¹، أما الرياح التي تنجر عنها الزوابع الرملية فهي الرياح الجنوبية الشرقية ويسميتها الإيطاليون (siroco) ، وتصل سرعتها إلى حوالي 100 كلم في الساعة ، وتدعى محليا بالشهيلي والشرقي².

ج / الأمطار

لكون منطقة توات منطقة صحراوية فهي قليلة الأمطار إن لم نقل منعدمة ، والفترة التي تشهد تساقطا أكبر للأمطار تمتد بين شهري أكتوبر فيفري ويزداد معدل التساقط قليلا خلال شهري نوفمبر وديسمبر ، ويبلغ المعدل السنوي لتساقط الأمطار في المنطقة فيتراوح بـ 12 ملم³ في السنة وهذا معدل قليل مقارنة بغيرها من المناطق الصحراوية ، فنسبة الأمطار لم تتجاوز في ولاية أدرار خلال 10 سنوات 254 ملم³.

6/ الثروة المائية

يقع إقليم منطقة توات في مجال صحراوي تجري مياهه السطحية والباطنية ، منذ ما قبل التاريخ من الأطلس الصحراوي شمالا حتى حوض النيجر جنوبا ، فالمنطقة تعتمد علنوعين منها سطحي متمثل في الأودية الموسمية وباطني متمثل في المياه الجوفية .

¹ إسماعيل، العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 16

² نفسه ، ص 13

³ المصدر ، محطة الأرصاد الجوية بأدرار ، شهر ديسمبر 2017

أ/ الوديان :

إن شح المنطقة من مصادر المياه السطحية المعروفة جعلها تعتمد في الفترات القديمة على الوديان ،التي كانت تنبع من المناطق الشمالية في جبال الأطلس في المغرب الأقصى والتي كانت تصل إلى عمق الصحراء لتستعمل مجاريها للرعي وزراعة المحاصيل ، ولكن أغلبها جف الآن بسبب بناء السدود عليها من طرف المغرب ومن بين الوديان التي كانت لها قيمة اقتصادية واجتماعية كبيرة للسكان نجد:

1/ واد إمقيدن :

وهو عبارة عن إمتداد لوادي سقور الذي ينبع من المنيعه، ثم يتحول إلى وادي شيدون ويستمر في سيره غربا لينتهي بمنطقة قورارة مكونا السبخة.

2/ وادي مسعود :

وهو عبارة عن تلاقي لوادي قير مع وادي زوزفانة بمنطقة فقيق، ويتجه جنوبا ليطلق عليه وادي الساورة ، ويتجه غربا ثم جنوبا لىسمى وادي مسعود، ويكون سبخة بمنطقة تسفوت ويتجه بعدها جنوبا إل غاية رقان لتغور مياهه بعدها في صحراء تنزروفت¹.

3/ وادي قاريت :

ويأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت ويتجه نحو الجهة الجنوبية ليكون رافدا لواد مسعود .

ب/ المياه الجوفية :

المياه الجوفية الوفيرة الموجودة في الجيوب الباطنية تجعل منطقة توات قابلة لإنشاء زراعة نشيطة ومتنوعة ، ومن المعلوم أن المصدر الأساسي والوحيد للتزود بالمياه الجوفية هو مايعرف بالحوض الجوفي الألبى " ALbien " ، وهذا الحوض الضخم تصل مساحته إلى 600000 كلم ،

¹ محمد الصالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 83

حيث يمتد في الطبقات السفلى على مساحة شاسعة ليصل إلى غاية الحدود الشرقية مع تونس وليبيا ، وهو يعتبر من الكتل القديمة التي تكونت مياهها خلال الحقبة الزمنية الرطبة عبر الجيوب المائية التي تنحدر من الوديان الكبيرة للأطلس الصحراوي¹. وتتحصر مياهه في التكوينات الطينية القريبة من السطح بتوات والمناطق المجاورة له وتظهر مياهه على السطح في بعض مناطق تميمون ، ويعتبر هذا الحوض المائي المنبع الأساسي لمياه الفقارات والذي يستخرج وفق طريقة خاصة تعرف بنظام الفقارات التي تشكل النمط التقليدي للارتفاع من المياه الجوفية في المنطقة².

7/ الثروة النباتية والحيوانية :

أ/الثروة النباتية :

بما أن منطقة توات جزء من الصحراء الكبرى فإن الغطاء النباتي بها شحيح ومتذبذب وكذل متفرق وهذا نتيجة لعدة عوامل منها المناخية وأيضا قلة المواد العضوية في التربة والملوحة إلا ان هناك غطاء نباتي ساهم في نشأة الحياة في المنطقة ،والذي يتمثل أساسا في واحات النخيل التي ساهمت طرق الري في نشأتها وبقائها، وفي هذا نجد كلام الحسن الوزان في وصفه للغطاء النباتي للإقليم ويقول "... وكذاك من الأعشاب التي تنمو في نوميديا على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة ومائة ميلا من الأطلس... سكانه فقراء جدا ، لاتنتب أرضهم غير التمر ، وقليل من الشعير"³.

ويمكننا تقسيم النباتات في المنطقة على قسمين رئيسيين :

1/ النباتات الدائمة :

وهذه قد تكون عسارية ، كما أنها غالبا ما تكون إما قصيرة أو خشبية والتي تتمثل خاصة في النخيل أو أشجار الطلح ذات المصدر الحجازي بالإضافة للأشجار الشوكية كالسدر والدرن.

¹ جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية بأدرار، بحث حول الفقارة ، أدرار ، 1992 ، ص 09

² محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ، ص 85

³ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 133

2/ النباتات الموسمية :

والتي تنمو عقب سقوط الأمطار الموسمية ولا تعمر كثيرا ويتراوح عمرها من شهر إلى شهرين ويعتمد عليها أحيانا في الرعي.

و تحوي منطقة توات مزروعات متنوعة يتربع على عرشها التمور بأنواعها وأسمائها المختلفة مثل تفر+ي ،بامخلوف ، تزرزاييت ، لدهم ، إضافة للتمور هناك مزروعات القمح والشعير والذرة بالإضافة إلى الخضر ، وكذا الحنة المشهورة بها توات.

ب/ الثروة الحيوانية :

على غرار الغطاء النباتي فإن الثروة الحيوانية في المنطقة متأثرة بمناخها ، لذلك فإن توات مشهورة أساسا بتربية الإبل ، لكونها المعيل الأهم والذي يستعمل للنقل وأيضا من أجل وبرها ولحومها وحليبها ، وكذلك توجد تربية الأغنام والماعز والدواجن وهذا رغم قلتها لذلك فإن السكان في الغالب يعتمدون على المواشي المجلوبة من مالي والنيجر.

بالإضافة إلى ذلك فإن المنطقة تحوي حيوانات برية كالذئب والضب والغزال البري ..الخ

ثانيا الإطار التاريخي

1/ وصف إقليم توات من خلال المصادر:

لقد جاء ذكر منطقة توات في العديد من المصادر الجغرافية والتاريخية والتي تكلمت عنها ووصفت أراضيها ومنتجاتها الفلاحية والصناعية وكذا الأقوام التي عاشت فيها ونجد من بين أهم المصادر التي تكلمت عليها في فترة مبكرة المؤرخ اليوناني هيرودت (القرن 5 ق.م) الذي أشار إليها في قوله " وخلف منطقة ليبيا صحاري بلا ماء ولا حيوانات ولا أمطار ولا أخشاب وليس أثر للرطوبة وأسفلها لا يوجد إلا الرمال والجفاف والصحراء القاحلة " ¹.

وكذلك نجد الجغرافي اليعقوبي (3هـ / 9م) الذي قدم وصفا لها في كتابه البلدان إذ يقول :

¹ ريحة عليق ، المرجع السابق ، ص 08

" ومن سجلماسة لمن سلك متوجها القبلة يريد أرض السودان يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة ، ثم يلقاه قوم يقال لهم انبية من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار يتلثمون بعمائمهم ولا يلبسون قمصا إنما يتشحون بثيابهم ومعاشهم من الإبل لبس لهم زرع ولا طعام"¹.

ونجد إشارة لها عند الجغرافي ابن الحوقل (376 هـ / 971م) في كتابه صورة الأرض ويقول في هذا " وأرض المغرب سكان من البربر ومفارز منقطعة ، قليلة الماء متعذرة المراعي ، لا تسلك إلا في الشتاء "².

وكذلك الإصطخري والملقب بالكرخي (ق 4 هـ / 10م) الذي أشار لمنطقة توات في حديثه عن بلاد السودان ويقول في هذا " وأرض المغرب ما كان فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا حتى ينتهوا إلى السودان فيكون الناس فيها أشد الأمم سوادا "³.

أما ابن عذارى المراكشي فقد ذكر منطقة توات في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ويقول " ... يلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل ، وحدها إلى مدينة تيهرت ويلها بلاد المغرب ... وإذا جرت هذا الجبل فعلى يمينك بلاد السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان "⁴.

ومن أهم المصادر التي تكلمت عن المنطقة وذكرتها بالاسم وأعطت أوصافا دقيقة الرحلة المشهورة لابن بطوطة إلى بلاد السودان مارا بالإقليم ويقول في بداية رحلته لمنطقة "وقصدت السفر إلى توات ، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات"⁵ ويواصل حديثه ويقول " ثم وصلنا بودة وهي من أكبر قصور توات وأرضها رمال وسبخة وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت ، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب ، وأكل أهلها التمر ، والجراد ، وهو كثير عندهم يخزنونه كما

¹ أحمد بن يعقوب اليعقوبي ، وصف إفريقيا من كتاب البلدان ، تصحيح ونشر هنري بريس ، الجزائر ، 1960 ، ص 17.

² أبو القاسم محمد ابن حوقل ، صورة الأرض ، طبعة برلين ، ليدن ، 1983 ، ص 83.

³ إبراهيم محمد الفارسي الإصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي ، مراجعة محمد شفيق غربال ، 1961 ، مصر ص 36.

⁴ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى ، المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ج 1) ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بيروت ، 1948-1951 ، ص 5.

⁵ محمد بن عبد الله بن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1980 ، ص 699.

يختزن التمر ويقتاتون به ، ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس ، فإنه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد ، وأقمنا ببودة أياما ، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة إلى سجلماسة....¹

وكذلك تكلم العلامة ابن خلدون عن المنطقة وكذلك عن سكانها إذ يقول عنها " ... ومن هذه القصور قبلة تلمسان ، وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين ، وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من الغرب على الشرق ، وأستبحرت في العمران، وغصت بالسكان وأكثر سكان هذه القصور في الصحراء ، بنو يالديس هؤلاء ومعهم سائر قبائل زناتة والبربر، مثل ورتطغير ، ومصاب ، وبنو عبد الواد ، وبنو مرين، وهم أهل عديدة وعدة ، وبعيد عن هضيمة الأحكام ، وذل المغارم ، وفيهم الرحالة والخيالة ، وأكثر معاشهم من فلاح النخل (بلح) ، وفيهم التبجر إلى بلد السودان ، وضواحيها، كلها مشاة للعرب ومختصة بعبيد الله من المعقل. وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة في تيكورارين ، فتصل إليهم ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار ، والتلول حتى يحطو بتمنطيت ثم يتجهون منها إلى بلاد السودان "²

ويضيف ابن خلدون في كلامه عن عمارة المنطقة ويقول في هذا " ... فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة ، وتسمى توات ، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين ، آخذة من الغرب إلى الشرق ، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب ، إلى بلاد مالي من السودان "³.

ويتكلم ابن خلدون كذلك عن أهمية المنطقة في طريق التجارة بين شمال المغرب وبلاد السودان فيقول " وأما عبيد الله فلا بد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلاد تمنطيت ، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يخلطوا بتمنطيت ثم يبذرقون منها إلى بلاد السودان "⁴.

¹ محمد بن عبد الله بن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 700.

² عبد الرحمان ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، اعتنى به أبو صهيبي المكري، بيت الأفكار الدولية، د. ت ص 1833.

³ نفسه ، ص 1833.

⁴ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1834.

أما الحسن الوزان (9هـ / 15م) وفي كتابه وصف إفريقيا تحدث فيه عن قصور تسابيت فقال عنها " تسابت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة ، ومائة ميل من الأطلس يضم أربعة قصور وقرى عديدة سكانه فقراء ، لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير بشرتهم سمراء ، إلا أن نسائهم جميلات سمراوات "1.

وقد تكلم عنها عبد العزيز القشتالي (10هـ / 16م) ويقول " قطر توات أوسع وطنا وأفصح مجالا وأقرب للسودان ، اتصالا وجوارا وقطر تيكورارين هو أعظم اشتهارا وأعرف نقيبا وأشد شوكة وأخشن جانبا "2.

وكذلك نجد ذكر للمنطقة في كتب الرحلات ، وخاصة رحلات الحج القادمة من المغرب الأقصى ، التي كانت توات طريقا لها وفي ذلك نجد رحلة العياشي التي قام بها للحجاز وسجل لنا ما شاهده، ومن بينها ما لاحظته في منطقة توات ويقول " ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد بن صالح المعروف (بعيان الراس) تلميذ الولي الصالح سيدي أبي الرواين دفين مكناس بمغربنا - نفعا الله بها وأدركنا بغنايتها - وكان وصولنا إليها ضحى الخميس آخر يوم من ربيع الثاني وأقمنا بها أيام ، وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر ، وبها التمر أنواع كثيرة ووجدنا التمر فيها رخيصا3.

وعلى غرار هاته المصادر التي تكلمت على المنطقة وأعطت أوصافا لطبيعتها وعمرانها وتركيباتها البشرية ، نجد المصادر المحلية التي تكلمت بشكل أدق عن تاريخ وأوصاف الأقاليم ومن بينها نجد مخطوطة "درة الأقاليم" لعمدة المؤرخين التواتيين محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنيطي ويقول فيها " توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوبا ، وغربا عشرون يوما ، ومن بلاد الزاب عشرة أيام

¹ الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق ، ص 133 ، 134.

² عبد العزيز القشتالي ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب 1972، ص 73.

³ أبو سالم العياشي ، رحلة العياشي ماء الموائد ، ج1 ، تحقيق محمد حجي ، طبعة فاس الحجرية ، المغرب ، 1977م، ص20.

شرقا ، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيدي الشيخ ، وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مئتا قصر أوسطهما بودة وتيمي وتمنيط ¹.

أما صاحب كتاب "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات "محمد بن المبروك فيخبرنا عن المنطقة بقوله " توات هي من الواحات العامرة بإقليم الصحراء " ².

وكذلك تحدث عنها صاحب مخطوطة الدرة البهية في الشجرة البكرية تحدث عنها بقوله " توات هي صحراء بها قصور متعددة آخرها من جهة الشرق تيلكوزة " ³.

ونجد كذلك مخطوطة "نسيم النفحات في ذكر جوانب توات " لصاحبها مولاي أحمد الإدريسي الطاهيري يقول فيها عن المنطقة " توات أرض سباح كثيرة الرمال والرياح لا يحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها والماء يستخرجونه من باطن الأرض بالفقائر بواسطة الآبار بكيفية عجيبة ويقسموته على الحقول بكيفية أعجب من ذلك " ⁴.

2/ التعمير البشري لإقليم توات :

منطقة توات من المناطق التي عرفت تواجدا بشريا مبكرا ونظرا لموقعها الرابط بين شمال المغرب وبلاد السودان، فقد تعاقبت عليها حضارات وهجرات بشرية عبر مختلف العصور تركت بصمتها في المنطقة، وتبدأ من فترة ما قبل التاريخ وصولا للفترة الاستعمارية .

أ/ فترة ما قبل التاريخ:

إن الشواهد والبقايا الأثرية المكتشفة والتي تعود إلى هذه المرحلة، تدل على أن هذه الحقبة من الزمن بدأت منذ أكثر من مليوني سنة، ذلك أن البقايا الأثرية للمستحاثات واللقى العظمية تظهر أن النباتات والحيوانات عاشت في مساحات واسعة، انطلاقا من الأطلس الصحراوي وباتجاه

¹ محمد بن عبد الكريم البكراوي ، المخطوط السابق ص، 01.

² محمد بن عمر بن المبروك ، المخطوط السابق ، ص 02

³ محمد العالم ، البكراوي ، الدرة البهية في الشجرة البكرية ، المخطوط بيد عبد الحميد بكراوي ، تمنيط ، أدرار ، ص 135

⁴ مولاي أحمد ، الإدريسي الطاهيري ، المخطوط السابق ، ص 03

الجنوب. في مناطق أقرب إلى السافانا الإفريقية اليوم، وليس أكثر من دليل على ذلك هو تواجد الأنهار والأودية والبحيرات التي جفت اليوم وتحجرت¹.

وتشير الأبحاث الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها إيجو بمنطقة أولف نواحي تيديكلت سنة 1955م ، إلى أن هذه المنطقة قد عرفت حضارة الحصى والصناعات الحجرية²، وقد عثر على أدوات من هذه الصناعات في ناحية أولف ، منها ذات الوجهين والمكاشط والمحكات³.

إضافة إلى هذا فالدراسة التي قام بها إشالييه على قصور المنطقة، مكنت من التوصل إلى العديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى فترات ما قبل التاريخ، وذلك من خلال الرسوم الصخرية والقطع الفخارية المتناثرة في تلك المواقع الأثرية⁴.

ومن المواقع المهمة في فترة ما قبل التاريخ نجد موقع تنزروفت في الجهة الشرقية لعرق شاش وهو عبارة عن مساحة من رق تتواجد بها أدوات حجرية ، مثل المطاحن وقطع فخارية ورؤوس سهام وفؤوس يدوية وحلقات صغيرة من قشور بيض النعام

وكذلك قد تم العثور على العديد من المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ ، والتي تعبر عن المعتقدات الدينية لتلك الفترة من الزمن ، وهاته المعالم هي عبارة عن قبور جنائزية ذات فوهات وتدعى تيميلوس (Timulus) ، ومثال عن ذلك القبور المتواجدة بقصر مراقن ببلدية أدرار⁵

ب/ الفترة القديمة :

إن الفترة القديمة في منطقة توات شحيحة فيها المصادر التاريخية التي تكلمت عنها لكون المنطقة بعيدة عن مراكز العمران في الشمال الإفريقي ، وتشير بعضها إلى تحكم قرطاجة في أهم

¹ محمد بن سويس :، المرجع السابق ، ص 17

² ريمون فيرون ، الصحراء الكبرى ، ترجمة د/ جمال الناصوري وآخرون ، مؤسسة العرب ، القاهرة ، 1963 ، ص 46

³ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 17

⁴ نور الدين بن عبد الله ، قصور منطقتي توات الوسطى والقورارة دراسة أثرية عمرانية ومعمارية أنموذجية ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار جامعة الجزائر ، السنة الجامعي 2007 / 2008+ ، ص 24.

⁵ نفسه ، ص 24

مسالكها¹، وإقامة علاقات تجارية مع بلاد السودان وجلب مختلف المنتوجات وخاصة المعدن النفيس المتمثل في الذهب بالإضافة إلى تجارة العبيد والحيوانات .

وبعد توسع الرومان في شمال المغرب وسيطرتها الكاملة عليه ، بقيت منطقة توات بمنأى عن الاستعمار الروماني ، لكون الرومان لم يهتموا كثيرا بالتجارة على غرار القرطاجيين لهذا فالمنطقة ظلت خارج السيطرة الرومانية إلا فيما يتعلق أحيانا في محاربة المتمردين الذين جعلوا الصحراء ملاذا لهم من الهيمنة الرومانية ، وهذا ما نجده في الحملتين التي قام بهما الرومان في الصحراء من أجل تأديب الخارجين عن السلطة الرومانية ، حيث قام الجنرال سويتونيوس باولينوس بعبور جبال الأطلس ووصل إلى غاية وادي قير لتأديب القبائل الثائرة بالجنوب الشرقي المغربي وهذا في سنة 41 م².

ومن هنا فإن الحملة الرومانية وصلت إلى وادي قير الذي هو من الوديان التي تصب في منطقة توات وهو غير بعيد منها ، ويمكن أن تكون قد وصلت إليها كذلك كما أن هذه الفترة شهدت فيها المنطقة استقرارا للقبائل ذات بشرة بيضاء يدعون بالجيتول "Gétule" وهي قبائل مواطنها في ليبيا الغربية ، وكان لها دور كبير في الصحراء أثناء السيطرة الرومانية على شمال إفريقيا³ ، وقد ارتبط اسم قبيلة زناتة كثيرا بقبائل الجيتول الأولى ، حينما كانت تعيش هذه القبائل البربرية بمحاذاة الوديان الصحراوية ، والتقت في حدود القرن الخامس ميلادي مع جماعات أخرى منها قبائل يهودية⁴.

وكذلك عرفت المنطقة هجرات كبيرة في الفترة القديمة لليهود هربا من الأوضاع السياسية في جنوب أوربا وشمال إفريقيا ويذكر الباحث الفرنسي أوليل "Oliel" الذي اهتم بتاريخ هجرات استيطان اليهود بالمنطقة أنها شهدت ثلاث هجرات عبر مراحل زمنية مختلفة أولها في القرن 2م

¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 19

² لحسن تاوشتخت ، عمران سجلماصة ، من خلال المصادر التاريخية ، والخريطة الأثرية ، أطروحة دكتراه في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، المغرب السنة الجامعية 2001 / 2002 ، ص 122.

³ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 37

⁴ Nadir Marouf, Lecture de l'espace oasien, Edition Sindbad, paris 1980, p23

انطلقت من "السرانايك" نتيجة لصراعهم مع الإمبراطور تراجان "Trajan" حيث توجه عدد كبير منهم نحو الجنوب وخاصة منطقة توات واستقروا بها¹.

والهجرة الثانية كانت في القرن 6م جاءت من المشرق من الموصل وكذا من الحجاز واتجهوا نحو توات².

أما الهجرة الثالثة وعلى حسب الباحث "أوليل" فقد جاءت من الأندلس في القرن 7 م واتجهت إلى الجنوب الشرقي لتمر بالمغرب عبر السوس ودرعة وتافيلالت ، لتحط أخيرا في توات في القرن 10م³

وقد قام ألفرد جون بول مارتان "A,G,P,Martin" في كتابه الواحات الصحراوية ، بتقسيم تاريخ المنطقة إلى أربع مراحل كبرى ، وقد اعتمد على مجموعة كبيرة من المخطوطات والوثائق التي جمعها من القصور في بداية القرن 20م وجاء تقسيمه على النحو التالي⁴.

1/ مرحلة ما قبل التاريخ والفترة القديمة :

تبدأ من ما قبل التاريخ إلى 100 سنة ق.م وقد عمم فيما بعد هذا عمم فيما بعد هذا الاسم على كامل الشعوب التي تواجدت جنوب الجبال وواد قير

2/ المرحلة اليهودية : التي تمتد من 100م إلى 600م

3/ المرحلة الزناتية : وتمتد من 600م إلى 1050م

4/ المرحلة العربية : وتمتد من 1050م إلى 1120م.

في حين يرى الباحث برنارد "Bernard Saffroy" أن البربر قد حلوا بتوات سنة 431م ،

¹ Jacop, Oliel, Le juifs au Sahara, CNRS édition, Paris, 1994, P21

² Ibid, P21

³ Ibid, P21

⁴ Martin, les oasis Sahariennes , challamel , Paris , 1908 P 25

وأن مدينة تمنطيط ، وهي القصر الأهم في توات تأسس حوالي 472م¹.

ومنطقة توات منذ الفترات القديمة تعتبر مأوى للفارين من الحروب ، وقد إتخذتها مختلف القبائل كملجئ لها ، بعيدا عن الصراعات والنزاعات التي شهدتها مختلف المناطق سواء في المشرق أو في المغرب ، فكانت الكثير من القبائل تسارع للاستقرار في المنطقة لما وجدته من أمن وأمان فيها وهذا لبعدها عن مراكز السلطة . ولم تتوقف الهجرة والاستقرار على مدى قرون من الزمن حتى نهاية القرن 6هـ/13م².

ج/ الفترة الإسلامية:

تذكر بعض المصادر التاريخية أن القائد حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري (127-132 هـ / 744-749 هـ) قد بلغ أرض السودان³ ، مما يؤدي بنا القول أن حملاته طالت المنطقة في طريقها وأن الإسلام حتما سيكون وصل مع هاته الحملة.

وقد ساهمت الروح الدينية والأخلاق العالية للفاثحين في تقبل القبائل المقيمة في الصحراء للإسلام مما جعلها تعتنق الدين الجديد بشكل جماعي⁴.

ولم ينتشر الإسلام فقط في المنطقة عبر الفتوحات بل أيضا عبر الحركة التجارية ، لكون المنطقة كما ذكرنا سابقا كانت عبارة عن طريق تجاري مهم ، فقد ساهمت القبائل وخاصة البربرية الساكنة في المنطقة على جلب القوافل إليها عبر حفر الآبار وتوفير الأمن للقوافل التجارية ، فأدى بذلك إلى زيادة الحركة بين شمال الصحراء وجنوبها ووصول الدعوة الإسلامية سلميا إلى أقصى جنوب الصحراء وإلى بلاد السودان⁵.

¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص23 ، انظر أيضا:

Bernard, Saffory ,chronique du Touat,-les reperes pour une histoire –c.d.s gardaia ,algerie,sd,p,01

² محمد بن سوسي ، المرجع السابق ص21.

³ الحاج أحمد صديق ، المرجع السابق ، ص30.

⁴ موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 129.

⁵ محمد عبد العال احمد ، مملكة أودغست الإسلامية ، بحث مقدم للمشاركة في ملتقى الدراسة الإسلامية والغربية بأدرار ، في الفترة ما بين 27 30 نوفمبر 1987 ، ص 06.

وبحكم موقع المنطقة فإنها أصبحت غير بعيدة عن الأحداث التي كان يعيشها شمال المغرب من قيام دول وسقوطها ، وأصبحت بذلك ملجأً للفارين من الحروب والنزاعات بين الدول والقبائل وفي هذا المجال يذكر المؤرخ التواتي محمد بن عبد الكريم البكراوي في كتابه " درة الأقاليم " أن زناتة فروا إلى توات بعد انهيار دولتهم في القرن 4 هـ / 10م ، وأنهم اتجهوا صوب القبلة بعد أن قطعوا ثلاثة عشر رحلة من سجلماصة ونزلوا بأرض بودة ، فاستقروا هناك وحفروا الآبار واستعملوا واد مسعود مرعى لمواشيهم فوجدوا أن المكان آمناً يصلح للسكنى ، فسكنوا وتوطنوا بتوات¹.

وأصبحت توات جزءاً من دولة المرابطين التي أقامتها قبيلة صنهاجة، بعد أن تمكن يوسف بن تاشفين من السيطرة عليها وعلى سجلماصة وقورارة في حدود سنة 450 هـ / 1063م² ، وبعد سقوطها على يد الموحدين سنة 545 هـ / 1147م وصلت إلى توات عناصر من لمتونة وبنو قصر تايلوت بتمنطيط. وهذا الذي يذكره صاحب كتاب البسيط في أخبار تمنطيط الذي ذكر أن إحدى قبائل اللمتون الصنهاجيون هاجروا واستقروا بتمنطيط ، وهم أول من بنى قصرها بعد سقوط دولتهم على يد الموحدين في المغرب³.

وبعد انهيار دولة الموحدين ظهرت ثلاث دول متصارعة فيما بينها هي الحفصية في تونس وشرق الجزائر وعاصمتها تونس ، والدولة الزيانية في وسط وغرب الجزائر ومراكش زائر وعاصمتها تلمسان ، والدولة المرينية في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس ومن أهم مدنها مراكش وحاولت الأخيرة بسط سيطرتها على توات باعتبارها طريقاً تجارياً هاماً لثروات السودان ولتضييق الخناق على الزيانيين في تلمسان ، فقام السلطان المريني أبو سعيد فاستولى على سجلماصة ليفرض سيطرته بعدها على مدن الصحراء الأخرى ومنها توات وقورارة وهذا في سنة 714 هـ / 1314 م ، ويصف ابن خلدون هذه الأحداث بقوله " ونزل الأمير أبو علي بسجلماصة فأقام بها ملكاً ، ودون الدواوين واستلحق واستركب وفرض العطاء واستخدم ظواغن العرب من

¹ محمد بن عبد الكريم ، البكراوي ، المخطوط السابق ، ص 72

² عبد العزيز ، سالم ، المغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 72

³ محمد الطيب بن الحاج بن عبد الرحيم ، ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د-ت ، ص 16.

المعقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنيط وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على ضواحيها ¹.

وفي عهد الدولة السعدية بالمغرب الأقصى استطاع حاكمها الأمير أحمد المنصور الذهبي السعدي أن يفرض سيطرته عليها وهذا في سنة 991هـ / 1581م، ونظرا لأهمية المنطقة في التجارة وخاصة تجارة الذهب قاموا بتعيين قادة يديرون شؤون المنطقة باسمهم ونذكر منهم ² :

اسم القواد	تاريخ إدارتهم
القائد مولاي هيبة الله	1526
القائد العمري	1528
القائد محمد بن أحمد	/

جدول رقم 04 اسم القادة المعينين من طرف الدولة السعدية لحكم منطقة توات

- عن نور الدين بوعبد الله -

كما أسهمت هجرات الهلاليين في توافد القبائل العربية إلى توات منها أولاد إجمد ، الخنافسة أولاد طلحة ، المحارزة ، أولاد يعيش ، أولاد ملوك ، أولاد غانم ، أولاد الحاج ، أولاد عائد وغيرهم من عرب المعقل . وهذا نظرا لكون بيئتهم متشابهة إلى حد كبير مع بيئة المنطقة وفي ذلك نجد قول العلامة ابن خلدون واصفا هجرة عرب المعقل واستيطانهم في المنطقة " فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البیداء فتموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقر مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم تامنيط ثم واركلان ثم تاسبييت ثم تبكورارين شرقا " ³.

¹ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1834.

² نور الدين ، بوعبد الله ، المرجع السابق ، ص 30.

³ عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق ، 1836.

وقد تمكنت هاته القبائل من السيطرة على واحات توات وبودة وتمنطيط وتساييت وتيكورارين فقد تمكنت من أن تفرض عليها أتوات وصارت لها جباية وفرضت نفوذها كاملا على المنطقة¹

وبعد استقرار هذه القبائل العربية انتشرت بينها النعرات والخلافات والحروب، والتي عصفت كذلك بالإقليم في القرن 8هـ، وهاته نعرات خطيرة غذاها ملوك وسلاطين المغرب ومنها ما يعرف بحرب يحمّد وسفيان فانقسم المجتمع إلى قسمين ، وقد أخذت هاته التسمية من الحرب التي دارت في بداية الإسلام بين قريش بقيادة أبي سفيان بن أمية قبل أن يسلم، ونبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقيل أنها لتحريف لكلمة سفيان هي قبيلة من البربر حاربت قبيلة أخرى اسمها يحي فصارت عداوة بين يحي وسفيان.

وقد غذتها الصراعات القبلية والسياسية التي كانت في شمال المغرب بين الموحدين والمرينيين، ثم بين الزيانيين والمرينيين ثم بين الوطاسيين والسعديين إلى غير ذلك ، وكذلك عمل السلاطين في المغرب على إذكائها وإطالة أمدها وهذا لتسهيل سيطرتهم على المنطقة وفي ذلك يقول أحد عاملي السلطان المغربي في وصف الفتنة بين القبائل " أن أهل الصحراء اشتد بينهم القتال مثل الحرب الواقعة بين أحمد - ﷺ - وأبي سفيان"².

واستمر هذا الصراع لفترة طويلة مما أدى إلى استنجد كل طرف بقبائل خارجية وقد كان هذا الصراع بين مناطق بأكملها تضم مجموعة من القصور حتى المتجاورة منها ويصف هاته المأساة صاحب درة الأقاليم " والعجب كل العجب أن تجد بلدين مختلطي النخيل والمرافق ، بحيث يسمع كل واحد نداء مؤذن الآخر ويتعصب واحد بفئة يحمّد والآخر بفئة سفيان ، وأعجب منه يجتمع الشخصان لم يرى احدهما الآخر قط فإذا أخبره أنه من فئة سفيان كرهه أشد الكراهة، حيث كان هو من فئة سفيان ، ولعمري إن هذه لعداوة شيطانية"³.

¹ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب 1418هـ / 1997م ، ص 118.

² محمد بن عبد الكريم ، درة الأقاليم ، المخطوط السابق ، ص 102

³ نفسه ، ص 103

وقد انقسمت المنطقة إلى قسمين فبينما كانت منطقة قورارة في غالبيتها من صف سفيان ، تبعت منطقتي توات وتيديكلت صف يحمى ، بالإضافة إلى هاته الفتنة فإن الإقليم كذلك شهد غارات كثيرة ووحشية أدت إلى عدم الاستقرار السياسي إلا مع بداية 9هـ / 15م ، فمع مستهل القرن 7هـ / 13م حدثت فتنة كبيرة بين أهل توات حيث هجم أهل أقبور على تمنطيط وذلك سنة 620هـ / 1232م¹ ، والحقا أضرارا كبيرة بها وبقصورها .

ولم تعصف الفتن الداخلية فقط بالإقليم بل تعرض كذلك إلى اعتداءات خارجية ، وهذا ما نجده في مطلع القرن 8هـ / 14م وبالتحديد في سنة 705هـ / 1305م ، قامت قبيلة أولاد طالب القادمة من منطقة وادي ريغ* ، بهجوم على قصر تاوريرت ، لكنهم هزموا في المعركة وفروا ، ثم عادو في سنة 708هـ / 1308م بألف رجل وانتقموا من أهل تاوريرت بالإضافة إلى قصور أخرى كقصور الشارف وتيط وقصر عيسى وقصر مبارك ، أفسدوا الأرض وهدموا الأعراس ، استنجد أهل هاته القصور بأهل قصر أولاد سعيد الذين ساعدوهم في كف بلاء أولاد طالب ويقتلوا منهم 100 رجل وفر الباقون².

وفي سنة 1019هـ / 1607م أغارت قبيلة تدعى عريب قدمت من المغرب على مكرة وتيمي وتاسفاوت ، وبني همي وودغاغ³ ، وقد أثرت كثيرا هاته الظروف السياسية والأمنية المتردية في استقرار سكان الإقليم مما أدى إلى نشوء قصور محصنة بشكل كبير ، وهذا لنقص الأمن وكثرة الحروب .

¹ محمد باي بلعالم ، محاضرة بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها ، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1988 ، ص 45 .

وادي ريغ : منطقة تقع بين ولاية وادي سوف وورقلة حاليا ، وهو منخفض طوله مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم ، عرفت عند المؤرخين القدماء كالحسن الوزان بالزاب الأصغر وكذلك تكلم عنها عبد الرحمان بن خلدون ، وهي منطقة عامرة سكنها قبائل وأعراق مختلفة من بربر زناتة وكذا عرب بني هلال وكذلك الزوج الأفارقة .

² محمد باي ، بلعالم ، المرجع السابق ، ص 46

³ صديق الحاج أحمد ، المرجع السابق ، ص 37

ثالثا التركيبة الاجتماعية**1/ المجتمع التواتي :**

إن الموقع الجغرافي لمنطقة توات والذي يعتبر طريقا تجاريا نشطا وهمزة وصل بين أقاليم المغرب في الشمال وبلاد السودان في الجنوب ، وكذلك كونها كانت بعيدة عن مناطق الصراع في شمال المغرب من تصارع الممالك المختلفة ، كل هذا جعلها ملاذا لعناصر وأعراق مختلفة ، وتتمثل في الأساس في عناصر ثلاثة وهي المشكلة لسكان المغرب الإسلامي وهاته الأجناس هي البربري والعربي والزنجي بالإضافة إلى أجناس أخرى جاءت من المشرق كالفرس المتمثلون في البرامكة وعناصر قبطية من مصر ، وقد اختلطت هاته العناصر عبر الزمن بفعل التزاوج بينها وتجانست لتصنع مجتمعا متماسكا ذا عادات وتقاليده واحدة ، وربط فيما بينها خاصة الدين الإسلامي الذي صنع مجتمعا موحدًا متآخيا .

وقد تعايشت في توات هاته العناصر المختلفة حيث ترانبت هاته المكونات الاجتماعية هرميا بفضل القوة الديمغرافية أو المؤثرات الدينية ، وبهذا فقد فرضت هاته المؤثرات نفسها على المجتمع التواتي وأدت إلى نشوء خمسة طبقات متميزة وهي :

أ/ الأشراف:

الشرفاء أو ما يدعى محليا " الشرفة" هي طبقة تحتل المكانة الأولى في المجتمع التواتي ، وهم ينتسبون في الغالب إلى علي ابن أبي طالب من زوجته فاطمة بنت النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهم بذلك ينسبون أنفسهم إلى الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام ولذلك فإن أهل توات يحيطونهم بالكثير من التبجيل والتقدير ، وهذا انطلاقا من حبهم للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد وفد أغلبهم من شمال المغرب العربي

وأشراف توات حسنيون ، حيث لا يخلو قصر من قصور توات منهم من عائلة إلى عدة عائلات ، وكذلك توجد بعض القصور خاصة بهم ، وتملك غالبية الشرفاء البساتين والحدائق التي كان يعمل فيها العبيد والجواري المجلوبين من بلاد السودان ، وقد نالوا احتراما وتقديسا كبيرا من

طرف السكان ، وكانوا يمثلون جماعة مستقلة داخل الجماعة التواتية ، وقد نال الأشراف هاته المكانة في المجتمع من خلال توفر عاملين أساسيين :

1/ العامل الديني :

وهذا انطلاقا من كون الشريعة الإسلامية ألزمت محبة النبي - ﷺ - وجعلتها عاملا أساسيا في الدين الإسلامي ، حيث يقول الله تعالى في محكم تنزيله "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" ¹ ، والمعنى الذي نستقيه حسب رأي أغلب المفسرين هو الإحسان لقربى النبي وحبهم وتبجيلهم . إضافة إلى حب المسلم الفطري وتعلقه بالحيب عليه أفضل الصلاة والسلام وأدى ذلك على حب كل شيء يمت له بصلة إليه - ﷺ - لهذا نرى أهل توات قد انزلوا الشرفاء منزلة عظيمة ، فكانوا يقدمونهم في جميع المناسبات سواء كانت الدينية كالأعياد والحج وكذا المناسبات الاجتماعية كالزواج ، فيتبركون بدعائهم بعد هاته المناسبات وكذا بعد الصلوات المفروضة ، وكل هذا تقريبا من أهل المنطقة بحبهم للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وانطلاقا من محبتهم له ، وهاته العادة من تقريبتهم وحبهم متواصلة إلى اليوم في المجتمع التواتي .

2/ العامل السياسي :

على غرار العامل الديني فإن الخطوة التي نالها الأشراف في منطقة توات لها بعد سياسي كذلك المتمثل أساسا في الصراعات في شمال المغرب ، وخاصة فيما يعرف الآن بالمغرب الأقصى أدى إلى لجوء عدة عائلات شريفة إلى توات لتكون في منأى عن هاته الصراعات ، فمن أوائل الشرفاء الذين حلوا بالمنطقة نجد الشرفاء البكريون في القرن 15هـ / 9م ، وكذلك نجد الغزو السعدي لمنطقة توات وقورارة وتعيينهم قادة على المناطق التي خضعت لسيطرتهم

وكذلك لأهمية المنطقة اقتصاديا سعت الدولة العلوية في المغرب الأقصى منذ قيامها في بداية القرن (11هـ / 17م) ، إلى تثبيت سلطانها في المنطقة على غرار الدولة السعدية ووجهت

¹ سورة الشورى ، الآية 23

حملة إلى ضمها، قادها الأمير محمد ابن السلطان مولاي علي الشريف سنة 1053 هـ / 1654م وأستقر قائدها في توات مدة أربعة أشهر.

وتحدثنا المصادر المحلية أن التعيينات التي كانت تقوم بها السلطنة العلوية في المنطقة كانت تتم عبر الانتماء إلى فئة الشرفاء ، وهذا ما نجده في المخطوط الذي ألفه مولاي أحمد بن هاشم ، الذي يشير فيه عن الامتيازات والإعفاءات الضريبية التي كان يحظى بها الشرفاء في ذلك العهد¹.

وكل هاته الميزات التي كان يحظى بها الشرفاء التواتيون استمرت بعضها إلى غاية اليوم وخاصة فيما يتعلق بالمناسبات الخاصة وتقديمهم فيها ، وكذا الألقاب الخاصة بهم دون سائر أفراد المجتمع حيث كانوا يطلقون على الرجل الشريف التواتي " مولاي " والمرأة التواتية الشريفة اسم " لالة " وهذا تمييزا لهم عن غيرهم .

ب / المرابطون:

يأتون في الرتبة الثانية في السلم الاجتماعي بعد الأشراف ويتمتعون بوضعية اجتماعية جيدة ، وتسميتهم بالمرابطين لا علاقة لها بالمعنى الحقيقي للرباط الذي هو الانزواء والمرابطة والجهاد أو التعليم ، بل هو معنى يطلق على هاته الفئة التي ينتهي نسبها بكبار الصحابة - رضوان الله عليهم - ويطلق مثلا على ذرية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وذرية عقبة بن نافع الفهري - رضي الله عنه - تنسب إليه قبيلة كنتة ، وذرية الصحابي أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - الذي تنسب إليه فروع أنصار توات.

فعلى غرار الشرفاء فإن للمرابطين مكانة مرموقة في وسط المجتمع التواتي بسبب نسبهم الرفيع فلذلك فإن سكان القصور يعظمونهم أيما تعظيم وينزلونهم منزلة عظيمة ، وخاصة للمرابطين الذين لديهم رصيد من العلم خاصة العلوم الدينية فيزيد بذلك قيمته في وسط المجتمع

¹ أحمد بن هاشم ، المحن والشدائد ، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي ، أدغاغ ، ولاية أدرار ، ورقة 01 ومابعد

حيث ليومنا هذا يدعون " بسيدي " وهو لقب يدل على المكانة الرفيعة لهم ، وكذلك يقدمونهم السكان في جميع المناسبات والأعياد وهذا طلبا للبركة والبحث عن الشرعية¹.

وقد كان المرابطون في توات يملكون كذلك البساتين ويستخدمون العبيد المجلوبين من بلاد السودان للعمل فيها فهم يشكلون طبقة غنية في المجتمع التواتي .

ج / الأحرار :

هي الطبقة الثالثة في المجتمع التواتي . وهي أكبر الطبقات من حيث عدد أفرادها ويمثلون بذلك الفئة العريضة في المجتمع التواتي وتعرف بالعوام ، وأفرادها من آباء وأمهات أحرار ينتمون إلى قبائل عربية وبربرية زناتية مختلفة ، ويطلق عليهم في بعض القصور التواتية "بعرب الخلط" وعلى حسب الباحث حاج احمد صاحب كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات الذي يرى أن الذين وضعهم أحمد المنصور الذهبي* في المنزلة بين المنزلتين لما حررهم من النصف من بذل الخراج وإبعادهم عن سلك الجندية²، وتعمل فئة داخل الحوانيت وكذلك في التجارة الخارجية ، ويمتلكون البساتين والجواري والعبيد والملاحظ لهذه الفئة لا يجد أنها تشكل كيانا مستقلا بحد ذاته ، فحدود الفصل بينها وفئة المرابطين لا تكاد تظهر ، حيث من الصعب التمييز بين من ينتمي إلى فئة المرابطين وفئة الأحرار ، خاصة لون البشرة البيضاء أو المائلة للسمر³، ويمثل كذلك أصحاب هاته الفئة أصحاب الشوكة في منطقة توات لما لهم من ثقل اجتماعي واقتصادي.

د / السود :

تنقسم فئة السود إلى قسمين هما الحراطين والعبيد ، وهذا على حسب لون البشرة والأعمال الموكلة لهم وهم كالتالي :

¹ روس دان ، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي ، المواجهة المغربية الإمبريالية الفرنسية ، 1881-1912 ، ترجمة حمد بوحسن ، منشورات زاوية ، الرباط ، 2006 ، ص 46.

* أبو العباس أحمد المنصور بالله بن محمد الشيخ المهدي (957هـ - 1549م / 1011هـ / 1603م) سابع سلاطين الدولة السعدية، ومن أعظم سلاطينها .

² حاج أحمد ، المرجع السابق، ص 56

³ روس دان ، المرجع السابق ، ص 47

1/ الحراطين :

شكلو رابع طبقة تميل بشرتهم إلى السمرة ويطلق عليهم "الحرثانيين" ، وأصل مصطلح "حرطاني" مختلف فيه ، حيث يرجعه البعض إلى العاملين في القطع الأراضي الزراعية فكلمة "حرثانيين" مشتقة من حرثين أي العاملين في الحرث عن طريق الخماسة¹، وهناك رأي آخر يقول أن أصل كلمة حرطاني تعني حر ثاني أي حر من الدرجة الثانية، وهذا تمييزا عن الحر الأول في طبقة الأحرار ، والحر الثاني ينال حرته عن طريق العتق الواردة في القرآن والسنة ، وفي هذا نجد أحد الأقوال للسلوي الناصري إذ يقول " واعلم أنه قد وقع في هذه الأزمان لفظ الحرطاني ، ومعناه في عرف أهل المغرب العتيق ، وأصله الحر الثاني ، كأن الحر الأصلي حر في أول وهذا العتيق حر ثان ، ثم كثر استعماله على الألسنة فقليل الحرطاني على ضرب من التخفيف "².

ونظرا لأن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل من مكانة الطبقتين السابقتين بحكم مولدهم فإن فرص العمل والنشاط كانت محدودة أمامهم ، فالأعمال التي يأنف من مزاولتها الأشراف والأحرار كان الحراطين يزاولونها كبيع اللحوم ودبغ الجلود وتعليم الأطفال بالكتاتيب بجانب الزراعة وبناء المنازل وبعض الحرف اليدوية³.

2/ العبيد :

يشكل العبيد آخر الطبقات في النظام المجتمعي في توات ، وقد كانوا يُجلبون عبر القوافل التجارية من السودان ، حيث كانوا يقايضونهم بالسلع المحلية كالتمر والتبغ . وقد ازدهرت أسواق النخاسة بالإقليم نتيجة الإقبال الكبير على اقتناء الغلمان والجواري واستعمالهم في خدمة البساتين وحفر الفقائير وغيرها من الأعمال الشاقة. والعبيد كان لا يخلو منهم قصر من القصور وأهم عامل زاد من عددهم هو العامل المناخي فارتفاع درجة الحرارة في الصيف التي تتجاوز أحيانا 50

¹ لحسن تاو شخت ، سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الإفريقية على جانبي الصحراء ، مراجعة وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، 1999، ص 226.

² الناصري السلوي ، المصدر السابق ص 58.

³ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 47.

درجة مئوية تجعل العمل في البساتين شبه مستحيل خلال شدة الحر ، لذلك استخدم السكان العبيد للعمل مكانهم في البساتين وكذلك في الأعمال الشاقة أخرى خاصة حفر الفقارة ، فالعبيد كانوا عمود الاقتصاد في توات واليد العاملة له . ورغم الأعمال الشاقة التي كان يقوم بها العبيد لم يكونوا محل اهتمام سادتهم فتعرضوا بذلك إلى أمراض فتاكة¹.

2/ الطرق التجارية:

يعتبر الموقع الجغرافي الممتاز لتوات عاملا مساعدا لتطور التجارة بها ، فهي عبارة ممر طبيعي لتجارة السودان الغربي وبضائع بلاد المغرب الإسلامي ، حيث أصبح الإقليم حلقة وصل بين شمال إفريقيا والسودان الغربي ، وهذا ما ذكرته لنا المصادر التاريخية التي تكلمت عن مدى أهمية المنطقة في التجارة الدولية ومنها ما ذكر عن سلطان مالي ، وبعثه برسالة إلى مشايخ توات سنة 1440 م يخبرهم فيها أن قوافل توات لم تعد تصل إليه².

وقد احتل موقع توات أهمية تجارية كبيرة داخل الصحراء منذ وقت مبكر وكان ذلك نتيجة للأحداث السياسية التي شهدتها المغرب الإسلامي بعد قيام دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن 11 م ، وازدهرت بذلك التجارة بين شمال المغرب وغرب إفريقيا إلى غاية سقوط إمبراطورية غانا التي أدت إلى تدهور التجارة بين مراكش وتمبكتو³.

وسلك التجار التواتيون الطرق الصحراوية المتعارف عليها مابين غرب إفريقيا وإقليم توات ومابين توات وشمال المغرب ، فأصبحت لهم معرفة بأغلب المعابر الصحراوية التي يصعب عبورها خاصة من ليست له معرفة بالصحراء ومن أهم هذه المسالك المشهورة التي اعتبرت بمثابة شريان الحياة الاقتصادية للإقليم نذكر⁴ :

¹ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 47.

² عبد القادر زيادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين ، الجزائر ، 1971 ، ص 152.

³ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ص 29.

⁴ يحي بوعزيز ، الطرق والأسواق التجارية في الصحراء الكبرى ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مؤسسة الفيلج ، الكويت ، 1984 ، ص 138.

أ/ مسلك وادي درعة :

الذي ينطلق من مدينة مراكش في المغرب الأقصى إلى تندوف مروراً بعرق شاش وصولاً إلى تاودني بتمبكتو في دولة مالي حالياً

ب/ مسلك وهران :

ويتجه نحو المشربية وعين الصفراء وفقيق ووادي زوزفانة فتوات وصولاً إلى تمبكتو

ج/ مسلك الجزائر :

الذي يبتدئ من مدينة الجزائر نحو الأغواط والمنيعية وعين صالح وأقبلي وصولاً إلى تمبكتو

د/ مسلك الواحات الشرقية :

يخرج من مدينة بسكرة وتقرت وورقلة مروراً بعين صالح ويصل في النهاية إلى تمبكتو

هـ/ مسلك الصحراء الشرقية :

يمتد من مدينة طرابلس وغدامس في ليبيا مروراً بعين صالح فأقبلي وصولاً إلى تمبكتو

وللإشارة فإن معظم هذه المسالك العابرة للصحراء الكبرى والمتوجهة إلى غرب إفريقيا عبر الناحية الجنوبية الغربية تنتهي بتمبكتو وتلتقي في إقليم توات وهذا لما لهذا الإقليم من أهمية جعلته يرتبط بكل الاتجاهات وينفرد بموقع جغرافي ممتاز وأصبح يمثل نقطة التقاء لطرق تجارية عديدة¹ - أنظر الخارطة رقم 03-

ولم تقتصر القوافل التواتية على التجارة فحسب بل كانت هناك قوافل الحج التي يشترك فيها عدد من التواتيين وجيرانهم وكانت قافلة الحج التواتية تجتمع بمقاطعة عين صالح وتسلك الطريق الشمالي الشرقي التي تمر بمدينة غات² .

¹ محمد حوتية ، المرجع السابق ، ص 146.

² عبد الله كروم ، "الرحلات بإقليم توات" ، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات ، منشورة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007 ، ص 27.

خلاصة الفصل :

إن الموقع الهام لمنطقة توات وشساعة مساحتها ، أدى إلى استقرار هجرات بشرية عديدة عبر مراحل تاريخية مختلفة ، بالإضافة إلى الفارين من الحروب والاضطهاد نتيجة للتغيرات السياسية التي كان يعيشها شمال المغرب ، وقد تحدى الإنسان فيها جميع الظروف المناخية القاسية ونشأ مجتمع نشط في وسط الصحراء ، وتغذى من الطرق التجارية والقوافل التي كانت تنتقل من حواضر المغرب المزدهرة شمالا ، إلى بلاد السودان الغنية بثرواتها جنوبا .

وقد أدى تحول الإقليم إلى مكان تلتقي فيه المجموعات البشرية المختلفة ، إلى حركة عمرانية نشطة فأصبحت منطقة توات مكانا تلاقحت فيه الأساليب الفنية والمعمارية لهاته المجموعات البشرية ، فازدهرت العمارة والفنون لتخلف لنا كنزا أثري وحضاري متميز.

الباب الأول الآثار الثابتة في

إقليم توات:

الفصل الأول: العمارة الدينية

الفصل الثاني: العمارة المدنية والعسكرية

الفصل الثالث: تقنيات الري

الفصل الرابع: مواد وتقنيات البناء

الفصل الأول العمارة الدينية:

أولاً: المساجد

ثانياً: الزوايا

ثالثاً: الأضرحة

تعتبر العمارة الدينية من أبرز أنواع العمارة في الحضارة الإسلامية ، بل يمكننا القول أنه كان لها الحظ الأوفر في الانتشار والتطور ، حتى أن العمران الإسلامي أصبح مختزلاً فيها تقريباً من حيث ازدهارها ، وبلوغ المعماري المسلم فيها درجة عظيمة من الرقي ، ونلاحظ هذا في الكم الهائل من العماائر الدينية في المشرق والمغرب معا .

ولهاته الأهمية للعمارة الدينية خصصنا لها هذا الفصل الذي نتحدث فيه عن أنواعها، في منطقة توات والتي تمثلت أساساً في المساجد والزوايا وكذلك الأضرحة.

أولاً المساجد

اهتم الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى إلى إقامة دور العبادة ، لهذا ظهرت عمارة المساجد تلبية لحاجة دينية وهي الصلاة والتي تعتبر أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتان ، لهذا سعى المسلمون إلى إنشاء المساجد ، وقد أمر الله بالاهتمام لها وإعمارها إذ يقول سبحانه وتعالى "إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"¹ .

وقد كان المسجد منذ نشأته الأولى مؤسسة دينية يلتقي فيه العباد ، وكذلك منشطاً للحياة الاجتماعية والعلمية وحتى كمؤسسة سياسية في بداية الإسلام ، وهو في الوقت قلب الريف وروح الحي في المدينة .

1/ تعريف المسجد:

وهو الموضع الذي يتعبد فيه ، لقوله - عليه أفضل الصلاة والسلام - " وجعلت لي الأرض مسجداً طهوراً"² وهذا من خصائص أمة - محمد ﷺ - لأن الأمم السابقة كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته كالمعابد اليهودية والكنائس المسيحية.³

¹ سورة التوبة ، الآية 18

² أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج1، المكتبة السلفية ، القاهرة ، دت ، رقم الحديث 427، ص 635.

³ سعاد ماهر ، مساجد من السيرة النبوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987، ص 13 ، 14

وقد ورد ذكر كلمة مسجد ومساجد في القرآن في 28 موضعاً بالقرآن الكريم منها قوله تعالى "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"¹، وقال أيضاً عز من قائل "لَمَسْجِدٍ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يَحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ"²، وبما أن السجود أهم ركن في الصلاة وأشرفها، وفيه يكون المرء أقرب إلى الله عز وجل من أي ركن آخر في الصلاة، لهذا أطلق اسم أهم فعل على أهم مكان يقام فيه هذا الركن الذي يعتبر فرضاً على كل مسلم ومسلمة يعزر ويعاقب تاركه.

ولأهميتها الكبيرة فقد وضع الله عز وجل أحكاماً كثيرة ومنها قوله عز من قائل "قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ"³ وقوله عز وجل "وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا"⁴ وفي آية أخرى يقول الله تعالى "بَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"⁵.

أما المسجد الجامع أو المسجد فيعني المسجد الكبير الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة وهو أكبر حجماً من المسجد⁶، فالفرق بين المسجد والمسجد الجامع نجده في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - إلى ولاته ومنها رسالته إلى واليه على البصرة أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - يأمره فيها أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإن كان يوم الجمعة انظموا إلى الجماعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بذلك، وكتب إلى عكرم بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده⁷. وقد أخذ المسجد الجامع أهمية كبيرة في عهد الدولة الأموية في عاصمتهم دمشق، ومثل أهمية سياسية كبيرة للدولة، فقد أمر حكام الأقاليم بإقامة المساجد الجامعة، لتكون بمثابة مساجد الدولة الرسمية يذكر فيها اسم الخليفة ويدعى له من فوق منابرها.

¹ سورة الأعراف، الآية 31

² سورة التوبة، الآية 108

³ سورة الأعراف، الآية 29

⁴ سورة الجن، الآية 18

⁵ سورة الأعراف، الآية 07

⁶ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 282

⁷ سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 14

ويعتبر المسجد النبوي أول مسجد بني في الإسلام ، وقد كان تخطيطه في البداية بسيطاً بما يتفق مع قواعد الإسلام التي تنص على البساطة وعدم التكلف ، وكان في البداية مربع الشكل له صحن مكشوف وظلة في ناحيته الشمالية ، حيث كانت القبلة في السنوات الأولى للهجرة متجهة صوب ناحية المسجد الأقصى ، وبعد تحويلها إلى مكة المكرمة أضيفت ظلة أخرى في ناحية الجنوب وأصبح بينهما سطح مكشوف . فكانت هاته النواة الأولى والمخطط الذي سارت عليه بقية المساجد التي بنيت فيما بعد ، والتي تمثلت في مساجد الكوفة سنة 14 هـ / 636م ، والبصرة سنة 17 هـ / 638م ، والفسطاط التي قام عمر بن العاص ببناء مسجدتها الجامع سنة 21 هـ / 642م ، وقد كانت هاته المساجد كلها في البداية بسيطة في عمرانها وتخطيطها، إذ بنيت كلها بالطين وسطحت بالخليل أو القصب .

وكان المسجد في بداية الإسلام يعتبر كدار للإمامة و للقضاء فهو المركز السياسي والديني والاجتماعي للدولة الإسلامية ، وللاهمية الكبيرة للمسجد في الحضارة الإسلامية فقد أولاه الخلفاء والسلطين أهمية كبيرة من خلال التوسيعات وكذلك الأوقاف المخصصة لعمرانه ورواده من المسلمين.

وقد كانت المساجد الأولى في الإسلام بسيطة وصغيرة ، حيث كانت عبارة عن مساحات من الأرض تنظف وتعين فيها اتجاه القبلة وقد تسور أو توضع لها مؤذنة في بعض الأحيان ، وذلك لأن طبيعة المساجد تتنافى مع الضخامة والإسراف في الزينة ، لأن المسجد ينبغي أن يكون بسيطاً مثل بساطة الإسلام وصفائه¹.

وتطور تخطيط المساجد من المربع المكشوف إلى المستطيل البسيط إلى أن ألحق به أروقة في جهاته الثلاث (ماعدا جهة القبلة) ، وهذا في عهد الدولة الأموية التي نجد فيها أن عمارة المساجد قد أخذت تطورا كبيرا وانتقلت من بساطة التصميم في العهد الراشدي إلى تطور كبير فيه

¹ حسين مؤنس ، المساجد ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، 1981، ص 33

من حيث إضافات كبيرة إلى التصاميم وكذلك بإضافة عناصر معمارية جديدة ، ويظهر هذا في التحفة المعمارية التي بناها الخليفة الأموي الخامس الوليد بن عبد الملك في سنة 78هـ / 697 م ، حيث نرى أن بيت الصلاة فيه قد زادت في حجمها وتم استحداث المجاز القاطع، الذي هو عبارة عن رواق عمودي يتوسط بيت الصلاة ، ويتقدم هذا الأخير قبة وهي الأخرى أدخلت حديثا في تصميم المسجد ، كما تم تزويد المسجد الجامع بمئذنة وهذا عنصر آخر في المسجد سارت عليه مختلف المساجد فيما بعد ، إلا فيما يخص المساجد المرابطية في الجزائر.

كما تم تزويد صحن المسجد الأموي بأروقة في جهاته الثلاث ماعدا جهة القبلة ، أما في بلاد المغرب فنجد أقدم مسجد جامع أقيم هو المسجد الجامع بالقيروان بتونس، الذي استمد ملامحه من الطراز الأموي ، وأعطى كل مؤثراته المعمارية والفنية إلى مساجد المغرب والأندلس ، والتي نستطيع أن نلاحظها ، في المسجد الجامع بقلعة بني حماد بالجزائر والمساجد اللاحقة للموحدين¹ وكذلك في مساجد المرابطين كالجامع الكبير في تلمسان 530هـ / 1136م .

2/ عمارة المساجد في توات :

لقد تأثرت عمارة المساجد في منطقة توات بعدت عوامل ، أولها وأهمها العامل الشرعي من حيث الاقتداء بالنمط النبوي في البناء ، والذي امتاز كما قلنا سابقا في البساطة والبعد عن الإسراف وهذا ما نجده في النماذج المنتشرة في المنطقة، والتي نرى بأنها قد سارت على نفس النمط في التصميم والبناء ، حيث أن المساجد التواتية لم تتبع نفس التخطيط في شمال المغرب والأندلس من حيث التصميم، والتي هي مؤلفة كما قلنا سابقا من صحن كبير محاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، فالمساجد التواتية اكتفت ببيت للصلاة والتي تتواجد به الأعمدة التي تحمل العقود ، وكذلك يتم تزويد المسجد بصحن جانبي أو ما نستطيع أن نطلق عليه اسم المصلى الصيفي حيث يستخدم في فترة الصيف للصلاة.

ونجد أن العمارة المسجدية في المنطقة قد تأثرت بالعامل المناخي ، حيث أن المناخ في الصحراء يتميز بالحرارة الشديدة والتي تكاد تكون طيلة السنة ، وكذلك بالزوابع الرملية التي تزيد

¹ عبد الكريم عزوق ، المعالم الأثرية الإسلامية لبجاية ونواحيها (دراسة أثرية) ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية

السنة الجامعية 2007، 2008، ص 22

من حرارة الجو ، فكلها ظروف قد أثرت في تصميم مساجد الصحراء عموما ومساجد المنطقة خصوصا ، لذا نجد أن المساجد قد روعيت فيها مقاومة الحرارة وهذا من خلال أشكال المباني وتزويدها كما قلنا سابقا في المصلى الصيفي ، وكذا استخدام أسطح المساجد للصلاة في فصل الصيف .

ونجد أيضا أن العناصر المعمارية قد تم تكييفها مع جو المنطقة ونرى هذا في السقوف والتي غالبا من نجدها مستوية ، والفتحات التي يتم تضيقها لتخفيف النور الداخل من خلالها وإضفاء جو بارد داخل المساجد ، وكذلك نجد أن سمك الجدران غالبا ما يكون كبيرا وهذا لتكون مقاومة للرياح وكذا للحرارة .

وقد قام المعمار في الصحراء ومنطقة توات بتقريب المباني بعضها بعض وتسقيف الشوارع المتجهة للمسجد وهذا لتخفيف المعاناة للمصلين المتجهين لها في أداء الصلاة في الحرارة الشديدة ونلاحظ أيضا أن المساجد في منطقة توات قد خلت من العناصر المعمارية والزخرفية المعروفة في المساجد كالقباب والمئذنة وهما عنصران أساسيان في عمارة كل مسجد إلى جانب خلوها من العناصر الزخرفية والرشاقة والعناصر الجمالية .

وقد اتخذ الجامع والمسجد في منطقة توات غالبا ما يكون في مدخل القصة ، وهذا إذا كان المسجد قد شيد في فترة قديمة من بناء القصة ، ويتخذ موقعا خارج أسوارها ، إذا ما شيد في فترة متأخرة من دخول الإسلام ، وقد يكون بناء المسجد خارج الأسوار ليكون مصلى للعبيد كما أن هذه المساجد تضم في العادة إلى جوارها مدرسة قرآنية ، وتبقى الجوامع والمساجد من المباني المميزة داخل القصر أو القصة خلافا لما عرف في المدن الإسلامية ، ولكنه اتخذ موقعا ملاصقا أو مجاورا للقصر تتجه إليه مثل ما سبق وذكرنا جميع أروقة القصر¹

3/ نموذج عن المساجد في منطقة توات - مسجد قصر تماسخت -

يعتبر مسجد قصر تماسخت من بين أهم المساجد العريقة في منطقة توات ، والتي تقع في مركز القصر ، كالمساجد الموجودة في المدن الإسلامية ونلاحظ كذلك أنه احتفظ بشكله وتصميمه

¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 64

البسيط المنبثق من تصميم المساجد المبكرة ، وجاء منسجما مع تصميم القصر وموجودا في أهم شارع به ، فهو مسجد جامع لسكان القصر رغم صغره ، وهذا المسجد يقع في قصر تماسخت .

أ/ موقع مسجد قصر تماسخت وتاريخ بناءه :

مسجد قصر تماسخت هو من بين أهم المساجد في منطقة توات والتي رغم صغر مساحتها إلا أنها تحوي أهم الخصائص الموجودة في المساجد الجامعة المبكرة .

1/ الموقع:

يقع المسجد في وسط القصر تقريبا وهذه سمة غالبية على معظم المساجد في المدن والقصور وحتى القرى ، وذلك نظرا للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب وتوحيد لأطراف القصر فهو محاط من جهاته الشمالية والجنوبية والشرقية بشوارع أما من الجهة الغربية مباني سكنية ، ويطل على جهته الجنوبية دار الشيخ. فللمسجد الجامع مهام عديدة حيث كانت تقام فيه الصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة بالإضافة إلى الدروس الدينية من وعظ وإرشاد وتعليم فكان يلعب دورا أساسيا ومحوريا في حياة سكان القصر ففيه تنشط حلقات العلم ، وتدار شؤون الناس.

2/ تاريخ بناءه:

إن البحث في تاريخ تأسيس قصر تماسخت ليس بالأمر الهين خاصة في غياب الوثائق والمصادر التاريخية والكتابات الأثرية التذكارية التي يمكن الرجوع إليها بخصوص تاريخ المسجد أو القصر، إلا ما وجد من روايات محلية وكذا من خلال مواد البناء وتقنياته وكذلك موقعه بالنسبة للقصر نفسه أي حوالي القرن 9 هـ / ق 16 م .

ب/ الدراسة الوصفية والتحليلية للمسجد :

1/ المظهر الخارجي:

كما قلنا سابقا في موقع المسجد فهو محاط من جهته الجنوبية والشرقية بأزقة إلا أنه لا تظهر لنا إلا الواجهة الجنوبية له بشكل جيد ، وهي عبارة عن واجهة مبنية بالطوب على غرار القصر وبقا البيوت وملبسة بمادة طينية ، وتحوي هاته الجهة المدخل الرئيسي للمسجد ، وارتفاع الجدار

الخارجي للمسجد 2.70م ، أما في الجهة الشرقية وهو جهة القبلة والتي يظهر بعضها فقط توجد بها فتحات للتهوية وكذلك لسماع الخطبة للجالسين خارج المسجد .

2/ المظهر الداخلي :

إن الداخل لقصر تماسخت يلاحظ البساطة التامة في التصميم والتي هي مستوحاة من بساطة الإنسان الصحراوي فعندما ندخل من باب المسجد نجد أنفسنا مباشرة في داخل السقيفة، يقابلنا باب يفضي للمصلى الصيفي الذي يوجد به السلم الذي يؤدي إلى السطح، وعلى يمين السقيفة توجد بيت الصلاة وهي صغيرة لصغر المسجد ، وتتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، يشكلها صفين من الأعمدة التي تحمل عقود غير متقنة الصنع .

أما محراب المسجد فيتميز ببساطة تامة ، فهو خالي من الزخرفة تماما وقد انهار جزء من سطحه ، ويوجد في بيت الصلاة منبر حجري مكون من درجتين في وضعية جيدة وجدران المسجد مطلية من الداخل بالطين، وقد احتوى جدار القبلة على فتحات للتهوية وفتحات صماء لوضع الكتب والشموع للإضاءة ، أما سقف المسجد فهو على العموم في وضعية جيدة إلا الجهة الشمالية الشرقية لبيت الصلاة فقد انهارت ، وقد خضع المسجد لبعض الترميمات مثل إنشاء باب جديد للمسجد وبناء جدران تحت العقود لتقوية السقف .

3/ المخطط العام :

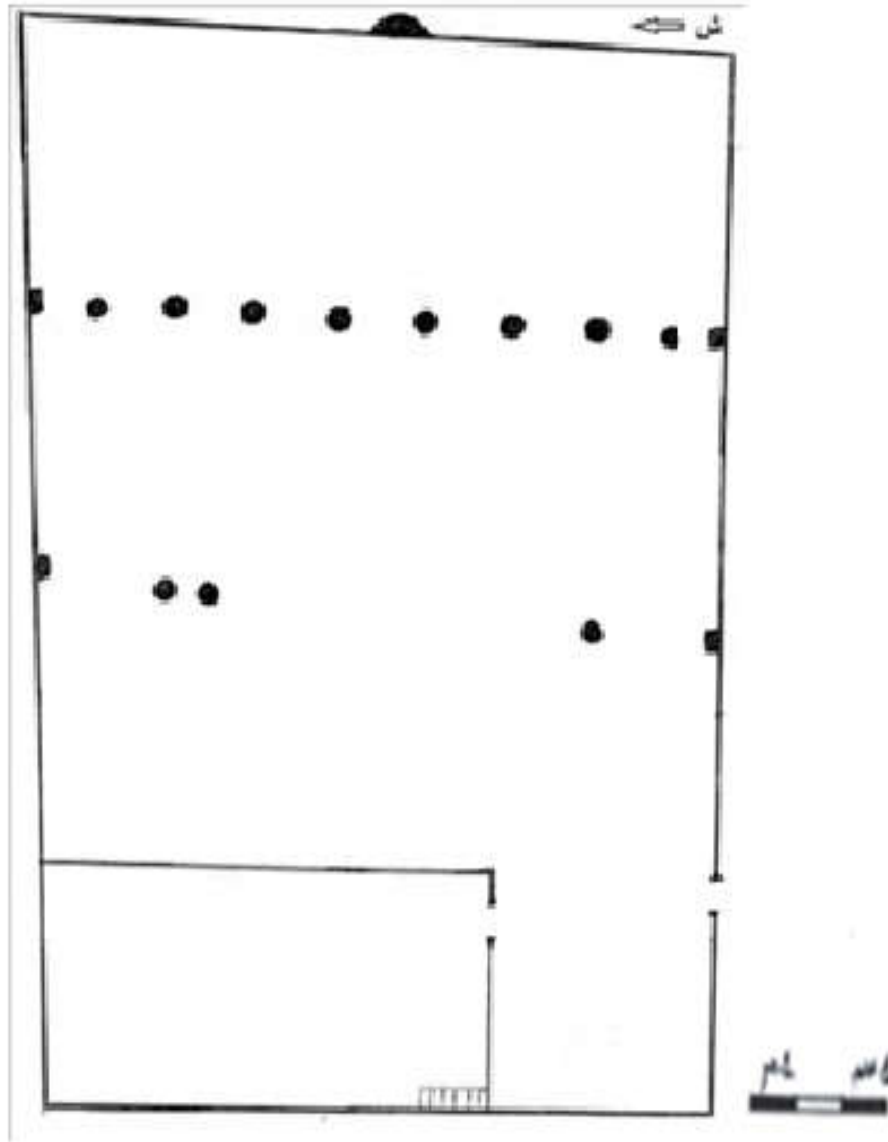
يعد مسجد الرسول ﷺ من الجانب المعماري النواة الأولى لعمارة المسجد وكان يحمل في ثناياه الخطوط العريضة لنمط معماري صار نموذجا يقتدى به . كما كان إرھاصا انتشر فيما بعد في كل أنحاء العالم الإسلامي، يتمثل هذا النمط المعماري في صحن واسع وبيت للصلاة. وعليه شيدت المساجد الأولى ولقد أضيف إلى المساجد الأولى عناصر معمارية أخرى جديدة أصبحت بمرور الزمن عناصر ضرورية في كل المساجد . (الجدول رقم 05).

وقد كانت المئذنة أول عنصر يضاف إلى بيت الصلاة ، ولا يختلف مسجد تماسخت في جوهره وتصميمه عن المساجد عامة ومساجد بلاد المغرب خاصة، لكنه انفرد ببعض المميزات حيث كان للبيئة المحلية أثرها في ذلك و ساهمت بقوة كبيرة في تشكيل العمارة وعليه فقد جاء

مسجد تماسخت على شكل مستطيل غير منتظم ، يتم الدخول من باب واحد من خلال رؤيتنا للمسجد لاحظنا انعدام المئذنة كأغلب المساجد في الصحراء وهذا اتقاءا لحرمة المنازل . لقربها من المسجد واستخدام النساء للسطوح في الأعمال اليومية لذلك كان يتم رفع الأذان من فوق سطح المسجد كما افترقد مسجد تماسخت الميضاة ، وذلك شائع في كل مساجد الصحراء تقريبا ، لكون كل واحد كان يتوضأ في بيته ، وكل غريب كان يتوضأ عند مستضيفه وأيضا لأن الماء كان نعمة يتوجب الحفاظ عليها . (المخطط رقم 01)

المساحة الإجمالية	العرض	الطول / العمق
89.39م ²	8.20م الجدار الشمالي	10.90م الجدار الشرقي
	8.20م الجدار الجنوبي	10.00م الجدار الغربي

جدول رقم 05 يمثل أبعاد مسجد تماسخت



مخطط رقم 01 : مخطط عام لمسجد قصر تماسخت

- من إعداد الطالب -

ج/ المكونات المعمارية للمسجد :

1/ السقيفة :

يعد مسجد تماسخت كغيره من مساجد توات التي توجد بها سقيفة تلي الباب الرئيسي مباشرة تؤدي إلى بيت الصلاة والمصلى الصيفي ، والسقيفة في مسجد تماسخت تتواجد في الجهة

الغربية لبيت الصلاة الجنوبية للمصلى الصيفي ،وهي تعتبر كمؤخرة للمسجد وقد اتخذت شكلا مستطيلا طول ضلعها الشرقي 2.48م والغربي 2.45 وطول ضلعها الشمالي والجنوبي 3.48م (الصورة رقم 01).



صورة رقم 01 السقيفة

2/ بيت الصلاة :

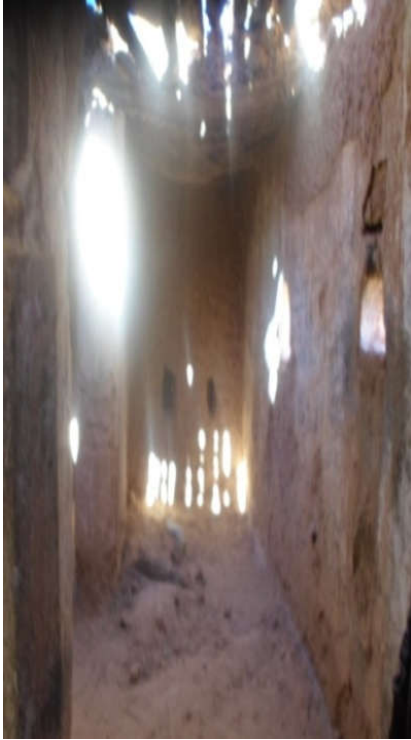
بيت الصلاة هو الجزء المسقوف من المسجد ناحية القبلة ،وقد يسمى أحيانا بجوف المسجد وتختلف مساحتها من مسجد على آخر ، فقد تتكون من صفين من الأعمدة أو نصف المسجد ويمكن

أن تمثل أكثر من ثلثي مساحة المسجد وهذا ما نجده في مساجد الصحراء عامة ومساجد منطقة توات خاصة ، لكون الحرارة الشديدة تتحكم في المعماري والذي يحرص على تغطية أكبر قد من مساحة المسجد إتقاء للشمس ، وهذا ما وقفنا عليه في بيت الصلاة في مسجد تماسخت فقد أخذت شكلا مستطيلا غير منتظم وهي تقع على يمين السقيفة وهي تشكل أكثر من نصف المسجد وتتألف من 3 بلاطات موازية لجدار القبلة مشكلة من صفين من الأعمدة ، (الجدول رقم 06) ، (الوحة رقم 01 الصور أ ، ب ، ج) وتتميز بكونها مكان بارد نسبيا وهذا من خلال الفتحات المتقابلة فيها والتي بواسطتها يتم دخول الهواء والنور معا ، وتتميز بالبساطة في التصميم .

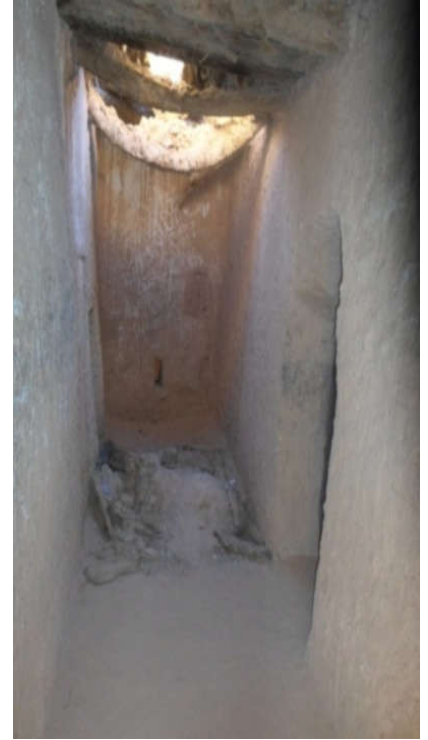
البلاطة	الطول	العمق
البلاطة الأولى	10.90م	1.90م
البلاطة الثانية	10.70م	1.40م
البلاطة الثالثة	10.50م	1.40م

جدول رقم 06 أبعاد بيت الصلاة

- من إعداد الطالب -



صورة ب البلاطة الأولى



صورة أ البلاطة الثانية



صورة ج البلاطة الثالثة في بيت الصلاة

لوحة 01 رقم بلاطات بيت الصلاة

3/ المحراب :

يعد المحراب من العناصر الأساسية للجوامع ، فهو الذي يضفي طابع القداسة عليها وكدليل على القيمة التي يحظى بها هذا العنصر ذكره الله عز وجل في قوله " كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا " ¹ وقوله عز وجل " فخرج على قومه من المحراب " ² .

ويقصد بالمحراب المسجد ³ . ويقال أنه صدر البيت وأكرم موضع فيه ⁴ ، أما عن ظهوره في العمارة الإسلامية ، فقد اختلفوا في تاريخ نشأته وظهوره على الرغم من أنهم اتفقوا على أن المحراب لم يتواجد في المساجد الأولى ، وقد أرجعه البعض إلى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ومنهم من يرجعه إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ويرجعه أكثرهم إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، وكان في عهد إمارته على المدينة المنورة (98هـ - 90هـ) ⁵ .

ولقد كان الغرض في اتخاذه لتعيين اتجاه القبلة ولكي لا يأخذ الإمام صفا بأكمله في الصلاة ⁶ ، ومن الملاحظ أن محراب قصر تماسخت قد تميز شكله بالبساطة الشديدة ، فجاء على شكل فتحة مجوفة في جدار القبلة ذات مخطط نصف الدائري حيث لا نرى المحاريب ذات الرسم المضلع تعلوه حنية خالية من الزخرفة ، وقد شاع استعمال هذا النوع من المحاريب لسهولة تشكيلها ولا تتطلب مهارة مثلها مثل المحاريب في الصحراء .

أما بالنسبة لمقاساته فبلغ ارتفاعه حوالي 2.30م يعلوه عقد حدوي وعرضه حوالي 1.10م أما عمقه فحوالي 1.30م . وتشترك محاريب المساجد الصحراوية ومنها مسجد تماسخت مع بعض الجوامع في المغرب الأوسط في التجويف النصف دائرية ومن أمثلة ذلك محراب الجامع الكبير بتلمسان ، ومصلى قصر المنار بقلعة بني حماد وجامع كتشاوة بالجزائر ، ويكتنف المحراب في

¹ سورة آل عمران ، الآية 37

² سورة آل عمران ، الآية 39 .

³ أم الخير مطروح ، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2004 ، ص 07

⁴ محي الدين زبيدي ، تاج العروس ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1988 ، ص 207

⁵ أحمد فكري ، المسجد الجامع في القيروان ، مطبعة المعارف ، القاهرة 1936 ، ص 57

⁶ ثروة عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ط1 ، القاهرة ، 1994 ، ص 25

مسجد تماسخت عمودان يقومان على قاعدة حجرية طويلة ، وطول كل عمود منهما 1.14م وقطره 0.40م ، وهما مصنوعان من جذوع النخيل ومكسوين بالجص .(الصورة رقم 02)



صورة رقم 02 المحراب

4/ المنبر :

يعتبر المنبر دليل معماري على أن المبنى مسجدا جامعاً. وكلمة "منبر" في لسان العرب هي تعني مرقاة الخاطب وسمي لعلوه وإرتقاعه ، وانتبر الأمير أي على وارتفع¹، ومصطلح "المنبر"

¹ محمد ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة منقحة ومشكلة دار المعارف، القاهرة ، دت ، ص 4328

على حسب الباحث "حسين مؤنس" من الكلمات الدخيلة على لهجة العرب ودخلت عن طريق الجماعة المسيحية في نجران باليمن¹.

أما عن استعمالاته، فلقد كان أول ظهور له في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، حيث كان عليه أفضل الصلاة والسلام يتكىء على جذع نخلة مثبت على الأرض لإلقاء دروسه وخطبه وفي السنة 7هـ / 628م أو 8هـ: 629م، تم صناعة منبر من الخشب وقد صنعه نجار رومي يدعى "باقوم"، وقد صنعه على شكل كرسي من ثلاث درجات وكان الحبيب ﷺ يجلس على الدرجة الثالثة - أي العليا - ويضع قدميه الشريفة على الثانية، أما بكر أبو بك الصديق رضي الله عنه فقد كان يجلس على الدرجة الثانية ويضع قدميه على الأولى، وعندما تولى الفاروق عمر رضي الله عنه جلس على الدرجة الأولى ووضع قدميه على الأرض². وتبعاً لهذه التقليد صنع المسلمون منابرهم.

وقد استعان المعماري المسلم بمواد متنوعة لبناء المنبر وتشكيله، وظهرت المنابر الخشبية والحجرية والرخامية، وأبدع المسلمون في تزيينها بزخارف متنوعة، ومنها تلقى خطب الجمعة لتعليم الناس دينهم ودنياهم، لذلك فقد هيئت لها أماكن خاصة تحفظ بها ولا تخرج منها إلا يوم الجمعة ولمدة معينة.

أما منبر مسجد قصر تماسخت فهو منبر حجري متكون من درجتين، بنيت بالحجارة على شكل درجات السلم، ويقع على يمين المحراب (الصورة رقم 03)، وطول الدرجة الأولى 0.40 وعرضها 0.50م، أما إرتفاعها عن الأرض فقد كان 0.28م، والدرجة الثانية قد كان طولها 0.60م وعرضها 0.50م، وترتفع بـ 0.35م.

¹ حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 84

² فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة، مج1، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، 1994، ص 686



صورة رقم 03/المنبر

5/ الصحن (المصلى الصيفي) (الرحبة) :

يعتبر الصحن ذلك الجزء المكشوف من المسجد، وهو ضرورة معمارية نظرا للحرارة الشديدة التي تمتاز بها أغلب الأقاليم الصحراوية، إذ يستعمل كمكان للصلاة في الليالي الساخنة لهذا فقد احتوى مسجد قصر تماسخت على فناء واحد، وهو يقع في الجهة الغربية للمسجد وقد أخذ شكلا مستطيلا طول ضلعيه الشرقي والغربي 7.46م ، أما ضلعيه الشمالي والجنوبي 3.60م يتم الدخول إليه مباشرة من السقيفة عن طريق مدخل يعلوه عقد نصف دائري وحسب الأهالي فإن هاته المصليات والتي تدعى محليا بالرحبة ، كانت تستعمل كذلك في صلاة الجنائز ، ويمكن أن تستعمل كذلك في صلاة الجمعة حين تمتلئ بيت الصلاة بالمصلين (الصورة رقم 04).



صورة رقم 04 الصحن (الرحبة)

6/ السطح :

تمتاز منطقة توات والصحراء الجزائرية بحرارة شديدة في الصيف لذلك لجأ التواتيون على استغلال الفضاءات التي تعلو المسجد والتي يطلق عليها اسم السطح ، لتستوعب في بعض الأحيان عددا كبيرا من المصلين ، ويتم الدخول إليه مباشرة من السقيفة عبر مدخل يعلوه عقد نصف دائري يوجد به سلم يؤدي إلى السطح (الصورة رقم 05).



صورة رقم 05 السطح

د/ لعناصر المعمارية للمسجد :

1/ المدخل:

تمتاز المداخل في المسجد بأنها قصيرة، كمعظم المداخل في العمارة الصحراوية ويحتوي مسجد تماسخت على مدخلين، واحد رئيسي وهو المدخل الذي يقع في الجهة الجنوبية يبلغ إرتفاعه حوالي 1.75م وعرضه 0.68م (اللوحة رقم 02، الصورة أ) ، والمدخل الثاني هو المدخل المؤدي للمصلى الصيفي (الصحن) ، والذي يبلغ إرتفاعه 1.65م ، وعرضه 0.65م .(اللوحة 02 الصورة ب).



صورة رقم ب مدخل المصلى الصيفي



صورة أ مدخل المسجد

لوحة 02 المداخل في المسجد تماسخت

2/ الدعامات :

إن البساطة في تصميم مسجد تماسخت لم تكن عائقاً في وجه المعماري المحلي ، في استخدام وسائل دعم تتماشى ، وتخطيط المسجد ، لذلك نجد أن المسجد قد زود بدعامات والمميز فيها أنها مدمجة داخل الجدران وهذا للحفاظ على صلابة هيكل المسجد، ويبلغ طولها 1.90م (الصورة 06).



صورة رقم 06 أحد الدعامات في بيت الصلاة

3/ الأعمدة :

لقد استعمل المعماري التواتي الأعمدة في المساجد كغيره من المعماريين المسلمين ، وهذا ما وجدناه في مسجد تماسخت، فقد احتوى على 11 عمودا 8 منهم في الصف الأول من جهة القبلة و3 في الصف الثاني ، وهي أعمدة مبنية بالطين والرمل لإضفاء لمسة جمالية عليها ولكي ، وقد جاءت على شكل اسطواني قطره حوالي 0.70م، أما طوله 2.00م والملاحظ أن هذه الأعمدة جاءت بدون قواعد حيث تقوم على الأرضية مباشرة ، وتعلوها عقود حدوية الشكل (الصورة 07).



صورة رقم 07 أحد أعمدة بيت الصلاة

4/ العقود :

عقد البناء أي إلصاق بعض حجارة المبنى ببعض ، فأحكم إلصاقها ، والعقد ما عقد من البناء¹ ، وهو عنصر معماري مقوس ، ، يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة ويشكل عادة فتحة البناء أو يحيط بها² ، وهو يتألف من عدة حجارة الواحدة منها تسمى فقرة أو صنجة³ ، وتتمثل وظيفته الأساسية في توزيع ثقل السقف والضغط عليه الذي يعلوه ، على الركائز والجدران وهذا يخفف من قوة الشد التي تتعرض لها المادة الإنشائية⁴ .

¹ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، ، إسطنبول ، تركيا ، 1985 ، ص 614

² جمعة احمد قاجة ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ط 1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، دمشق ، 2000 ، ص 334

³ عفيف بهنسي ، الفن الإسلامي ، دار طلاس ، مطبعة الصباح ، ط 1 ، دمشق 1986 م ، ص 489

⁴ نجم رائق ، مدخل لتعليم العمارة العربية ، المدينة العربية مجلة دورية متخصصة ، تصدرها منظمة المدن العربية ، العدد 39 ،

1989 ، ص 97

والملاحظ أن المساجد الأولى في الإسلام، قد خلت من هذا العنصر المعماري، وهذا على غرار مساجد البصرة والكوفة ومسجد النبي - ﷺ - ، حيث كانت السقوف فيها ترتكز على الأعمدة والدعامات مباشرة ، ثم أضيفت العقود لتكون الحاملة للسقف ، وكان أول ظهور لها في مسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف¹

وقد عرفت العماائر الإسلامية أنواع عديدة من العقود ، يبلغ عددها الإثنا عشر نوعا²، فكان لكل إقليم إسلامي نوعه المفضل من العقود ، فقد أستعمل العقود النصف الدائرية لأول مرة في قبة الصخرة³ 72هـ/ 691م، ثم تطورت إلى النصف دائري المتجاوز ، والذي انتشر استعماله بكثرة في العماائر الإسلامية المبكرة إلى أن تضاعف استعماله شيئا فشيئا ، نتيجة ظهور أنواع أخرى من العقود والتي شهدت إقبالا كبيرا من المعماري المسلم.⁴

ثم نجد استعمال العقد المدبب الذي ظهر في المسجد الأموي بدمشق ، والذي انتشر فيما بعد في مساجد إيران "مسجد الشاه في أصفهان"، وكذلك نجده في الهند " المسجد الجامع نيودلهي"⁵ ومن بين أهم العقود ، التي عرفها المسلمون نجد العقد الحدوي ، وهو عقد يرتفع مركزه على رجلي العقد، ويتألف من قطاع دائرة أكبر من نصفها وهذا النوع يكثر استعماله في الأندلس وبلاد المغرب⁶.

كما نجد أن العقود تطورت وأصبحت لها أغراض تزيينية جمالية ، وهذا فوق وظيفتها في حمل السقوف ، ونجد هذا في العقود المفصصة أي العقود التي تتألف من مجموعة عقود متتالية ، ونجد ظهوره في مدينة سامراء العراقية ، وهذا في القرن 9م ، وأيضا نجد ظهور العقود المزينة بالمقرنصات الحجرية والجصية ، مثل ما هو موجود بقصر الحمراء بغرناطة . يعتبر العقد النصف دائري أكثر العقود المستعملة في العماائر الصحراوية ، وكذا العماائر في منطقة توات وهذا

¹ معروف بلحاج ، المرجع السابق ، ص، 238

² عبد السلام نظيف ، الفن الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، د - ت ، ص 134 ، 135

³ فريد الشافعي ، المرجع السابق ، 207

⁴ نفسه ، ص 207

⁵ صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، طح ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1967 ، ص ، 136

⁶ نفسه ، ص 136

لسهولة تنفيذه ونجد ان العقد النصف الدائري المتجاوز قد استعمل في بيت الصلاة ، وكذا في المحراب ، والملاحظ عن هذه العقود غير متقنة الصنع ، ويبلغ ارتفاعها 1.75م ، وتتجاوز ب 0.3م (الصورة 08).



صورة رقم 08 أحد عقود بيت الصلاة

ثانياً الزوايا

لقد كان العرب قبل الإسلام يجتمعون لأغراض التجارة ، أو إنشاد القصائد الشعرية وكانوا لذلك يقومون بتظاهرات سنوية لذلك مثل سوق عكاظ ، ولكن بعد نزول الرسالة المحمدية والتي دعت في أول آية من الكتاب الحنيف للتعليم والتي يقول فيها عز من قائل "إِقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم " ¹.

لهذا كان الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام أول معلم جمع أمته في حلقة لتدريسها تلقينها العلم الشرعي، وكذا العلم الدنيوي في مسجده عليه أفضل الصلاة والسلام، فأخذ الصحابة من علمه فكان هذا إرهاباً للمسلمين عن أهمية العلم في الدين الجديد.

وقد كانت المراكز التعليمية في الفترة المبكرة للفتوحات الإسلامية تمثلت في الكتاتيب وكانت في البداية عبارة عن خيام ، ثم أصبحت بعد الاستقرار دوراً ².

أما منطقة توات فقد شهدت منذ دخول الإسلام إليها حركة علمية تركت أثرها إلى اليوم من خلال المنشآت التعليمية التي نشأت في الإقليم ، والتي تتمثل في الزوايا وكانت الزوايا متواجدة بين المساجد وفي بعض الأحيان لعب المساجد دور الزوايا في التعليم ، وقد قاد هذه الحركة العلمية جملة من العلماء الذين وفدوا للمنطقة وعلموا الناس أمور دينهم ودنياهم .

1/ تعريف الزاوية**أ/ المفهوم اللغوي :**

الزاوية في الأصل ركن البناء، وفي اللغة هي من الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن حياة العامة والأسواق³، ولعل هذا ما يفسر وجود أغلبها في المناطق النائية البعيدة عن العمارة.

¹ سورة العلق، الآية من 01 إلى 05 .

² موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 133

³ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 363

وزوي الشيء أو زواه بمعنى قبض معه ، مما يفيد التركيز والتمكين من الشيء أيضا ، وزوى الشيء أي نحاه وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا¹ ، ويقال أيضا انزوت الجلدة في النار : إذ انقبضت واجتمعت² .

وفي حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - " كانت له أرض زوتها أرض أخرى ، أي قربت منها ، مما يفيد القرب والإحاطة ، كما يعني التهيو أيضا ، زويت الكلام أي حبسته ، وأسررته في نفسي³ . والزاوية كذلك مأخوذة من الفعل انزوى ، ينزوي بمعنى اتخذ ركنا في المسجد ، للاعتكاف والتعب⁴ .

ب/ المفهوم الاصطلاحي :

فالزاوية كانت في بدايتها تعني جزء أو ركن من المسجد ، يخصص للعبادة لكنها مع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا في هيئة دور - جمع دار - تقام للدراسات العلمية والدينية ، وقد اتخذتها الصوفية مكانا لإقامة حلقات الذكر فيها⁵ .

والزاوية كذلك عبارة عن مكان معد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم وتسمى في الشرق خانقاه (جمعها خانقوات أو خانقعات أو خوانق)⁶ ، وفي هذا نجد قول ابن مرزوق التلمساني " ... والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين⁷ ، ولعل هذا ما يفسر أن هذه المؤسسات عرفت في بداية تأسيسها ببلاد المغرب خاصة على العهد الموحيدي ، بدار الكرامة أو دار الضيوف في العهد

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، 364

² نفسه ، 364

³ نفسه ، 365

⁴ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج4 ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، 1996 ، ص

401

⁵ عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية ومدارسها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص 132

⁶ محمد حجي ، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، طر، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ،

1988 ، ص 21

⁷ محمد بن مرزوق ، التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، الشركة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر ،

1981 ، ص 413

المريني¹، ولقد ارتبطت الزاوية في المغرب الإسلامي بلفظ الرباط، وهي مكان يجتمع فيه الناس للعلم والعبادة، وقد كانت وظيفة الرباط أكثر منها حربية، وتعرف في بعض البلاد العربية وإيران بالتكية أو الخانقاة².

والزاوية أيضا مؤسسة يقوم بتأسيسها شخص ذو شأن روحي وشخصية دينية معروفة بالفضيلة، ومشهور بالتقوى والصلاح والعبادة يتولى مهمة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه من المريدين³.

ويمكننا تلخيص التعريفات هاته، في تعريف لشيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله - رحمه الله - إذ يقول في تعريفه لها "الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية، ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية وخلايا سياسية، يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف ويقيمون العلاقات الاجتماعية، والعسكرية والسياسية"⁴.

2/ نشأة الزوايا:

لقد بدأ ظهور الزاوية أولا في المشرق العربي الإسلامي حيث بنى الخلفاء المسلمون الأوائل بيوتا ملحقة بالمسجد كحاجة للمعتكفين والعباد والزهاد وللخوة، ثم نجد ظهور أبنية على أطراف المدن، كمصليات أو مساجد صغيرة، بدون محراب لإقامة الصلوات الخمس فقط - وبقيت تدل على نفس المعنى -، بينما في المغرب فإن الإشارة الأقدم للزاوية، تكمن في زاوية أبي زكرياء يحيى بن يحيى الزواوي، والمؤرخة بـ 611 هـ ببجاية وهذا ما جاء في رواية للقاضي العلامة الغبريني (690 هـ / 703 هـ)⁵، رغم أن الزاوية في هاته الفترة المبكرة والتي أصبحت كنواة كنواة مستقلة إلا أنها موجودة بجانب المسجد و متاخمة له على غرار الزوايا في المشرق الإسلامي، كأنها جزء منه يختلي فيها أحد الصوفية أو العباد وبذلك انفردت باسمها عن المسجد.

¹ محمد حجي، المرجع السابق، ص 21

² محمد بن مرزوق، التلمساني، المصدر السابق، ص 413

³ التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، المنوبة، جامعة تونس (1)، 1992، ص 34

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 18

⁵ أبي العباس بن أحمد الغبريني القاضي، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، ترجمة رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر 1981، ص 118

ثم نجد نوع آخر ذكره الغبريني في مؤلفه الدراية فيمن عرف من علماء بجاية ، وهو زاوية أبي الفضل قاسم محمد القرشي (662 هـ)¹، حيث نرى بأن الزاوية قد انفصلت معماريا عن المسجد وأصبحت لديها الكيان المعماري الخاص بها ، وأصبحت للولي سكنه بها ومكان يجتمع عليه داخلها (الجدول رقم 07).

النمط - أ -	النمط - ب -
زاوية الزواوي	زاوية أبي الفضل القرشي
- الزاوية كمقر خاص لسكن الولي	- الزاوية كمقر لسكن الولي وفقرائه
- الزاوية لم تنفصل كليا عن رحم الجامع	الزاوية كفضاء مستقل معماريا لها باب مستقل
- أهل " الولي " أي أزواجه يتولون الخدمة	- الفقراء والمريدون يخدمون الشيخ
- الزاوية كمكان لاختلاء الولي	- الزاوية تشرف على الإطعام وتربية التلاميذ

جدول رقم 07 مقارنة بين وظائف زاويتي الشيخ زواوي وأبي الفضل القرشي ببجاية

- من إعداد الطالب -

ونشطت حركة بناء الزوايا في المغرب الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة ، في بدايات القرن (7 هـ / 14 م)، وأصبحت إضافة إلى وظائفها في الإطعام وإيواء الفقراء ثم تعليم التلاميذ الصغار ، تتولى نشر وتنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها ، وعمل الخير ، ثم تحولت بسبب الغزوات الخارجية إلى مراكز الدعوة والجهاد.

¹ أبي العباس بن أحمد الغبريني القاضي ، المصدر السابق، ص 118

وقد كثر عدد الزوايا والتي عنت بالجهاد ، وهذا ابتداء من القرن العاشر الهجري ، بعد هجومات البرتغاليين والأسبان ، على سواحل المغرب الإسلامي ، وقد كان لبعض هذه الزوايا ، شأن عظيم تحولت إحداها حتى إلى مملكة وهذا شأن الزاوية السنوسية بليبيا¹

ونلاحظ أن الزوايا قد استمرت في التطور والازدهار ، وتعددت وظائفها إلى أن استقرت وظائفها النهائية وهذا في العهد العثماني (القرن 8هـ / 15م) ، وجمعت بين العبادة والتوجيه والحرب وهذا بسبب حدثين رئيسيين آنذاك ألا وهما ضياع الأندلس في سنة (897هـ / 1492م) والاعتداءات الأجنبية والذي تتمثل في غزو الاحتلال الإسباني لشعور الجزائر ، ثم بعد ذلك الغزو الفرنسي في 1830 م وما صاحبه من حركات تبشيرية ، وقفت لها الزوايا بالمرصاد من خلال التوعية ، والتعبئة الشعبية للمقاومة ، ولهذا نجد أن الزوايا عملت حين ذلك كإحياء للرباطات الحربية القديمة في الجزائر .

3/ نشأة الزوايا بمنطقة توات :

لقد نشأت الزوايا بمنطقة توات على عدد من العلماء الذين عرفوا بالتقوى والصلاح ، خصوصا للتقوى والتدريس ، فتوافد عليها الطلبة من جهات عديدة حتى من خارج المنطقة وهذا لتلقي العلوم الفقهية وكذا الأدبية² ، والدارس للزوايا بالمنطقة يجد بأنها عريقة بعراقة الإقليم بحد ذاته.

فاسم الزاوية مقرون بالمنطقة فالزاوية هي توات وتوات هي الزاوية، فهي لغاية يومنا هذا مشهورة بالعلم والقرآن وتدريسه في زواياها وكذا بشيوخها، ومن الأمثلة التي نجد فيها اقتران أسماء مدن وقرى عديدة باسم الزاوية (الجدول رقم 08).

¹ البوعبدلي المهدي ، "الرباط والفناء في وهران والقبائل الكبرى" ، مجلة لأصالة ، عدد 13، السنة 3، مطبعة البحث قسنطينة ، 1973، ص 21

² فرج ، محمود فرج ن المرجع السابق ، ص 413

الإقليم	الدائرة	البلدية	القرية
قورارة	- تميمون	- تمقطن	- زاوية مولاي هيبة - زاوية الدباغ
	- أوقروت	- أوقروت	- زاوية سيدي عبد الله
توات	- أدرار	- تيمي (أولاد إبراهيم)	- زاوية سيدي البكري
		بودة	- زاوية سيدي بن حيدة
	- فنوغيل	- فنوغيل	- زاوية سيدي عبد القادر
	- زاوية كنتة	- زاوية كنتة	- زاوية كنتة
		- إنزجمير	- زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي
		- سالي	- زاوية بلال
	- رقان	- رقان	- زاوية الحشف
		- رقان	- زاوية الرقاني
تيديكلت	- عين صالح	- عين صالح	- الزاوية

- جدول رقم 08 يمثل أسماء القرى والبلديات المقرون اسمها بالزاوية في توات -

ومن خلال الجدول السابق نلاحظ أن مصطلح الزاوية اقترن بعدة قصور وقرى بالمنطقة ، وخاصة فيما تعلق الأمر بتوات الوسطى حيث بلغ عددها 09 قصور ، وهذا مرده لأهمية وقسية هذه المنشأة في حياة السكان .

ويمكننا تقسيم نشأة الزوايا في إقليم توات، إلى قسمين حسب الوظيفة وكذلك حسب مكان بنائها
أ/ الزوايا حسب وظيفتها:¹

وهي الزوايا التي نشأت لتقوم بدور معين وتنقسم إلى :

1/ زوايا تعليمية:

تتمثل أساسا في الزوايا التي تهتم بتدريس القرآن الكريم للأطفال ، وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية في سائر القصور التواتية ، ويطلق عليها في المنطقة بـ "أقربيش" أو "الجامع" ، وقد لعبت دورا كبيرا في تدريس العلوم الشرعية واللغوية .

2/ زوايا التربية:

وهي مجموعة من الزوايا التي أسسها رجال التصوف ، واعتبرت كأماكن للتربية الروحية لأن الشريعة وظيفتها التربية والتصوف، ولهذا نشأ هذا النوع لتكون أماكن للاعتكاف للمتصوفة .

3/ زوايا الإطعام والإيواء:

وتتمثل وظيفة هاته الزوايا في الإطعام والإيواء ، حيث تقوم هاته الزوايا بوظائف استقبال الضيوف ، وتقديم الطعام لهم وتوفير المبيت وهي منتشرة بكثرة في المنطقة ، وهذا تصديقا لقوله عز وجل " إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا".²

ب/ الزوايا حسب مكان بنائها :

1/ زوايا مبنية خارج القصر:

وهي الزوايا التي تم بناؤها على أرض تم شراؤها، من طرف مؤسس الزاوية خارج القصر وهذا النوع يمثل الأغلبية

2/ زوايا متواجدة داخل القصر:

¹ محمد توختوخ ، الزوايا في إقليم توات (تميمون ، توات الوسطى ، تيديكلت ،) ، رسالة الماجستير في الآثار الإسلامية ، ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2014 - 2013، ص 122 .
² سورة الإنسان ، الآية رقم 09 .

وهي الزوايا والتي تكون داخل القصر ، وتكون أملاكها داخله

ونلاحظ أن جل الزوايا في منطقة توات تحتوي على أملاك خاصة تتمثل في الأراضي الزراعية ، والبساتين والحيوانات ، ومختلف أنواع العقار محبسة وقفا على الزاوية ، كما تمتلك بعض الزوايا مقادير من مياه الفقارة التابعة للقصر¹.

وهذا جدول يبين أهم الزوايا في منطقة توات ومؤسسيها وكذلك تواريخ تأسيسها (الجدول رقم 09).

إسم الزاوية	مكانها	مؤسسها	تاريخ تأسيسها
تيليلان	تيليلان - بلدية أدرار-	سيدي إحمد بن يوسف	ربيع الثاني 1058 هـ / 1648م
زاوية مهدية	مهدية - بلدية تيمي	الشيخ عمر الأصغر	1207 هـ 1787م
الزاوية البكرية	زاوية سيدي البكري - بلدية تمنطيط -	الشيخ عبد الكريم بن عبد الكريم التمنطيطي	1109 هـ 1787م
زاوية مراقن	مراقن - بلدية أدرار -	سيدي محمد السالم	؟
زاوية الشيخ بن عومر	بودة - بلدية بودة-	الشيخ بن عومر	القرن 11 هـ / 18م
زاوية سيدي حيدة	بودة - بلدية أدرار-	الشيخ بوسبع حجات	القرن 11 هـ / 18م
الزاوية الميمونة	ميمون - بلدية تيمي	الشيخ سيدي محمد الصالح	1016 هـ / 1607م
زاوية سيدي إحمادو	زاجلو المرابطين - بلدية زاوية كنتة-	الشيخ سيدي إحمادو	القرن 12 هـ / 19م
زاوية سيدي علي	زاجلو المرابطين -	الشيخ سيدي علي بن	

¹ أحمد بن زبطة ، الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات ، الملتقى الأول للزوايا ، أدرار ، ماي ، 2000 ، ص 02

بن حنيني	بلدية زاوية كنتة-	حنيني	القرن 10هـ/17م
زاوية سيدي الحاج المختار	الجديد - بلدية تامست -	الشيخ سيدي المختار الكنتي	القرن 12هـ/19م
زاوية سيدي باحمو	زاجلو - بلدية زاوية كنتة	الشيخ سيدي باحمو	القرن 12هـ/19م
سيدي أحمد بن سيدي باحمو	زاجلو - بلدية زاوية كنتة-	الشيخ سيدي أحمد بن سيدي باحمو	القرن 12هـ/19م
زاوية الشيخ المغيلي	زاوية الشيخ - بلدية زاوية كنتة -	الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي	القرن 9هـ/16م
زاوية سيدي إحمد الرقاد	زاوية كنتة	الشيخ سيدي أحمد الرقاد	القرن 11هـ/18م
زاوية سيدي مولاي الحسان	مكيد - بلدية زاوية كنتة -	الشيخ مولاي الحسان	1200هـ/1785م
زاوية مولاي عبد الله الرقاني	الزاوية الرقانية - بلدية رقان -	الشيخ مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11هـ/18م

- جدول رقم 09 يمثل توزيع الزوايا في منطقة توات -

- من إعداد الطالب -

ومن خلال هذا الجدول يتبين لنا ما يلي:

نشأت معظم الزوايا في منطقة توات ما بين القرنين 9هـ و 12هـ

معظم الزوايا تحمل اسم مؤسسيها وبعضها تطور لتصبح قرية أو بلدية تحمل اسمه كما رأينا في الجدول السابق .

معظم الزوايا نجدها تقع حاليا في إقليم زاوية كنتة وهي الآن دائرة حسب التقسيم الإداري للولاية ، وهاته المنطقة ، نجدها تتوسط منطقة توات مما ساهم في نشوء عدة زوايا ساهمت في نشر العلم إلى حد يومنا هذا في كامل ربوع الإقليم ، بل حتى في كامل ربوع الوطن.

4/ نموذج عن الزوايا في منطقة توات - زاوية الشيخ أحمد الرقاد* زاوية كنتة**.

زاوية أحمد الرقاد من بين أول الزوايا التي نشأت في منطقة توات وهي بالإضافة إلى عراققتها ، تعتبر من بين الزوايا التي كان لها بع طويل في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ، كما لعبت دورا علميا كبيرا من خلال تخريج كوكبة من العلماء ، وساهمت أيضا في تشجيع الحركة العلمية. فهي ليست من أهم الزوايا في توات فقط بل في كل الجنوب الجزائري وغرب إفريقيا ككل ، حيث كانت منارة للعلم ومصدرا هاما لتخريج فطاحل العلماء .

أ/ تأسيس الزاوية الرقادية

1/ الموقع :

تقع زاوية أحمد الرقاد في الطرف الغربي لقصر زاوية كنتة ، يحدها شمالا ساحة واسعة وجنوبا أبنية سكنية ، وشرقا تحدها قصبة الشرفاء القديمة لقصر زاوية كنتة ، أما غربا فتحدها واحات النخيل .

* هو الشيخ أحمد الرقاد ابن الشيخ محمد الأول المعروف بالرقاد لكرامة وقعت له وهو بن الشيخ أحمد المعروف بالفيرم بن الشيخ عمر بن الشيخ أحمد المعروف بالبكاوي والمدفون بمدينة ولاتة بموريتانيا وهو ابن الشيخ سيدي محمد وهو أول من لقب بالكنتي واليه تنسب قبيلة بنو كنتة ، وهو ابن الشيخ سيدي علي بن الشيخ سيدي ابن العلامة عثمان الملقب دومان ابن عبد الله الملقب بببيهمس المدفون في مستغانم ويدعى هناك عبد الله الشريف وهو ابن شاكرا الذي قتل على يد الرستميين ، وهو ابن الشيخ ابن عمر الملقب بورد العلم الذي قتل على يد الفاطميين ببلاد الزاب ، وهو ابن العاقب ابن عقبة بن التابعي الشهير. أنظر: الرسالة المسماة بكشف النقاب عن أخبار عقبة المستجاب وبعض أخبار أحفاده الأقطاب، دط ، من تأليف عبد المالك بن سيدي محمد من آل الشيخ سيدي عبد المؤمن الرقادي الكنتي التمبكتي والسكان ببلدة أدغا بأدرار..

** قصر زاوية كنتة هو بلدية ومقر دائرة تابعة لولاية أدرار ، تبعد 60 كلم جنوب مقر الولاية على الطريق رقم 06 الرابط بين مدينتي أدرار ورقان ، تضم البلدية 20 قصرا وهم (مكيد، تيوريرين، أدرور، الشباني، زاقلو، عرب، زاقلو مرابطين، أولاد الحاج، تيركانت، زاوية كنتة المركز، زاوية كنتة القصر، مناصير، تاخيفت ، أدمر، تازولت القصر، تازولت القصبة، بوزقزاد، زاوية الشيخ، بوعلي ، أغرممال وأطوى) تشكل فيما بينها سلسلة خطية ممتدة من قصر مكيد شمالا إلى قصر أطوى جنوبا، ويحد البلدية شمالا قصر مكيد التابع لبلدية تامست وجنوبا قصر بوانجي التابع لبلدية إنزجمير وشرقا تحدها لدية تمقطن وغربا بلدية ام العسل ولاية تندوف.

2/ التأسيس :

يرجع تأسيس الزاوية الرقادية إلى سنة 1034هـ/1624م ، حيث جاء الشيخ أحمد بن محمد الرقاد إلى المنطقة بعد ما مر على وادي مسعود، واختط زاويته على الأرض التي اشتراها من قبيلة أولاد جرير ومن أهل عزي والمقاطبة ، فجعل منها مدرسة لتحفيظ القرآن وتعليم العلم و الهداية والدلالة ، وكذلك قام بتدريس العلوم ، وقد اعتمد الشيخ فيها على عدة مناهج للتدريس بنيت على تدرج المستويات ، فكان يرتب دروسه على ثلاث مراحل المبتدئين والمتوسطين وأهل النهاية ، فكان لكل مرحلة برنامجها ومقرراتها وهذا غير تحفيظ القرآن الذي تبنى عليه المراحل الثلاث ، وقد بقي الشيخ أحمد الرقاد في تدريسه وحلقاته العلمية ونشر رسالة الحق إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء أول شوال سنة 1063هـ/ 1651م، وتعاقب بعده عدة شيوخ ساروا على نفس المنهج وفيما يلي هذا الجدول الذي يبين أهم الشيوخ الذي استطاعوا التطوير في الزاوية ، وخاصة خليفته وابنه الشيخ علي بن أحمد الرقاد الذي قام بتوسيع الزاوية حوالي سنة 1100هـ/ 1658م، وتعاقب عليها عدة شيوخ تركوا بصمتهم وواصلوا المسيرة التعليمية إلى غاية يومنا هذا.(الجدول رقم 10)

اسم الشيخ	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة
الشيخ أحمد الرقاد	968هـ/1561م	1063هـ/1651م
الشيخ علي بن أحمد الرقاد	1050هـ/1640م	1125هـ/1708م
أحمد الصوفي	1090هـ/1679م	1222هـ/1807م
علي بن أحمد الصوفي	11140هـ/1727م	1240هـ/1824م
عمر بن علي	1180هـ/1766م	1278هـ/1868م
المختار بن مصطفى الكنتي	1211هـ/1796م	1325هـ/1907م
المحمد بن مصطفى الكنتي	1373هـ/1954م	1433هـ/2012م
محمد بن مصطفى الكنتي	1384هـ/1965م	منذ 2013م تولى الزاوية

- جدول رقم 10 الشيوخ الذين تعاقبوا على الزاوية الكنتية -

- من إعداد الطالب -

ب/ الدراسة الوصفية التحليلية للزاوية :

إن الزاوية الرقادية من بين الزوايا القليلة في منطقة توات والتي ما تزال تحافظ على بنائها الأصلي ، فالملاحظ على الغالبية الكبرى من زوايا المنطقة أنها قد هدمت وأعيد بناؤها من جديد ، إما على نفس الأرضية الأصلية أو اختير مكان آخر لبنائها ، كما أن الملاحظ لزاوية أحمد الرقاد يجد بأنها بنيت في الأساس كمسجد يتم التدريس فيه ، وهذا الأمر موجود في كل الزوايا بمنطقة توات تقريبا ، فالزوايا هي مساجد تستخدم لتلقين الدروس ، فزاوية أحمد الرقاد هو مسجد في الأساس بني ليكون للصلوات الخمس بالإضافة إلى تعليم الطلاب ، كما كان يقعد فيه الشيخ لحل المسائل الدينية والدنيوية للسكان ، أما الطلاب الذي كانوا يفدون على الزاوية فمبيتهم عند أهل القصر ، فكان كل واحد من أهل القصر يتولى توفير الطعام والمبيت لطالب أو طالبين على حسب مقدوره ، وفي عهد ابن الشيخ علي بن أحمد الرقاد كثر الطلبة الوافدين للتعلم في الزاوية ، فتم توسيعها ، وهي أول وآخر توسعة لها إلى أن تم بناء الزاوية الحديثة سنة 1972م.

1/ المظهر الخارجي :

لقد حافظت زاوية أحمد الرقاد على مظهرها الخارجي رغم قدمها ، وهذا بفضل الاهتمام الكبير من طرف القائمين عليها ، فقد تم ترميم الأجزاء الخارجية لها وطلاء جدرانها الأصلية المبنية بالطين بطبقة من الإسمنت وهذا للحفاظ على جدرانها ، وهذا على الرغم أن مادة الإسمنت المستعملة قد تسبب للجدران الطينية بعض الأضرار ، فالجهة الشرقية للزاوية احتوت على نافذة واحدة بالإضافة إلى تجويف المحراب الذي يبدو بارزا إلى الخارج (لوحة رقم 03 ، صورة أ) ، أما الجهة الشمالية فيوجد بها الباب الخارجي للزاوية ، بالإضافة إلى وجود 04 نوافذ للإضاءة والتهوية (اللوحة رقم 03 ، الصورة ب) ، بينما نجد في الجهة الجنوبية مساكن أما الجهة الغربية فيظهر القليل من الجدار الخارجي لها وقد طلي بالجير (اللوحة رقم 03 ، الصورة جـ)

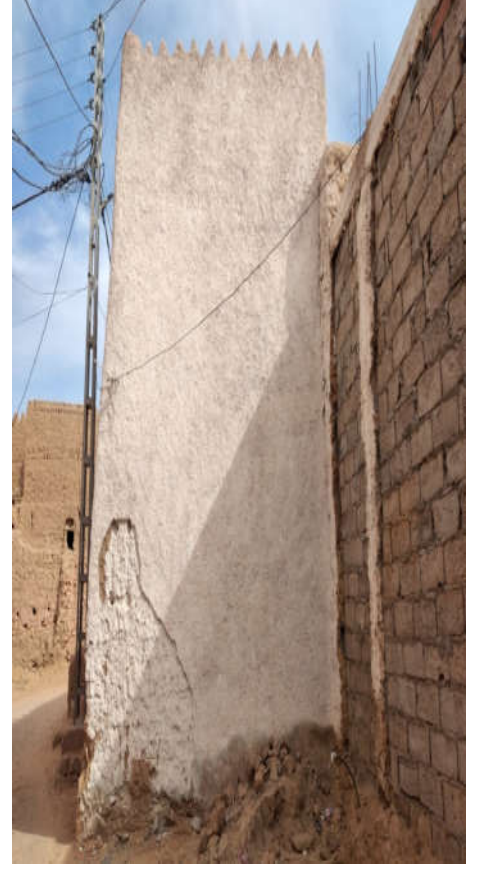
كما يتقدم الباب الخارجي مكان واسع محاط بجدار طيني صغير على شكل نصف دائري فرشت أرضيته بالرمال ، وقد خصص هذا المكان لجلوس الشيخ لإلقاء الدروس بعد صلاتي العصر والمغرب ، وخاصة في الأيام الحارة (اللوحة رقم 03 ، الصورة د) .



صورة رقم أ الجهة الشرقية للزاوية ويظهر تجويف المحراب



صورة رقم ب الجانب الشمالي للزاوية ويحوي المدخل الرئيسي



صورة جـ الجهة الغربية للزاوية

صورة د مكان جلوس الشيخ لإلقاء الدروس

لوحة رقم 03 المظهر الخارجي للزاوية الرقادية

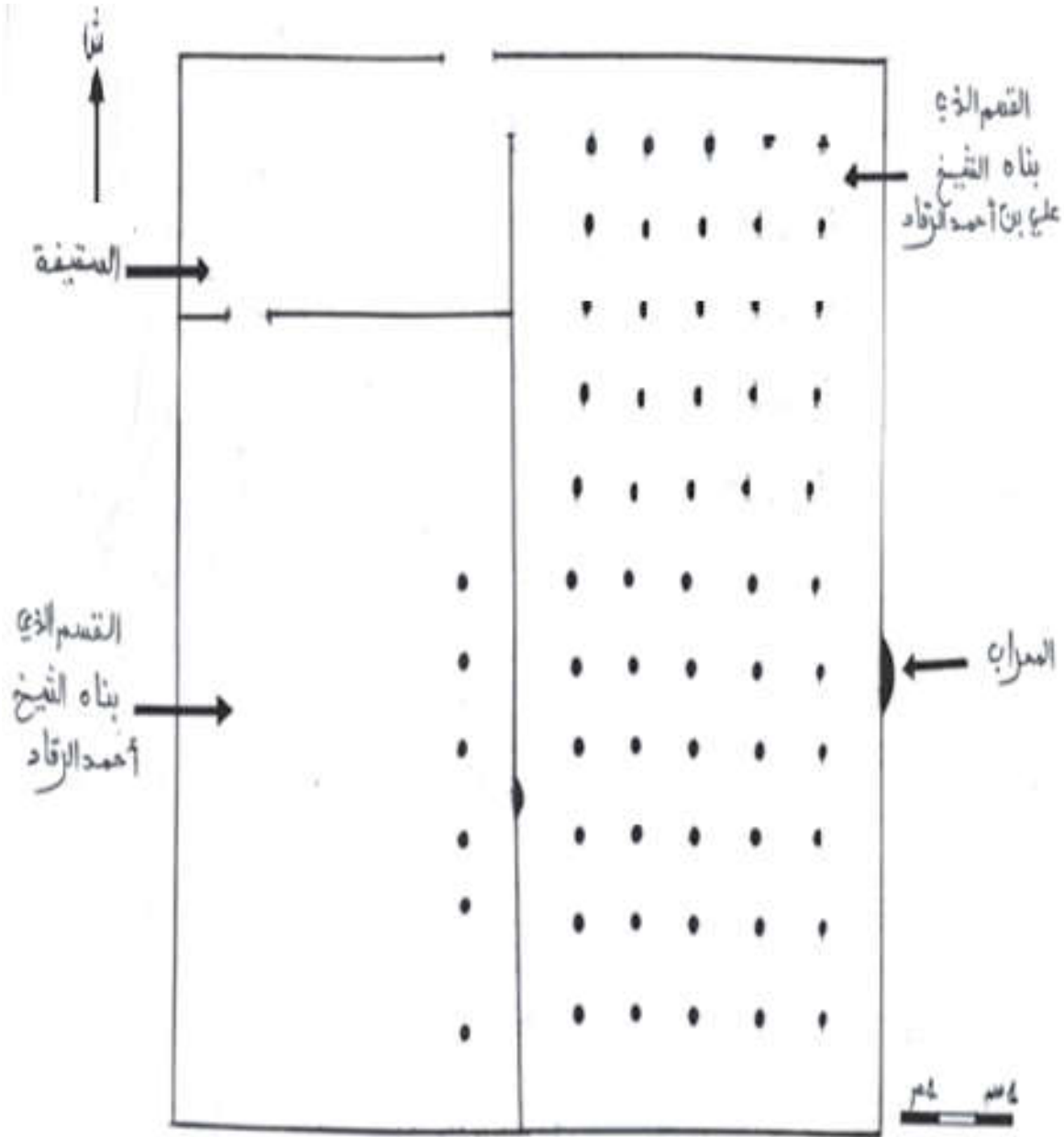
2/ المظهر الداخلي :

على غرار كل مساجد وزوايا توات فإن زاوية الشيخ أحمد الرقاد تتميز بمظهر بسيط ، من خلال تصميمها العام أو من خلال مواد البناء ، وكذلك لانعدام الزخرفة داخلها ، وهاته البساطة جاءت لبساطة المعماري وقلة الوسائل ، وعلى الرغم من هذا فقد استطاع المعماري رغم قلة الموارد أن يؤسس لبناية استطاعت مقاومة الزمان والظروف معا ، وأن يضيف عليها مساحة جمالية من خلال مواد البناء المتوفرة في بيئته المحيطة ، والناظر للزاوية الرقادية يجدها تنفرد بتصميم خاص لا نجده في غيرها من زوايا المنطقة ، حيث تتشكل زاوية أحمد الرقاد من جزأين رئيسيين الأول يتمثل في الجزء الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد ، والثاني في التوسعة التي أضافها ولده الشيخ علي بن أحمد ، وللجزأين باب رئيسي واحد.

كما تحتوي الزاوية على سلم يضفي لسطح به محراب ، وهذه ميزة في المساجد والزوايا التواتية حيث تحتوي غالبيتها على مصليات على أسطحها ، وذلك لاستغلالها للصلاة في الليالي الحارة كما نلاحظ أن القسمين احتويا على محرابين للصلاة بالإضافة إلى المحراب الموجود في السطح وهذا إن دل فإنه يدل على كون الزاوية كانت عبارة عن مسجد وزاوية معا كما قلنا سابقا، فأقيمت بها الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ، بالإضافة على دورها التعليمي.

3/المخطط العام للزاوية :

تأخذ الزاوية شكلا مربعا تقريبا بأجزائها، فهي مقسمة إلى جزأين رئيسيين متمثلين في مسجد الشيخ أحمد الرقاد ومسجد ولده الشيخ علي بن أحمد ، بالإضافة إلى السقيفة الموجودة عند الباب الرئيسي ، وهي حديثة نسبيا بالنسبة للزاوية ، حيث أن السقيفة تقع خلف المدخل الرئيسي مباشرة ، وعلى يمين المدخل يوجد المسجد الذي بناه الشيخ علي بن أحمد الرقاد ، بينما يقابلنا عند المدخل الرئيسي باب المسجد الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد، وتستغل السقيفة في تعليم الصبيان الصغار حاليا ، والملاحظ للمخطط العام يجد تباينا كبيرا من بين جزأي الزاوية حيث الحجم ، وبهذا فإن الأقسام الثلاث المسجد الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد والمسجد الذي بناه ولده الشيخ علي بالإضافة إلى السقيفة يشكلون لحمة عمرانية واحدة ، والتي تشكل بدورها زاوية واحدة كانت مخصصة للصلاة والتعليم وإدارة شؤون العامة معا ، وهي على شكل مربع تقريبا بحيث يبلغ طولها ككل 19,90م وعرضها 16.70م. (المخطط رقم 02).



مخطط رقم 02 المخطط العام لزاوية الشيخ لأحمد الرقاد

ج/ المكونات المعمارية للزاوية :

1/ السقيفة :

ككل المعالم المعمارية في منطقة توات زودت الزاوية بسقيفة ، حتى وكما قلنا من قبل حديثة نسبيا وهذا من خلال مواد البناء المستخدمة فيها ، ويتم الدخول للسقيفة مباشرة من المدخل الرئيسي ، وهي جاءت على شكل مستطيل طولها 4م وعرضها 9.25م، ويوجد بالسقيفة بابين باب

على الجهة اليمنى للمدخل الرئيسي وهو باب المسجد الذي بناه الشيخ علي بن احمد الرقاد ، وباب يقابلنا مباشرة عند دخولنا للسقيفة وهو باب الذي نلج منه للمسجد الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد (الصورة رقم 09).



صورة رقم 09 للسقيفة

2/ القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد :

يتم الدخول لهذا القسم عبر المدخل الذي يوجد بالسقيفة ، ويتكون المسجد من فناء واسع على شكل مستطيل طوله 12.50م وعرضه 10.00م ، مع وجود رواق واحد يتوسطه المحراب وطول الرواق 11.10م وعمقها 1.80م ، ويتشكل من 06 أقواس نصف دائرية غير متقنة الصنع تقوم على أعمدة مربعة ، وقد أستخدم للصلاة ، ويدل على وجود رواق واحد على قلة المصلين في عهد الشيخ المؤسس ، حيث كانت الزاوية حديثة لذلك أكتفي بهذا الرواق للصلاة ، وباقي الفناء

للتدريس والجلوس للاستماع للشيخ ، ويوجد في هذا الفناء سلم يقع على الجهة اليسرى من المدخل يقودنا للسطح (الصورة رقم 10).



صورة رقم 10 القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد ويظهر الفناء مع الرواق الوحيد

3/ القسم الذي بناه الشيخ علي بن أحمد الرقاد :

يقع هذا القسم شرق القسم الأول ويفصل بينهما جدار ، حيث يتشكل من بيت صلاة واسعة على شكل مستطيل طولها 16.42م وعمقها 10:00م وكله مسقوف ويحتوي على 4 بلاطات موازية لجدار القبلة طولها 16.60م وعمق كل واحدة منها 1.76م ، وبلاطة واحدة عمودية على يسار المحراب طولها 10.76م وعرضها 1.30م. (اللوحة رقم 04 الصور أ ، ب).



صورة رقم ب البلاطة العمودية



صورة رقم أ البلاطات الأفقية

لوحة رقم 04 بلاطات بيت الصلاة للقسم الذي بناه علي بن أحمد الرقاد

3/ السطح :

السطح هو ذلك الفضاء الموجود في أعلى المنازل والمساجد في الصحراء، وخاصة في منطقة توات بسبب الحرارة الشديدة التي تعرفها خلال طول السنة تقريبا ، والشيء المميز الذي وجدناه في سطح الزاوية الرقادية وهو وجود المحراب الذي يتوسط السطح ، وقد بني جدار يحيط بالسطح طوله 1.60 م ، تعلوه شرفات مسننة على شكل مثلثات أضفت عليه لمسة غاية في الجمال (الصورة رقم 11)



الصورة رقم 11 السطح

5/ المحراب :

تحتوي الزاوية الرقادية بأقسامها على 03 محاريب للصلاة ، فالمحراب الأول وهو الأقدم ويقع بالجزء الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد ، وهو يتوسط الرواق الوحيد المشكل لهذا الجزء ، وقد جاء هذا المحراب على شكل تجويف داخل الجدار يعلوه عقد نصف دائري غير متقن الصنع ، وهذا شأن معظم المحاريب في المنطقة ، وقد تم طلاؤه بطبقة من الطين والجير مع الجدار ككل وهذا للحفاظ عليه حيث أن الجدار الطيني الذي بني منه بدأ يتآكل نتيجة الظروف المختلفة ، ويبلغ ارتفاع المحراب 2.35م وعرضه 0.81م (اللوحة رقم 05 الصورة رقم أ)،

أما المحراب الثاني فيقع في الجزء الذي بناه الشيخ علي بن أحمد الرقاد وهو يتوسط جدار القبلة لهذا الجزء وجاء كذلك على شكل تجويف داخل الجدار ، ويعلوه كذلك عقد نصف دائري إلا أنه قد تم ترميمه وإضافة طبقة من الإسمنت على شكل تيجان على جانبيه ، وهذا لإضفاء مسحة جمالية عليه ، وارتفاعه العقد 2.50م وعرضه 0.82 (اللوحة رقم 05 الصورة رقم ب).

و المحراب الثالث فيقع على السطح ويتوسط الجدار الشرقي وهو قد جاء كذلك على شكل تجويف نصف دائري ارتفاعه نفس ارتفاع الجدار المحيط بالسطح ويبلغ 1.90م وعرضه 1.07م (اللوحة رقم 05 صورة رقم ج).



صورة ب محراب القسم الذي
بناه الشيخ علي بن أحمد الرقاد



صورة أ رقم محراب القسم الذي
بناه الشيخ أحمد الرقاد



صورة ج المحراب يتوسط الجدار المحيط بالسطح

لوحة رقم 05 محاريب زاوية الشيخ أحمد الرقاد

د/ العناصر المعمارية للزاوية :

1/ المداخل:

تتميز المداخل في الزاوية بأنها مداخل بنيت حديثا على الرغم من أنها بقيت محافظة على النمط الأصلي في البناء ، وتحتوي الزاوية على 03 مداخل ، الأول يتمثل في المدخل الرئيسي للزاوية وهو مدخل بني حديثا ويبلغ ارتفاعه 2.30م وعرضه 1.40م يعلوه عقد نصف دائري ، ويكتنف المدخل عمودان طول كل منهما 2.9م (لوحة رقم 06 صورة أ) ، والمدخل الثاني هو الذي يقع بين السقيفة والقسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد وهو مدخل رمم حديثا أيضا وارتفاعه 2.10م وعرضه 1.30م (لوحة رقم 06 صورة ب) ، أما المدخل الثالث فهو المدخل الذي يقع بين السقيفة والقسم الذي بناه الشيخ علي بن احمد الرقاد وارتفاع هذا المدخل 2.00م وعرضه 1.50م (لوحة رقم 06 صورة ج).



صورة ب مدخل القسم الذي بناه الشيخ علي
بن احمد الرقاد



صورة أ المدخل الرئيسي للزاوية



صورة ج رقم مدخل القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد

لوحة رقم 06 المداخل في زاوية أحمد الرقاد

2/ الأعمدة والدعامات:

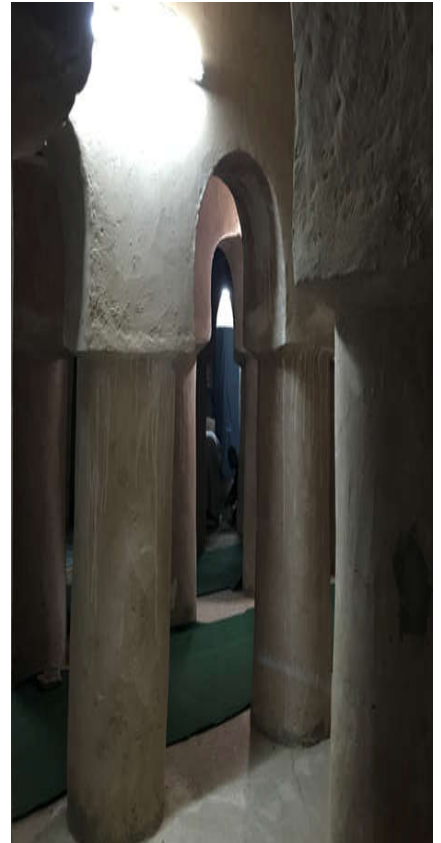
نلاحظ في الزاوية الرقادية وجود نوعين من الأعمدة ، حيث يتمثل النوع الأول ما وجد في القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد حيث يتميز بكونه ذا شكل مستطيل تقريبا حيث طولها 0.70م و0.80م وسمكها 0.58م ، وهي مبنية بالطوب ومطلية بطبقة من الطين والجير ، وهي في حالة جيدة (اللوحة رقم 07 الصورة رقم أ)، أما النوع الثاني من الأعمدة فهو موجود في القسم الذي بناه الشيخ علي بن أحمد الرقاد وتتميز هاته الأعمدة بكونها على شكل أسطواني ، وهذه سمة غالبية في المباني الدينية في منطقة توات ويبلغ عددها 38 عمود ، وطول هاته الأعمدة 1.60م وقطرها 1.00م وهي أيضا قد بنيت بالطوب على شكل أسطواني وتم طلاؤها بالطين ، (اللوحة رقم 07 الصورة رقم ب) ، أما بخصوص الدعامات فهي مدمجة داخل الجدران لهذا لا تظهر إلا دعامة واحدة في القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد وهي تتميز بالضخامة وتحمل السقف والعقود معا ويبلغ طولها 0.82 م وسمكها 1.40م (اللوحة رقم 07 الصورة رقم ج).



صورة أ الأعمدة المربعة



صورة ج الدعامه



صورة ب الأعمدة الأسطوانية

لوحة رقم 07 الأعمدة في زاوية احمد الرقاد

3/ العقود :

على غرار العناصر المعمارية الأخرى فإن العقود في هاته الزاوية اختلفت أشكالها بين الجزأين المكونين للزاوية ، فالعقود في القسم الأول الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد تتميز بأنها عقود نصف دائرية غير متقنة الصنع ويبلغ ارتفاعها 1.95م و اتساعها 0.85م (اللوحة رقم 08 صورة رقم أ)، بينما العقود في القسم الثاني فهي أيضا جاءت على شكل نصف دائري إلا أنها تتميز بكونها عقود لديها لمسة غاية في الجمال وهذا إن دل على شيء فهو يدل على تطور البناء في عهد الشيخ علي بن أحمد الرقاد حيث تم توسيع الزاوية ، وعدد العقود في هذا القسم 36 عقد ، وارتفاع كل منها 2.15م أما إتساعها 0.82م (اللوحة رقم 08 الصورة رقم ب).



صورة ب العقود في القسم الذي بناه

الشيخ علي بن أحمد الرقاد

لوحة رقم 08 عقود زاوية الشيخ أحمد الرقاد



صورة أ رقم العقود في القسم الذي بناه

الشيخ أحمد الرقاد

ثالثاً الأضرحة

تعتبر الأضرحة أو القبور من بين العمائر التي شاع بناؤها على قبور ما يسمون الأولياء والصالحين، فتنوعت أشكالها وطرق بنائها من المشرق إلى المغرب.

ومن أسباب انتشار بناء الأضرحة على قبور الأولياء والصالحين ، هي درجة التقديس والاحترام ، الذي يكنه السكان لأولياء الله في هذه المناطق منذ فترة قديمة، ونلاحظ أن الأضرحة قد شاع بناؤها في الجنوب الجزائري مع مطلع القرن 9هـ / 16م بشكل أكبر ، وهذا على غرار المناطق الشمالية ، وهذا لشيوع الطرق الصوفية وتمكنها وكذا انتشار ظاهرة تقديس الأموات بشكل أكبر.

1/ تعريف الضريح:**أ/ لغة:**

الضريح حسب ابن منظور في لسان العرب هو مشتق من فعل "ضَرَحَ الشيء" بمعنى قطعه وشقه و"ضَرَحَ الرجل" دفعه ونحاه ، و"ضَرَحَ الثوب" أي ألقاه في الأرض ، و"المُضْطَرِخُ" وهو الملقى في الأرض ، دفن في قبر أو شق ، و"الضَرِيخُ" هو الشق الموجود داخل القبر ويقال هو القبر ويقال أيضا عن الميت حفر له "ضَرِيحا" وجمعها "أضرحة" ، ويقصد بذلك المبنى الذي يقام على الميت¹ .

ب/ اصطلاحاً:

هو المكان الذي يدفن فيه شخصية عامة ومعروفة، أمثال الحكام والملوك والخلفاء، وكذلك من الصالحين أو العلماء، ولهذه الكلمة "ضريح" مصطلحات مماثلة عدية منها كلمة "مشهد" ، وهي كلمة تطلق في مناطق إيران والعراق ، كما نجد استعمال كلمة "تربة" عند الأتراك العثمانيين ، وأيضاً من بين المسميات التي استعملت في المشرق له "إمام زاد" أو "شاه زاد"

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 526

أما في البلاد العربية الأخرى يطلق عليه "المقام" للدلالة عن المدفن، وهذه التسمية مأخوذة من قوله عز وجل "فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً" ¹

أما الكلمة الأكثر شيوعاً هي "القبة" وقد جاءت من نوع التسقيف الذي يعلو الضريح والذي يأخذ شكل القبة، أطلق اسم الجزء على الكل.

وكذلك من بين التسميات نجد "المزار"، وتعني المكان الذي فيه قبر أحد العلماء أو الأولياء الصالحين، ومن المصطلحات التي شاع استعمالها لمكان الدفن "الحويطة"، وهي كلمة تطلق على جدار من الحجارة المصقولة يحيط بالقبر. ²

2/ نشأة الأضرحة وتطورها :

لقد عني الإنسان ومنذ أقدم العصور، على اتخاذ القبور والبناء على موتاه، وتطورت أشكالها وأحجامها وطريقة بنائها بتطور البشر الحضاري، ومن أبرز أشكال الأضرحة التي برزت في الفترات المبكرة للحضارة الإنسانية، نجد المدافن والتي أطلق عليها "المسكن"، وهي عبارة عن مناضد حجرية تتكون من عدة غرف، والتي يبلغ ارتفاعها بين متر وثلاثة أمتار كما وجدت أشكال أخرى عبارة عن مغارات في الصخور. ³

ونلاحظ أن عمارة الأضرحة قد عرفت تطوراً كبيراً في عهد الفراعنة، لإيمانهم الكبير بالحياة بعد الموت، لذا نجد المقابر التي تمثلت في الأهرامات الضخمة والتي حوت العديد من الأواني والاحتياجات الخاصة بالميت لرحلته بعد الموت، فقد كانت من أعظم المباني الجنائزية في تاريخ البشرية. ⁴

ونرى في العصر الروماني ظهور ثلاثة أنواع من الأضرحة وهي التي على شكل أقبية تحت الأرض، وكذا المقابر التذكارية المستديرة المحاطة ببوائك لها سقف مخروطي وأخيراً

¹ الآية، 97، من سورة آل عمران.

² محمد بن سويس، المرجع السابق، ص 137

³ عبد الجواد أحمد توفيق، تاريخ العمارة في الفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، د.ت، ص 74.

⁴ عفيف بهنسي، العمارة عبر التاريخ، ص 92

الأضرحة الهرمية التي أدخلت إلى روما بعد احتلالها لمصر.¹ ، ثم نجد الأضرحة السورية ما بين القرنين 6 و 4 ق .م بشكلها المكعب الذي يعلوه سقف هرمي صغير ونجد أمثلة على ذلك في حلب وأنطاكية².

وفي الفترة الإسلامية نجد غياب بناء الأضرحة على القبور في بدايته، وهذا لكرهية بناء الأضرحة في الإسلام*، لذلك نجد الفترة المبكرة والتي تمثلت في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي قد خلت من الأضرحة فوق القبور، وهذا لكونهم حديثي عهد بالإسلام.

وبعد انتشار حركات التصوف، وتسرب التأثيرات من الديانات الأخرى وتأثر المسلمين بها، بدؤوا في بناء الأضرحة وتشبيدها، ونلاحظ أن أقدم ضريح في المشرق ضريح "البرمكية" والذي بناه الخليفة هارون الرشيد في سنة (187هـ / 812م)، على أمه من الرضاعة أم الفضل بن يحيى البرمكية إكراما لها، وبقيت آثارها إلى غاية 1911 م واندثرت³.

ومن أقدم النماذج للأضرحة في العهد العباسي والتي مازالت قائمة إلى يومنا هذا نجد ضريح الخليفة المنتصر، المتوفى سنة (245هـ / 822م) في مدينة سامراء، والمعروف بالقبة الصليبية، وقد دفن فيه أيضا الخليفة المعتز بالله (255هـ - 869م) والخليفة المقتدر بالله (32هـ - 932م)، أما في بلاد الشام فبناء الأضرحة جاء مع قدوم السلاجقة خلال القرن 5هـ / 11م.⁴

ثم نجد أن عمارة الأضرحة قد نالت أهمية كبيرة في عهد الدولة الفاطمية بمصر (358هـ / 565م - 969 / 1171م)، حيث اقترنت خاصة بالمزارات العلوية للخلفاء الفاطميين، لهذا نجد أن الخلفاء الفاطميين اهتموا بها وجعلوها مزارات للشيعة قصد التبرك بها. ومن بين أهم

¹ عبد الجواد أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 32.

² كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب لقااهرة، 1982، ص 97.

* نلاحظ أن كراهية اتخاذ البناءات على القبور في أحاديث كثيرة ومنها قول الحبيب عليه السلام، مما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه"، وفي حديث آخر يقول عليه أفضل الصلاة والسلام "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد"، أنظر فتاوى الشيخ أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمان قاسم، المجلد 27، طر، الرباط، 1981، ص 09.

³ عبد القادر دحوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، ج1، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009 / 2010، ص 365.

⁴ نفسه، ص 366.

الأضرحة نجد ضريح الجبوشي ، ومشهد السيدة رقية (527هـ - 907 م)¹، وكذلك ضريح السبع بنات ، تصميمه عبارة عن حجرة مغطاة بقبة وتفتح واجهاتها الأربع بعقود مدببة².

وتطورت عمارة الأضرحة في العهد الأيوبي والمملوكي وربطوه بعمارة المدرسة ، فكان يلحق بالمدرسة ضريح مؤسسها ، مثل مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب (648هـ / 1250م)³.

أما في بلاد المغرب فقد اهتم الملوك والأمراء وكذلك السكان ، ببناء الأضرحة على قبور الأولياء والصالحين ، إلا أن غالبيتها مجهولة التأسيس⁴ ، وأقدم الأضرحة المعروفة والتي تميزت بوجود القبة نجد قبة سيدي بوخريسان (486هـ - 1093 م) ، ثم تليها قبة الباروديين بمراكش المشيدة فيما بين (514هـ - 525هـ / 1120م - 1130م) ، يليها ضريح المهدي بن تومرت والذي تذكر المصادر بأنه ابن عبد المؤمن بن علي الموحي (524 - 558هـ / 1130م - 1163م)⁵

وقد أخذت القباب في المغرب الإسلامي شكلا موحدا تقريبا ، سارت عليه وهو المربع تعلوه قبة وعلى واجهاته الأربع فتحات عبارة عن عقود ، واستعمل هذا التخطيط لأول مرة في مدينة باليرمو الإيطالية⁶.

وانتشر بناء الأضرحة بوتيرة أكثر مع بداية العهد العثماني وانتشار الطرق الصوفية وأصبحت تقليدا شائعا في المدن والأرياف ، فكان كلما يموت إمام أو عالم أو زاهد بنى الناس فوقه قبة واتخذوه مزارا ، حيث كلما اتجهنا يقابلنا ضريح أبيض تعلوه قبة خضراء . لهذا نجد إعتمادا بالغا من الباشوات والبايات وغيرهم من القادة الأتراك اهتماما ورعاية بالغة ببناء الأضرحة

¹ محمد السيد محمد أبو رحاب ، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين ، دراسة أثرية معمارية ، دار القاهرة 2008 ، ص 482

² محمد بن سوسي ، المرجع السابق 125

³ محمد السيد محمد أبو رحاب ، المرجع السابق ، ص 483

⁴ مصطفى سالم ، الأطلس الأثري لإقليم الزاب في العهد الإسلامي (يسكرة نموذجاً) ، مذكرة ماجستير معهد الآثار جامعة الجزائر 2008 ، ص 39

⁵ عبد القادر دحوح ، المرجع السابق ، ص 366

⁶ كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص 97

خاصة تلك المرتبطة بالأولياء الصالحين.¹

3/ الأضرحة في منطقة توات:

إن منطقة توات لكونها منطقة انتشرت فيها الطرق الصوفية بقوة ، فإن الأضرحة هي الأخرى انتشرت في جميع قصورها ، حيث لا يخلو قصر من القصور من مقبرة والتي يتواجد فيها ضريح مميز بقبة عن غيره ، وهذا دليل على أن صاحب القبر له شأن لدى أهل القصر ، وهناك نوعين من الأضرحة يتواجدان في المنطقة بينهما الباحث قوربي " Gourbis " ² .

النوع الأول :

بناء مربع الشكل تعلوه قبة

النوع الثاني :

شكل هرمي ، وهو متأثر جدا بشكل القبور في مالي وبلاد السودان الغربي

4/ نموذج من الأضرحة في منطقة توات - ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان :-

أ/ التعريف بشخصية سيدي عمر بن عبد الرحمان:

هو الشيخ العالم سيدي عمر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن سيدي أحمد بن يوسف* التتلائي، ويدعى كذلك بسيدي عومر ولد سنة 1152هـ / 1739م بقصر تنيلان** ودرس في زاويتها وتخرج منها ، ومنها ارتحل وبنى زاوية خاصة به وسماها المهدية ، وفجر بها المياه

¹ عبد القادر دحوح ، المرجع السابق ، ص 366

² محمد بن سويسي ، المرجع السابق ، ص 128

* الشيخ أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين الونفالي دارا العثماني نسبا - نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه - هو من بين أهم الشخصيات الدينية التي كان لها دور كبير في منطقة توات ، ولد بقصر أولاد ونقال سنة 1002هـ / 1594م ، ومنها انتقل إلى قصر تنلان وأسس مسجدها سنة 1058هـ / 1648م ، وتوفي سنة 1078هـ / 1668م ، أنظر محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ج 1، ب، ن ، 2005، ص 33 . أنظر أيضا : أحمد أبا الصافي جعفري ، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13هـ أعلامها مواطنها ومساراتها مضارها وخصائصها الفنية ، ج 1، ط 1، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009 ، ص 33

** قصر تنيلان هو من القصور العتيقة في منطقة توات وهو يقع حاليا غرب مدينة أدرار وتابع إقليميا لبلدية ادرار ، وكلمة تنيلان كلمة بربرية تعني مكان الأحرار أنظر محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص 11

وغرس البساتين وحبسها على ابن السبيل ، وقد أقام بهاته الزاوية مدرسا للطلبة إلى أن توفي سنة 1221هـ/1806م¹ .

ب/ الموقع:

يقع الضريح في قصر مهدية* ويتوسط القصر حيث يقع إلى الشمال منه المسجد الذي أعيد بناؤه حديثا ، وفي الجهة الجنوبية منه يوجد بستان نخيل ، وفي الجهة الشرقية تحده منازل ، أما الجهة الغربية وهي الجهة التي فيها المدخل الرئيسي للضريح توجد ساحة صغيرة .

ج/ الدراسة الوصفية التحليلية للضريح :

1/ المظهر الخارجي :

إن ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان كغيره من الأضرحة في منطقة توات يأخذ شكلا مربعا تعلوه قبلة مخروطية الشكل ، وهاته القبلة ذات تأثيرات إفريقية وتتميز بارتفاعها ، وقد بني الضريح بالمادة الأولية المتوفرة في البيئة المحيطة وهي الطين وتم طلاؤها باللون الأبيض ، وهي سمة مميزة للأضرحة في المنطقة حيث يتم طلاؤها باللون الأبيض لتمييزها عن غيرها من المباني وكذلك لإضفاء القدسية عليها ، فاللون الأبيض يرمز للصفاء والإخلاص ، كما أن اتخاذ القبلة العالية وبناء الأضرحة في مدخل القصور هو لاعتقادهم بأنها تحمي أصحاب القصر، وكذلك لإظهار رهبة المتوفي في عيون الزائرين أو من يريد الشر بأهل القصر ، وللضريح مدخلين واحد في جهته الجنوبية وهو المدخل الرئيسي وواحد في الجهة الشرقية يؤدي للمسجد . (الصورة رقم 12).

¹ محمد باي بعالم ، المرجع السابق ، ص 53

* قصر مهدية هو القصور التي عمرت حديثا نسبيا في منطقة توات اول من بنى فيه الشيخ سيدي عومر بن عبد الرحمان زاويته سنة 1210 / 1796م ، وهي الآن قرية كبيرة تتبع إقليميا بلدية تيممي أولاد إبراهيم دائرة أدرار وتبعد عن مقر الولاية ب4 كلم ، يحدها من الشمال قصري بوزان وكوسان ، ومن الجنوب سبخة تمنطيط ومن الشرق قصر أولاد بوحفص ومن الغرب قصر تسفاوت..



صورة رقم 12 المظهر الخارجي لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

2/ المظهر الداخلي :

إن ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان يتميز بكبر حجمه مقارنة بالكثير من الأضرحة حيث يتكون هذا الضريح من 04 قاعات للدفن وهذه ميزة وقفنا عليها في هذا الضريح ، فبعد دخولنا مباشرة نجد رواقا طويلا به مداخل قاعات الدفن حيث تقع الأولى على الجهة اليمنى ثم نجد القاعة الرئيسية والتي تحوي قبر الشيخ عمر بن عبد الرحمان مع فردين من عائلته ، ثم يقابلنا مباشرة مدخل يضيفي إلى رواق طويل يحتوي على عدة قبور لرجال ونساء وأطفال ، ومنه نلج لرواق آخر يحوي بدوره عدة قبور ، فهذا الضريح كان مخصصا في البداية للشيخ عمر بن عبد الرحمان وأفراد عائلته ، ولكن تم دفن أفراد عائلته معه بالإضافة إلى المقربين منه ، وهذا ما وجدناه في العديد من الأضرحة في المنطقة ، ويحتوي الضريح على العديد من المداخل التي تربط بين الغرف المشكلة له وهي تتميز بالقصر ، كما تم فرش أرضيته بالبلاط حديثا وتكسية جدرانه ، وهذا ساهم في الحفاظ عليه ، كما نلاحظ أن السقف الخشبي الأصلي قد تم غزالته وتعويضه بتسقيف حديث معدني (صورة رقم 13).



صورة رقم 13 أرضية الضريح ويظهر السقف المعدني الحديث

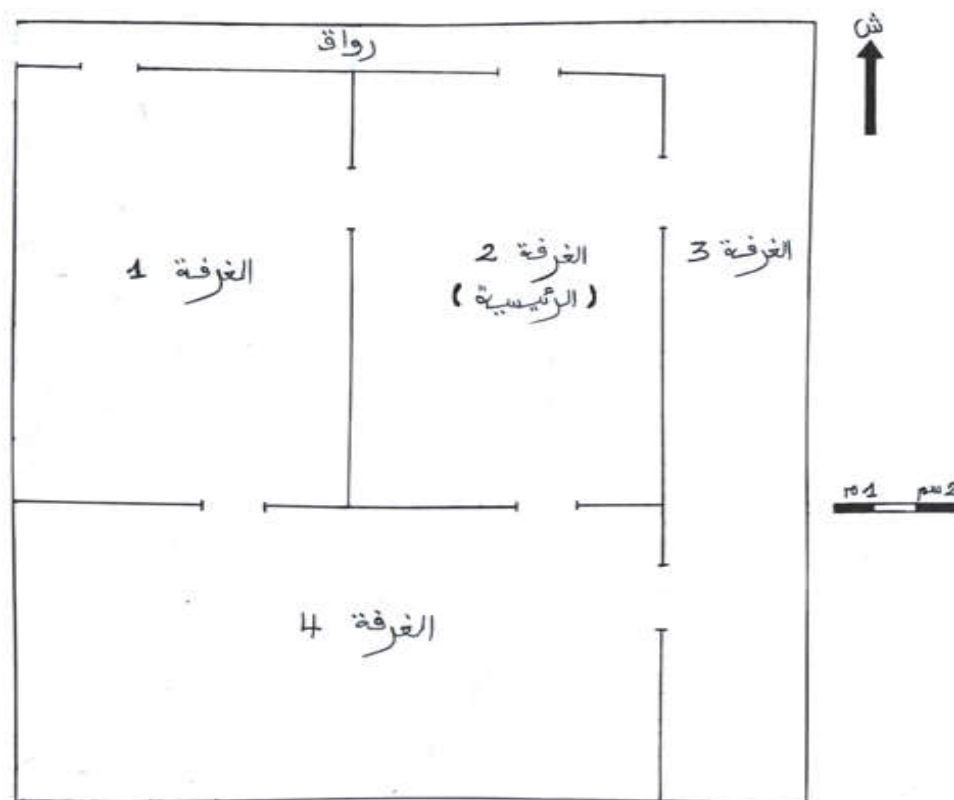
3/ المخطط العام :

يأخذ ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان شكلا مربعا، فيبلغ طوله 9.60م وعرضه 9.70م ويتشكل من رواق طويل عند المدخل طوله 6.90م وعرضه 0.92م ، تتوزع فيه عدة غرف ، حيث كل غرفة منها تحوي عدة قبور ، ويربط بينها مداخل قصيرة ، وأكبر غرفة هي الغرفة الرئيسية التي تحوي قبر الشيخ عمر بن عبد الرحمان وتعلوها القبة المركزية للضريح (الجدول رقم 11) (المخطط رقم 03) (اللوحة رقم 09 الصور أ ، ب ، ج ، د).

عدد القبور بها	أبعادها		موقعها	الغرفة
	العرض	الطول		
04 قبور	4.00م	4.08م	تقع على يمين المدخل مباشرة	الغرفة الأولى
04 قبور	4.00م	4.78م	تقع شرق الغرفة	الغرفة الثانية

(الرئيسية)	الأولى		
الغرفة الثالثة	هي على شكل رواق وتقع شرق الغرفة الرئيسية	9.70م	2.87م
الغرفة الرابعة	على شكل رواق وتقع غرب الغرفة الثالثة و جنوب الغرفة الأولى والغرفة الرئيسية	6.92م	1.83م
			07 قبور
			09 قبور

جدول رقم 11 الأجزاء المشكلة لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

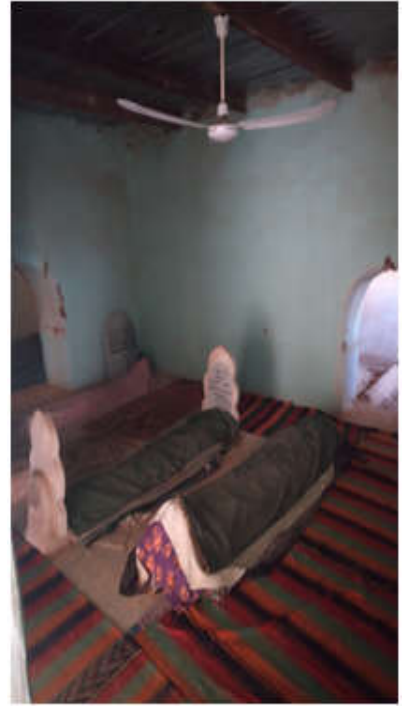


مخطط رقم 03 المخطط العام لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

- من إعداد الطالب -



صورة رقم ب الغرفة الثانية (الرئيسية)



صورة أ الغرفة الأولى



صورة د الغرفة الرابعة



صورة ج الغرفة الثالثة

لوحة رقم 09 الأجزاء المشككة لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

د/ العناصر المعمارية للضريح :

1/ المداخل :

يحتوي ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان على مدخلين رئيسيين الأول يتمثل في مدخله الذي يقع في الجهة الغربية ويبلغ طوله 1.90م وعرضه 0.90م وتتقدمه درجة على شكل مسطبة علوها 0.20م وطولها 0.60م ، والمدخل الثاني الذي يربط بين المسجد والضريح وقد جاء على شكل مدخل يعلوه عقد نصف دائري ، ويبلغ طوله 1.94م وعرضه 0.94م ، كما يحتوي الضريح على 08 مداخل تربط غرف الدفن وهي تتميز بكونها مداخل قصيرة على شكل عقود نصف دائرية ، حيث الداخل منها يجب عليه أن يدخل مطأطأ رأسه ، وهي متقاربة في أحجامها ويتراوح ارتفاعها ما بين 1.50 و 1.54م وعرضها 0.80م و 0.84م (اللوحة رقم 10 ، الصور رقم أ ، ب ، ج)



صورة رقم ب المدخل الذي يربط بين
والمسجد والضريح



صورة أ المدخل الرئيسي للضريح



صورة ج المداخل التي تربط بين غرف الضريح
لوحة رقم 10 مداخل ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

2/ القبور:

يحتوي الضريح في مجموعه على 24 قبر موزعة غرفها الأربعة وقد بني عليها بواسطة الحجارة ولبست بطبقة طينية (اللوحة رقم 11، الصورة أ)، وتختلف أطوالها حسب المدفونين داخلها ما بين الطويل والقصير والمرأة والرجل والطفل والرضيع ، أما قبر الشيخ فيبلغ طوله 02م وعرضه 0.40م وقد غطي برداء أخضر وهذا إضفاء للقدسية عليه وتمييزه ، وقد دفن بجانبه زوجاته ، أما الغرف الأخرى فكل واحد منها قبر مغطى كذلك ، وهي تعود لأولاده وعائلاتهم وكذلك أصدقائه المقربون (اللوحة رقم 11 ، الصورة أ ، ب)



صورة ب قبر الشيخ عمر مغطى

برداء أخضر



صورة أ قبور مطلية بالطين

لوحة رقم 11 القبور داخل ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

3/ القبة:

لقد أخذ على ضريح سيدي عمر بن الرحمان قبة مخروطية الشكل من الخارج أما من الداخل فهي تبدو هرمية الشكل، وقد جاءت على الشكل المخروطي نتيجة التأثيرات الإفريقية على العمارة في المنطقة، وطول القبة 6م أما عرضها 1.50م. (اللوحة رقم 12 ، الصورة أ، ب)



صورة ب الشكل الداخلي للقبة



صورة أ الشكل الخارجي للقبة

لوحة رقم 12 القبة في ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان

4/ الفتحات والكوات :

كغيرها من المعالم في المنطقة فقد زود الضريح بعدد من الفتحات للتهوية وإدخال النور وقد توزعت في الغرف وبلغ عددها 04 فتحات، وبلغ طول كل منها 0.20م وعرضها 0.7م ، أما الكوات التي لها دور كبير في وضع الأدوات ووسائل النور فقد احتوى الضريح على كوات واحدة تقع في الرواق الرئيسي عند المدخل ، وتتميز بحجمها الكبير وتأخذ شكلا نصفيا دائريا ، ويبلغ طولها 0.37م وعرضها 0.70م . (اللوحة رقم 13 الصورة أ، ب)



صورة ب الكوات



صورة أ الفتحات

لوحة رقم 13 الفتحات والكوات

خلاصة الفصل :

إن الملاحظ للعمارة الدينية بمنطقة توات يجد اهتماما كبيرا بها وهذا مرده إلى تدينهم الكبير ، كما أن المنطقة قد عرفت دخول الإسلام مبكرا ، لذلك نجد انتشارا كبيرا للمساجد في الإقليم والتي حافظت على النمط العمراني للمساجد المبكرة، والتي تمثلت في النواة الأولى للمساجد وهي مسجد النبي ﷺ ، ويتمثل هذا أساسا في بساطة التصميم ومواد البناء المستعملة ، وهذا ما وجدناه في مسجد تماسخت حيث يعتبر من بين المساجد التي حافظت على طريقة وأسلوب بنائه ، والملاحظ كذلك على مساجد المنطقة قلة إن لم نقل انعدامها في الزخرفة بأنواعها وهذا مرده إلى بساطة الإنسان و كذلك المواد المستعملة في البناء .

ولقد عرفت كذلك المنطقة نشأة عدد كبير من للزوايا وهذا نتيجة لانتشار الطرق الصوفية بها ، وقد أسسها شيوخ اضطلعوا بمهمة التعليم ونشره ومن أول الزوايا التي عرفت زاوية الشيخ أحمد الرقاد الكنتي والتي أخذت نفس نمط بناء المساجد من خلال التصميم ومواد البناء، حيث كان دورها للصلاة والتعليم معا.

ومن بين أنواع العماائر التي عرفت أيضا الأضرحة أو القباب التي اتخذت على القبور حيث بنيت على العلماء والذين يعتقد بأنهم صالحون ، حيث نجدها منتشرة بكثرة في المنطقة وهذا بالرغم من تحريمه إلا أنها انتشرت بكثرة بسبب انتشار الطرق الصوفية كما قلنا سابقا ، وقد تأثرت بأسلوب البناء الإفريقي للقباب ، كما أن الملاحظ على الأضرحة بالمنطقة هو كبر حجمها وهذا ما وجدناه في ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان حيث أن ضريحه تميز بتعدد قاعات الدفن كما أن الملاحظ على الأضرحة هو بساطة البناء وغياب الزخارف بها .

فمنطقة توات كما رأينا عرفت انتشارا كبيرا للمعالم الدينية وهذا لأن المنطقة معروفة بتشبهتها بالدين ، فأهلها قلوبهم معلقة بالصالحين والعلماء وبيوت الله ، لكن الملاحظ لها يجد إهمالا كبيرا لهاته المعالم فعدد كبير منها معرض للتخريب والإزالة بحجة الترميم أحيانا أو بالتوسيع أحيانا أخرى ، فيجب التدخل السريع لحماية هذا الموروث الحضاري.

الفصل الثاني العمارة المدنية والعسكرية

يرى العلامة عبد الرحمان بن خلدون (1332 م - 732 هـ / 1406 م - 808 هـ بأن العمارة نتيجة اجتماع الإنسان وفي هذا يقول (.. الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران.. ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم)¹.

لهذا فقد أوجدت التجمعات البشرية منذ القدم قرى ومدن ، وهذا على حسب التطور الحضاري والثقافي لهاته المجتمعات ، ومنطقة توات هي من بين المناطق التي تميزت بنظامها المعماري الموافق لشروط بناء المدن الإسلامية ، وهذا النظام يتمثل في القصور .

1/ تعريف المدينة :

تعرف المدينة حسب لسان العرب للعلامة الفقيه المؤرخ محمد بن منظور بأنها من الفعل مَدَنَ (بالفتح) ، فيقال مدن بالمكان ، أي أقام فيه ، والمدينة جمعها مدائن ، بالهمز ، والمدينة هي الحصن يبني في أصطمة الأرض ، و وكل أرض يبني بها حصن في أصطمتها فهي مدينة، والجمع مدينة أو مدائن ، والمدينة اسم مدينة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.²

كما يشير التفسير اللغوي لهاته الكلمة بأن أصلها يرجع إلى كلمة " دين " ، والتي لها أصل في اللغتين الآرامية والعربية أي أن لها أصول "سامية " ، وعرفت المدينة عند الأكاديين والآشوريين بالدين أي "القانون" ، كما أن الديان يقصد بها في اللغة الآرامية والعبرية " القاضي" وإضافة إلى ذلك فإن مصدرها في الآرامية " مدينتنا " وتعني القضاء . ولهذا فقد قرنت كلمة المدينة في القرآن بالحكم والقضاء والتقاضي ، ووردت لفظة "الديان" التي يقصد بها القاضي أو الحاكم في الحديث الشريف ، فقد أورد كل من البخاري وابن حنبل حديثا عن عبد الله بن عمر

¹ عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 27

² محمد ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، د-ت ، ص 4162

رضي الله عنهما : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((يأخذ الملك الديان سماواته وأرضيه بيده ، وقبض يده وجعل يقبضها ويبسطها ..))¹ .

وقد جاء ذكر المدينة في القرآن الكريم بصيغة الفرد وبصفة الجمع في كثير من الآيات القرآنية، وكثير منها ذكرت بصيغة النكرة وهي مدن معروفة² ، ومنها قوله عز وجل " مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكِ بَأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"³ .

وكذلك نجد ذكر اسم المدينة في سورة "الأحزاب" في قوله عز من قائل "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا"⁴ .

والمدينة حسب الفقيه أبا حنيفة النعمان هي التي تقام فيها صلاة الجمعة حيث أن صلاة الجمعة تختص بها الأمصار دون سواها ، لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام " لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحي إلا في مصر جامع " ، وفي حديث آخر "إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة"، ويتفق الفقهاء على أن المصر هو وطن مجتمع المنازل ، والمدينة تمثل ذلك بصورة واضحة⁵ .

ويرى الفيلسوف الفارابي في كتابه آراء المدينة الفاضلة، أن المدينة نتيجة لاجتماع الإنسان حيث أن الإنسان اجتماعي بطبعه ولا يمكنه العيش لوحده، ويحتاج أفراد المجتمع لبعضهم البعض لتحقيق التكامل وفي هذا يقول (... فمنها الكاملة وغير الكاملة، والكاملة ثلاث : عظمى ووسطى 11 وصغرى . فالعظمى اجتماعات كلها في المعمورة ، والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة والصغرى اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة ، وغير الكاملة اجتماع أهل

¹ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 4161 ، ص 16

² محمد بن حمو، العمران والعمارة من خلال كتب النوازل بالمغرب الإسلامي - دراسة في فقه العمران والعمارة الإسلامية ،

أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر السنة الجامعية 2010 / 2011 ، ص 24

³ سورة التوبة، الآية 120

⁴ سورة الأحزاب، الآية 60

⁵ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص 18

القرية واجتماع أهل المحلة ، ثم اجتماع في سكة ، ثم اجتماع في منزل ، وأصغرها المنزلة، والمحلة والقرية هما جميعا لأهل المدينة، إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة والمحلة للمدينة على أنها جزؤها، والسكة جزء المحلة، والمنزل جزء السكة، والمدينة جزء مسكن الأمة، والأمة جزء أهل المعمورة¹.

ونجد في هذا السياق أيضا حديث ابن خلدون الذي يربط بدوره بين المجتمع والمدينة إذ يقول (الإنسان مدني بالطبع ، أي لابد له من الاجتماع ، الذي هو المدينة ، وهو معنى العمران ، وبيانه أن الله سبحانه وتعالى ، خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها ، إلا بالغذاء ، وهده إلى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه من القدرة على التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه على القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة الواحد من البشر ، قاصرة على تحصيل كل حاجاته...)².

والمدينة في منظورها الاجتماعي حسب الفيروزبادي تعادل الأمة³ ، وهو ما يؤكد القزويني في قوله (عند حصول الهيئة لو اجتمعوا - البشر - في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا في الخيام والخرقعات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب ، كما ترى في القرى التي لا سور لها ، لم يأمنوا صولة ذي بأس ، فأكرمهم الله تعالى باتخاذ السور والخندق والفصل فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار ... واتخذوا للمدن سورا حصينا ، وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج ، بل يدخل المرء ويخرج من أقرب باب إليه ، وفي البلد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات ومراكز الخيل و معاطن الإبل ومرابض الغنم ، وتركوا باقي مساكنها لدور السكان ، أكثر ما بناها الملوك والعظماء على هذه الهيئة ، فترى أهلها موصوفين بالأمزجة الصحيحة ، والصور الحسنة والأخلاق الطيبة ، وأصحاب الآراء الصالحة والعقول الوافرة واعتبر ذلك بمن مسكنه لا يكون كذلك مثل الديالم والجيل والأكراد ، والتركمان وسكان

¹ أبو نصر الفارابي، آراء المدينة الفاضلة، قدم له وعلق عليه ألبير نصري نادر ، ط2، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت لبنان ، دت ، ص 38

² عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 27

³ محمد بن يعقوب الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، بولاق ، ج4 القاهرة، 1982م ، ص 195

البحر في تشويش طباعهم وركاكة عقولهم ، واختلاف صورهم ، ثم اختصت كل مدينة لاختلاف تربتها وهوائها بخاصية عجيبة ، وأوجد الحكماء فيها بظلمسات غريبة ، ونشأ فيها صنف من المعادن والنبات والحيوان لم يوجد في غيرها ، وأحدث بها أهلها عمارات عجيبة ، ونشأ فيها أناس فاقوا أمثالهم في العلوم والأخلاق والصناعات¹ .

والمدينة هي مسكننا الطبيعي، حيث تكونت بشكل عضوي على غرار القرية متنامية حول ساحة أو شارع رئيسي بشكل طبيعي، يستجيب لحاجات النفوس² .

وقد صنف الجغرافيون المسلمون المدن على حسب معايير مختلفة متغيرة من مدينة إلى أخرى ، على حسب موقعها أو حجمها أو وظيفتها ، فنجد مصطلحات مثل "المدينة" ومدينة كبيرة، ومدينة وسط ، ومدينة صغيرة ، ومدينة وكوره في آن واحد ، ومدينة عظيمة وولاية في آن واحد، وصنف الجغرافيون العرب المدن أيضا حسب هيئتها ونوعية النشاط الغالب عليها ، فهناك المدينة الحصن ، والمدينة التجارية³ .

2/ تعريف القصر :

كلمة قصر حسب دائرة المعارف الإسلامية هي كلمة تركية " الكشك" وردت في القرآن الكريم كلمة قصر عدة مرات أحيانا مفردة، وأحيانا بصيغة الجمع " قصور"، وأحيانا يقصد بها القصور الموعودة في الجنة⁴ ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى " وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"⁵ وكذلك في قوله " تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا"⁶ والقصر في اللغة هو المنزل ، وهو كل بيت من

¹ زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ص ، 7-8

² جان أونيموس ، الإنسان والمدينة ، تعريب كمال خوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1977 ، ص 07

³ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص 21

⁴ محمد ابن منظور، المصدر السابق ، ص 55

⁵ سورة الأعراف، الآية 74

⁶ سورة الفرقان، الآية 10

حجر سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس¹ وذلك مصداق لقوله تعالى " حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ "²

كما يعرف أيضا على انه ما بني من المنازل وعلا وبمعنى آخر هو بناية فخمة وواسعة يقصد بها مقر الخليفة أو الحاكم و أفراد عائلته، وكل ما يحتويه القصر من زوجات وإماء وجواري و غلمان³.

أما في المناطق الصحراوية يختلف مفهوم القصر أو "القصر" بسكون اللام،فهو عبارة عن قرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة⁴ ، كما أن تسمية القصر تختلف من منطقة إلى أخرى، فنجد في بعض المناطق يطلق عليه اسم الدشرة، وبالمغرب الأقصى يطلق عليه إيغارم تيغرمت وتدارت.

وتتميز كذلك القصور الصحراوية بموقعها الاستراتيجي حيث نجدها فوق الجبال أو على سفوحها ، أو على الهضاب الصخرية الصلبة، كما أنها تتواجد بالقرب من الأراضي الصالحة للزراعة والمجاري المائية ، فموقعها هذا على أهمية كبيرة والغرض الأكبر له يكمن في سهولة الدفاع عنها إن داهمها خطر ، كذلك فإن وجودها بجانب الوديان يتيح لأهلها استغلالها في الزراعة وتربية المواشي،ولهذا فإن أغلب القصور الصحراوية تحيط بها البساتين التي تمثل مصدرا أساسيا للحصول على الغذاء، إضافة إلى أنها تلعب دورا في تلطيف الجو وتكسير الزوابع التي تهب من حين إلى آخر.

ويحاط القصر بسور يوجد فيه مدخل واحد وهذا ما نجده في أغلب القصور الصحراوية،ومن بينها قصور توات ويدعى " فم القصر"، ويدعم ببرج أو عدة أبراج للمراقبة، أما فيما يخص التسميات فغالبا ما تنسب إلى ولي صالح مثل قصر سيدي سليمان أو إلى القبيلة

¹ المعجم العربي الأساسي ، تأليف وإعداد جماعة من اللغويين العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاروس ، ص90

² سورة الرحمن ، الآية 72

³ المعجم العربي الأساسي ، المرجع السابق ، ص 90

⁴ علي حملاوي ، قصور منطقة جبال عمور ، (السفح الجنوبي) ، مذكرة دكتوراه دولة ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، لجزائر

السنة الجامعية 2000 2001 ، ص 188

والجنس المستقر به مثل قصر أولاد الحاج أو أولاد يعقوب ، وأولى أسماء الاتجاهات كالقصر القبلي أو الظهراني ... أو أسماء الوصف كالقصر الجديد أو القصر الكبير¹.

وتحتوي القصور بداخلها على قصبة أو قسبتين ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه اسم الجامع العتيق أو الكبير ، وهذا علاوة على المساجد المخصصة لأداء الصلوات الخمس ، وقد تعددت هاته الأخيرة أحيانا حتى يصبح لكل قبيلة أو حي مسجدها الخاص بها ، وبالإضافة إلى هاته المنشآت يحتوي القصر على المرافق الضرورية للسكان مثل السوق والدكاكين².

والسبب الرئيسي من بناء القصر هو تخزين المنتجات الغذائية للقبائل الرحل أو القبائل المتاخمة له ، لأن أغلب القصور الصحراوية قد نشأت أصلا عند طريق مرور القوافل التجارية والمسافرين والحجاج التي تخرق الصحراء ، وبعضها أسست لتكون محطات تجارية حيث نجد فيها الراحة والمأوى والطعام³، وهذا ما نلاحظه في العديد من القصور التي يزخر بها جنوب ليبيا والمغرب الأقصى وتونس وكذا منطقة الأوراس ومناطق من الجنوب الجزائري ، وتتميز بعض قصور الجنوب الجزائري أنها تختلف عن القصور الأخرى فهي تخصص للتخزين فقط ، والسبب يرجع إلى احتوائها على قسبات داخلها أو بالقرب منها خاصة بهذا الغرض ، مثلما هو الحال بمناطق قورارة ، توات ، وكذلك قصر المنيع وقصر تازولت البالية⁴.

أما النسيج العمراني للقصور فهو قائم على تقاليد حضارية ناتجة عن تفاعل عدة عوامل وهي مستوحاة من الدين الإسلامي الحنيف ، الساعي إلى تطبيق المقاصد الشرعية ، وهي حفظ النفس والعرض والمال ، لذلك فإن القصور الصحراوية قد بنيت بشكل يحقق هاته الأغراض⁵.

¹ علي حملاوي ، قصور منطقة جبال عمور .. ، ص 59 ، 60

² نفسه ، ص 61

³ نفسه ، ص 19

⁴ علي حملاوي ، القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته ، حوليات المتحف الوطني الجزائري ع 10 ، الجزائر ،

1422 هـ / 2001 م ، ص 32-33

⁵ علي حملاوي ، القصر بالجنوب الجزائري ... ، ص 23

وهذا ما نجده في قصور منطقة توات فهي مبنية بشكل متراس، مما يعكس صورة التضامن فيها ،مصادقا لقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " ¹ وكذلك في قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " ² .

وإضافة إلى المقاصد الشرعية ،فإن القصور الصحراوية بنيت لتقي سكانها تقلبات المناخ وخاصة أن البيئة التي بنيت فيها معروفة بالحرارة الشديدة والزوابع الرملية، حتمت على مصمميها التماشي مع هذا المناخ ، لذلك فإنها تعتبر إبداعا هندسيا استطاع أن يثبت في وجه تقلبات الزمن وأن يؤمن لسكانها الأمن من الأخطار الطبيعية والبشرية المتنوعة.

3/ العلاقة بين القصر والمدينة

إن مصطلح المدينة يقصد به القصر أحيانا ،وهذا ما نجده خاصة عند الباحثين الغربيين لخلطهم بين عمارة القصر والمدينة، نظرا للتشابه الكبير بينهما، مع وجود بعض المميزات الخاصة تنفرد بها القصور عن المدينة ،وعموما فإن كلاهما عبارة عن فضاء مشترك تقطنه مجموعة من الناس ذات مصلحة مشتركة ، كما أنهما التحام بين مقومات روحية ومعنوية ، ومكونات مادية وخضع القصر في بنائه إلى الشروط التي يجب أن تتوفر في المدينة التي يجب أن تتوفر في إنشاء المدينة الإسلامية والتي تتمثل في :

أ/ توفر مصادر الماء العذب³: وهي أن تكون مصادر المياه قريبة من وديان وآبار الري .

ب/ توفر الغذاء : والذي يكون بعدة طرق منها وقوعها على الطرق التجارية وقربها من المزارع ،وكذلك توفر الحطب الذي يستعمل في عدة أغراض، وكذلك توفر المراعي للحيوانات⁴.

ج/ اعتدال المناخ والهواء :

إن المناخ والهواء له أهمية كبيرة في تأسيس المدن ، وهذا لتأثيرهما على صحة الفرد وعلى المؤن المخزنة

¹سورة المائدة، الآية 2

² سورة آل عمران، الآية 103،

³ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 314

⁴ عثمان عبد الستار ، المرجع السابق ، ص 97

د/ تحصين المنازل من الأعداء : بما أن الأمن هو أساس الاستقرار لذلك وجب اختيار موقع محصن طبيعياً ، سواء ببنائها في قمة الجبل أو باستدارة نهر أو بحر ، وهذا لحمايتها من الأعداء والهدف من هذا التحصين هو الدفاع عن المدينة وتوفير الأمن لسكانها¹.

وهذه أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في اختيار موقع المدينة، وهي تنطبق كذلك على القصر الصحراوي، أما في ما يتعلق بقصور منطقة توات فلقد راعى فيها المعماري التواتي هذه الشروط من حيث توفر مصادر المياه ، والتي تمثلت أساساً بقربها من الوديان والسبخات ، والتي استغلت في الرعي ، وكذلك في المياه الجوفية والتي تمثلت في الفقارات ، وأيضاً تتميز بقربها من الأراضي الزراعية ، ويتجلى هذا في بساتين النخيل التي تحيط بها ، بالإضافة إلى اختيار المواقع المرتفعة في بناء القصور والقصبات ، وتزويدها بمنظومة دفاعية تمثلت في الأسوار والأبراج لحمايتها من الاعتداءات الخارجية .

هذا فيما يخص المدينة والقصر من حيث اختيار الموقع والشروط التي يجب أن تتوفر فيه أما من الناحية العمرانية أو التكوينات العمرانية ، فهما يشتركان في نقاط أساسية متعددة، فهما ينبثقان من أسس دينية ، وهذا ما نجده في المسجد الجامع في المدينة والضريح والزاوية بالنسبة للقصر، فالمسجد هو مركز المدينة وقلبها النابض ومنه تتوزع الشوارع فالأزقة والدروب، والقصر هو نموذج مصغر للمدينة بحيث يوفر الطابع الذي تحتاجه المدينة من سوق ومحلات وجامع².

وقد حدد العلماء مقاسات الشوارع فمنها ما هو رئيسي ومنها ما هو ثانوي، وتحكمت في قياساتها الأحكام الفقهية التي حددت كي تحكم نظام هذه الشوارع ونوعيتها³، وينطبق هذا على القصور أيضاً فشوارعها تنقسم إلى رئيسية وثانوية ودروب ، فمسالك المواصلات الداخلية في القصر كما في المدينة تشبه العروق التي تغذي جسم الإنسان، من خلال توزيعها في الخلية العمرانية⁴.

¹ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 314

² عبد العزيز الدولاتي ، "المدن العربية التقليدية بين الأصالة والمعاصرة" ، المجلة العربية ، ع 1 ، حلب ، 1981، ص 154

³ عثمان عبد الستار ، المرجع السابق ، ص 112-202

⁴ علي حملاوي ، نماذج من قصور ، ص 36

إضافة إلى أنه هناك شبه بين المدينة والقصر في التمييز بين قبائل ساكنيها فكل قبيلة حي وكل عشيرة بشارع وكل أسرة بزقاق من الأزقة ، أو أن تخصص لكل قبيلة قصبة داخل القصر نفسه ويظهر هذا خاصة في قصور منطقة توات وقورارة ، حيث لا تجمع أصدادا مختلفة متباينة لأن الاختلاط يسبب مشاكل داخل المدينة أو القصر.

ورغم الأشياء المشتركة بين القصر والمدينة، إلا أن كل منهما يحظى بميزات خاصة غائبة في الآخر ومنها نذكر:

أن المدينة ترتبط ارتباطا كبيرا بالدولة أو الخليفة وهذا على حسب قول ابن خلدون عن المدينة ((إن المدينة قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه إلى اتخاذ المنازل))¹ ، فالمدينة تتصل اتصالا وثيقا بالدولة والسياسة ويحكمها خليفة أو من ينوب عنه، ويساعده مجلس ليسير شؤونها أما القصر فيحتكم برأي الجماعة ولا يخرج الفرد عن الجماعة.

كذلك تختلف المدينة عن القصر في كون هذا الأخير لا يتسع من الناحية العمرانية ، والسبب وراء ذلك راجع إلى السور المحيط به ، والبساتين التي تحد من اتساعه أما المدينة فهي تتسع، وذلك تبعا للتطور الذي تتخذه والمدينة كذلك تشهد تغييرات جوهرية من حين إلى آخر، أما القصور فهي لا تتغير بل تبقى على أصلها².

4/ القصر والقصبة في العمران الصحراوي:

القصبة هي عبارة عن قلعة يحيط بها سور شيد بطريقة دفاعية لتستعمل كمأوى للسكان عند نشوب حرب أو غزوة من قبائل خارجية، ومن الناحية العمرانية تتألف من سور خارجي بأركانه الأربع، وهي الجزء الأهم من المدينة والقلب النابض لها ، وهي أيضا تمثل محل إقامة العائلات

¹ عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص - 610

² علي حملاوي ، نماذج من قصور ... ، ص 36

المهمة ،أما من الناحية العمرانية فهي تتألف من سور خارجي به أبراج للمراقبة والحراسة كما تتألف من مدخل وحيد ، وقد تحتوي على مسجد صغير للصلوات الخمس وتعليم الصبيان¹.

والقصة هي بناية كبيرة تتخذ في الغالب شكلا مربعا ، كما تتشكل من عدة طوابق يخصص الأرضي منها للبهائم والدواب - أما البقية فهي للسكن وبقية الشؤون المعيشية الأخرى كما تتميز القصبات بارتفاع نسبي في أركانها الأربعة ، فيما يشبه غرفا مستقلة (الأبراج) والقصة قد تكون مشتركة بين عائلتين أو أكثر مع وجود باب خارجي وحيد ، كما أنها تشيد في الغالب من مزيج من الطوب والحجارة ، وتطلى بعد ذلك بالطين ، حيث يراعى في بنائها المتانة والجودة ، مما يمكنها من الصمود لدهور عديدة ، وهي بهذا تأخذ طابعا حربيا².

والقصة في المناطق الشمالية في الجزائر هي المدينة القديمة، المخصصة لسكن الأهالي أما في العمران الصحراوي القصة هي جزء من القصر، فهناك من القصور من يتكون من مجموعة من القصبات والتي تشكل فيما بينها قصرا واحدا³.

وتختلف القصبات ودورها بين مناطق توات وقوراة ، حيث أن في منطقة قوراة ذات الغالبية الزناتية البربرية نجد أن القصر والقصة مساويان لبعضهما من حيث الوظيفة ، والازدواجية في اللفظ مردها إلى أن القصة هي النواة الأولى للقصر ومنه تطور ، حيث أن الأهالي بنو في بداية الأمر القصة ، وحين تزايد عددهم كان انتقالهم طبيعي لعمران أكثر ، مما أفرز القصور في شكلها الحالي⁴ (المخطط رقم 04) .

أما في منطقة توات والتي يغلب عليها العنصر العربي، نجد أن القصة هي مسكن العائلة الثرية، أو هي مسكن لعدة عائلات قريبة في نسبها من بعضها البعض⁵ . (المخطط رقم 05).

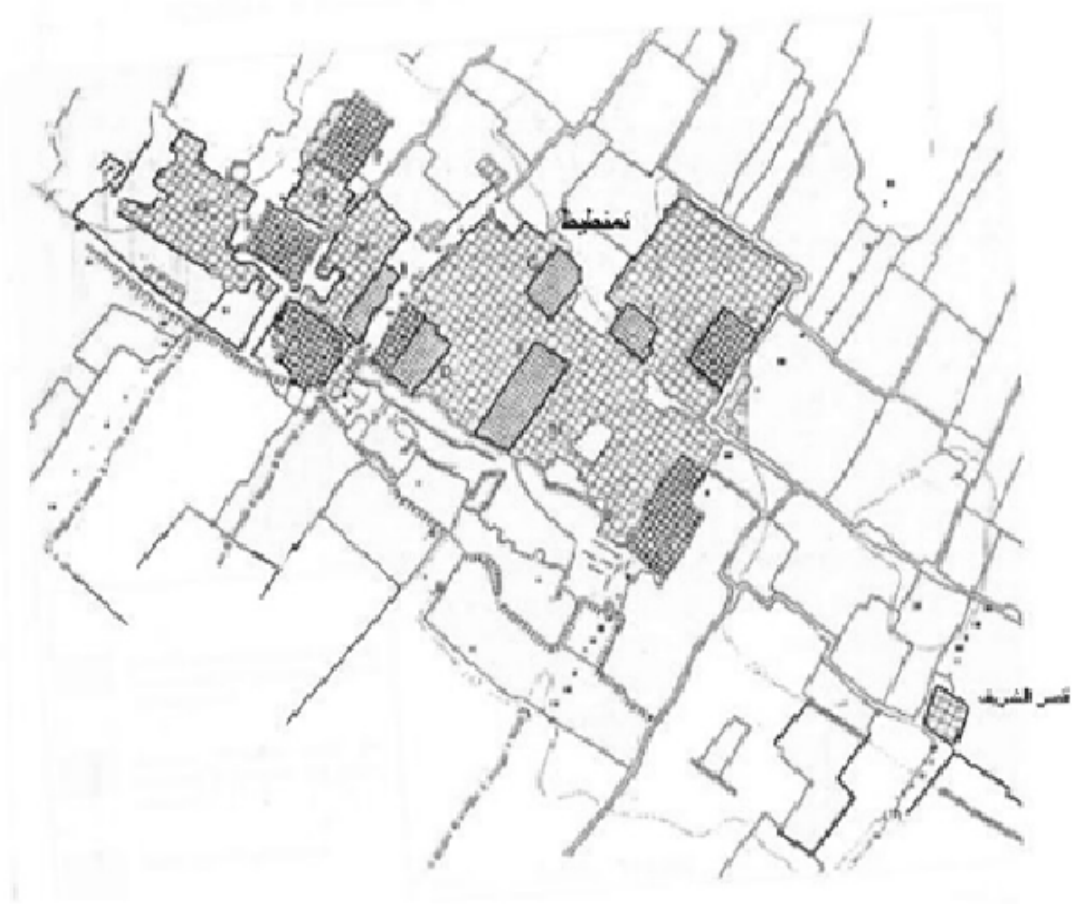
¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 37

² نور الدين بو عبد الله ، المرجع السابق ، ص 57

³ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 37

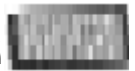
⁴ نور الدين بو عبد الله ، المرجع السابق ، ص 57

⁵ نفسه ، ص 57



المفتاح:

قصبات يمكن أن تكون النواة الأولى لقصر تمنطيط



تجمعات نشأت بجانب القصبات الأصلية

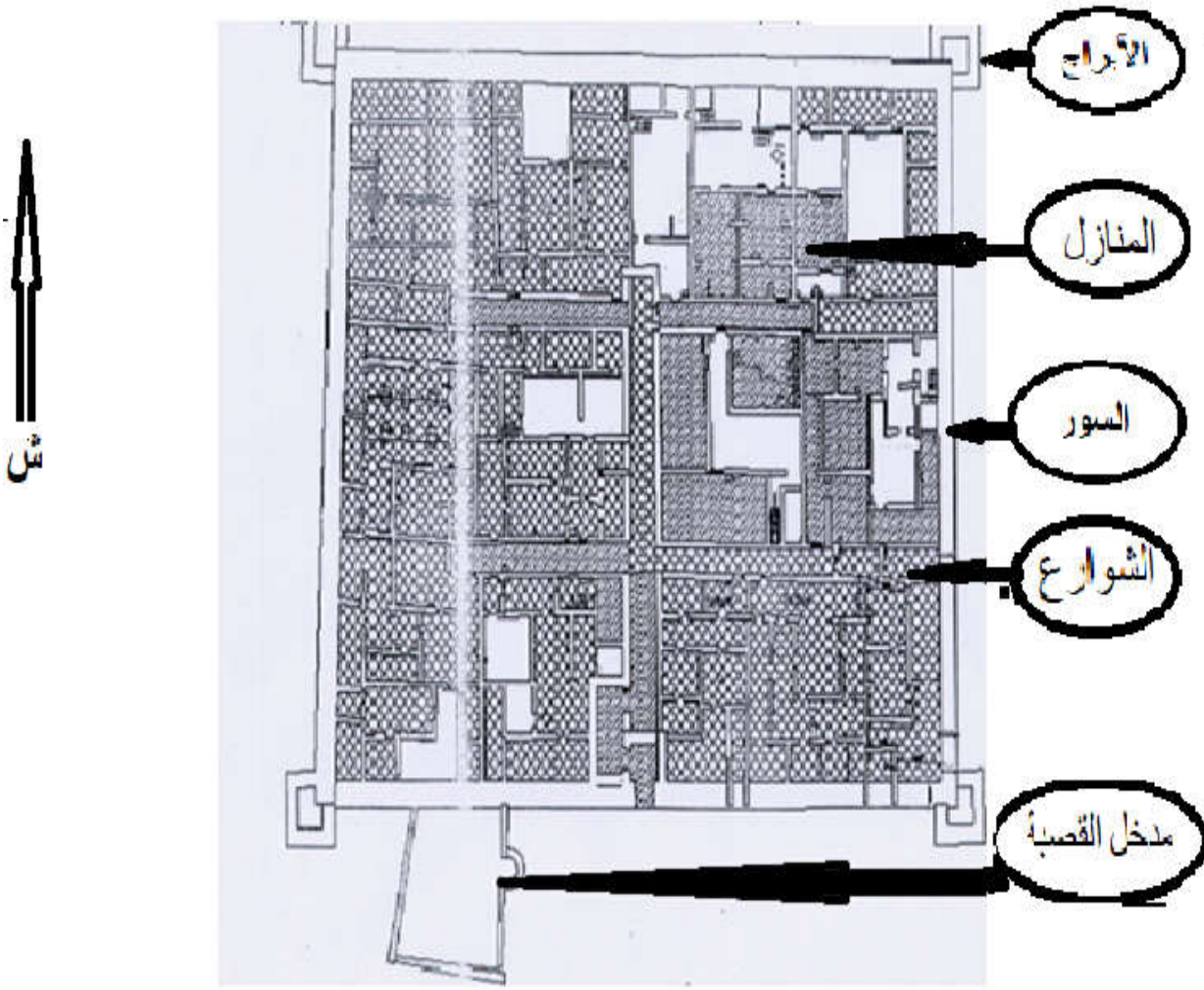


تجمعات سكنية ثانوية



المخطط رقم 04 مراحل التطور لأحد قصور توات - قصر تمنطيط -

- عن محمد بن سويس بتصرف -



مخطط رقم 05 يمثل أحد نماذج قصبات منطقة توات - قصبه ملوكة -

- عن ريحة عليق بتصرف -

5/ أنماط قصور وقصبات منطقة توات :

لقد قام العديد من الباحثين الأوروبيين بتصنيف قصبات منطقة توات ومنها الدراسة التي قام بها الباحث " مارتان" * وقد قسمها إلى أربع أنماط حسب تاريخ بنائها¹ :

النمط الأول: ويرجع إلى فترة ما قبل التاريخ إلى غاية 100 سنة قبل الميلاد

¹ Martin ,op cit , p10

النمط الثاني: وهذا يرجع إلى الفترة اليهودية التي عرفت المنطقة وهذا من 100 م إلى 600 م

النمط الثالث : يرجع إلى فترة زناتة من 600 م إلى غاية 1050 م .

د/ النمط الرابع : هذا النمط يرجع إلى الفترة العربية الإسلامية التي تمتد من 1050 م إلى غاية 1120م

وهناك دراسة أخرى للباحث " إشاليي" فقد قام بمسح جوي لقصور المنطقة وقد أحصى 333 قصرا ووضع لها ستته أنماط رئيسية¹.

النمط الأول : قصبة بنيت على هضبة ، تضم بعض البيوت ولها سور خارجي يتبع أطراف الهضبة الطبيعية ، وهي نوعان الضيقة والواسعة .

النمط الثاني : قصبة شيدت بالحجارة على هضبة تم تغيير معالمها من طرف الإنسان لها سور متين شبه دائري.

ج/ النمط الثالث : قصبة شيدت من الحجارة في مكان مرتفع لها سور مستطيل في مكان مرتفع وتحاط في الغالب بخندق دفاعي يسمى " أحفير " ، والأبراج موجودة وتضم أحيانا برج أو برجين. النمط الرابع: قصبة شيدت من كتل الملح ، تصميم القصر يكون مربع الزوايا في بعض الأحيان تركيبه في الداخل معقد في الغالب .

النمط الخامس: قصبة مربعة الزوايا تبنى من الحجارة الصغيرة المغروسة في الطين، وهذا الشكل غير محدد المعالم وبدون أبراج زوايا أحيانا ، وله أبراج في أركانه الأربعة أحيانا أخرى

النمط السادس : شكل مربع مبني بالطين، وبدون أبراج في الأركان أحيانا، وله أبراج في الأركان أحيانا أخرى.

وقد قام الباحث "كابوت ري" بتقسيم القصبات على حسب طريقة حفظ المئونة داخل القصبات، واستنتج أن هناك اختلافا بين طريقة بناء وهندسة القصبية في منطقتي توات وقورارة ، وقد استنتج أن قصور قورارة تحتوي على نمط القصبية المخزن ، وهي تمثل مكانا آمنا لحفظ المواد الزراعية

¹ محمد بن سويبي ، المرجع السابق ، ص 39 أنظر أيضا :

Echallier,j,C,Notule sur une mosquée du Touat in le saharien , Paris , 1_2 trim. 1969,p7

الخاصة بالسكان وقد تمثلت الأنماط في نوعين هما¹:

النمط الأول: القسبة توجد داخل القصر بنيت على مرتفع ولا يوجد بها مخازن للحبوب.

ب/ النمط الثاني : القسبة مفصولة عن القصر وفي هذا النمط نجد بساتين النخيل تفصل بينهما .

ويمكن الاختلاف حسب الباحث بين قصبات قورارة وتوات إلى أن قصبات الأخيرة تخص قبيلة أو مجموعة من العائلات ذات النسب المشترك، لأن أغلب القبائل التي تقطن توات هي قبائل عربية عكس قورارة فأغلب قبائلها من البربر.

وكان للعوامل الطبيعية والجغرافية دور كبير في تحديد نمط بناء القصور في الصحراء ونتيجة لذلك ظهرت ثلاثة في المنطقة هي² :

قصور الوادي : حيث عمل الإنسان على الاستقرار بجانب الأودية لاستعمالها في الرعي وبناء القسبة وإقامة الواحة.

قصور العرق : هذا النوع يتواجد داخل العرق نفسه ويعتمد على غرس النخيل في أماكن قريبة من المياه الجوفية .

ج/ قصور السبخة : أغلب قصور منطقة توات وقورارة من هذا النوع وقد اختار البناء الأماكن القريبة من السبخة وهذا لوجود المياه القريبة.

16/ نموذج عن قصور منطقة توات - قصر تماسخت - :

تقع منطقة توات الأصلية بين منطقتي قورارة وتيديكلت كما قلنا سابقا في الموقع الجغرافي لمنطقة توات، وتبدأ من أعالي مقاطعة بودة وتمتد بموازية واد مسعود فتأخذ شكلا طوليا على امتداد يصل إلى 150 كلم وصولا إلى رقان، ويتجاوز عددها 148 قصرا وقد اخترنا قصرا من بين هاته القصور وهو يدعى قصر تماسخت، ليكون هذا الأخير نموذجا لباقي القصور والقصبات، حيث أن غالبيتها تتبع نمطا وشكلا متقاربا، من حيث طريقة ومواد البناء وكذا التخطيط.

¹ محمد بن سويس، المرجع السابق، ص 40 أنظر أيضا :

Rey capot, Grenier domestiques et greniers fortifiés au Sahara le cas de Gourara T,I,R,S ,XIV,1^{er} et 2^{eme}, P14

² محمد بن سويس، المرجع السابق، ص 40

ويعتبر قصر تماسخت من أهم قصور توات والتي مازالت تحافظ على بنائها الأصلي، وكذلك تتميز بكونها من أقدم القصور وأهمها في المنطقة ، وهذا لحجمه وكذلك لموقعه المتوسط لسلسلة قصور توات ، وأيضا لطريقة بنائه والذي نلاحظ بأنه يشبه القلعة الحربية، من حيث التحصين ومكان البناء .

أ/ الموقع الجغرافي لقصر تماسخت :

يقع قصر تماسخت في الجزء الجنوبي لولاية أدرار وهو في قلب إقليم توات ويتبع إداريا لبلدية تامست ، وهي من بلديات دائرة فنوغيل وتحد البلدية من الشمال بلدية فنوغيل ، وجنوبا بلدية زاوية كنته، وشرقا بلدية تمقطن ،ومن الغرب ولاية تندوف ،وهو ضمن القصور والواحات المنتشرة على الطريق الوطني رقم 06 الرابط بين أدرار ورقان، ويبعد عن مقر الولاية بـ 65 كلم وعن الجزائر العاصمة بـ 1560 كلم ، و الطريق الوطني رقم 06 بحوالي 04 كلم غربا (أنظر الخارطة رقم 03)، والقصر يتوسط عدة قصور أخرى فهو يحده من الشمال قصر إيكيس ،ومن الجنوب قصر إغيل، ومن الشرق قصري تيطاف وغرميانو، ومن الغرب سبخة تماسخت وعرق الشاش، ولقد بني القصر فوق هضبة .



المفتاح:

مقر الولاية أدرار ■

مقر دائرة فنوغيل ●

مقر البلدية تامست ●

بلدية تامست ■

قصر تامسخت ▲

خارطة رقم 03 موقع بلدية تامست والتي يقع فيها قصر تامسخت بالنسبة لبلديات أدرار

- عن مصلحة التنظيم بلدية تامست بتصرف -

ب / أصل التسمية :

كانت تماسخت قديماً تسمى بالخامسة لأنها تضم خمسة قصور اندثرت أربعة منها بفعل الوديان التي اجتاحت منطقة توات وقورارة وتيديكلت، وبقي قصر واحد كان يطلق عليه اسم "تمازغت"، ونسب هذا الاسم إلى حاكم المنطقة آنذاك والمسمى "أمزيغ"، وكان يتسم بالشجاعة والشهامة، بعدها استوطنت قبيلة زناتة المنطقة وأطلقت عليها اسم تماسخت، ويعني هذا الاسم باللغة العربية المدخل الوحيد كون القصر يحتوي على مدخل وحيد¹.

ج / تاريخ القصر:

لقد خلفت الحقب التاريخية التي عرفها قصر تماسخت عدة شواهد تثبت عراقته فشكل القصر القديم وطريقة بنائه، وتواجد المسجد ضمن نسيجه العمراني تؤكد ذلك، فحسب " جاكوب أوليالي " فقصر تماسخت أسس من طرف اليهود القادمين من خيبر، والذين استوطنوا تامست في 18هـ الموافق لـ 660م، وقاموا ببناء القصر في 26هـ الموافق لـ 668م²، وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة سنة 680م هاجرت مجموعة من العراقيين إلى المنطقة، وفي نهاية القرن 6هـ / 13م ازداد عدد المسلمين في منطقة توات، وبالضبط في تامست وفي القرن 9هـ / 16م قامت عشيرة أولاد معمي بطرد اليهود من القصر³.

ولكن الناظر إلى نمط البناء الذي هو مستوحى من أساليب البناء الإسلامية، والتي سنتناولها في العناصر اللاحقة خاصة في الشوارع والبيوت، وكذلك من المسجد الذي تكلمنا عليه في الفصل الأول وقلنا أنه يتوسط القصر، وهو جزء من نظامه العمراني كل هاته الأمور تكذب نظرية " جاكوب أوليالي "، بأن القصر بنوه اليهود فهو قصر إسلامي، أما عن تاريخ بنائه فيبقى مجهول كغيره من قصور وقصبات المنطقة، والتي تحتاج إلى بحوث وحفريات كثيرة لمعرفة تاريخها وبناتها الحقيقيون.

¹ Jacop, oliel ,op ,cit,P14

² IBID P146

³ مخطوط في خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص 01

د/ اختيار موقع قصر تماسخت:

إن الملاحظ لاختيار موقع قصر تماسخت يجده موقفاً ، حيث يتمركز القصر على هضبة والتي تشكل منحدرًا يصعب صعوده ، ويحيط به من جهاته الجنوبية والغربية واد جاف ، وأما من الجهة الشرقية فقد تم حفر خندق عميق ربط بالوادي قديماً كما يبدو ظاهراً ، ، وبهذا فقد روعي في اختيار قصر تماسخت أمران رئيسيان أولهما عامل بيئي واقتصادي ، والثاني يتمثل في الجانب الأمني الإستراتيجي:

أ/ الجانب البيئي والاقتصادي :

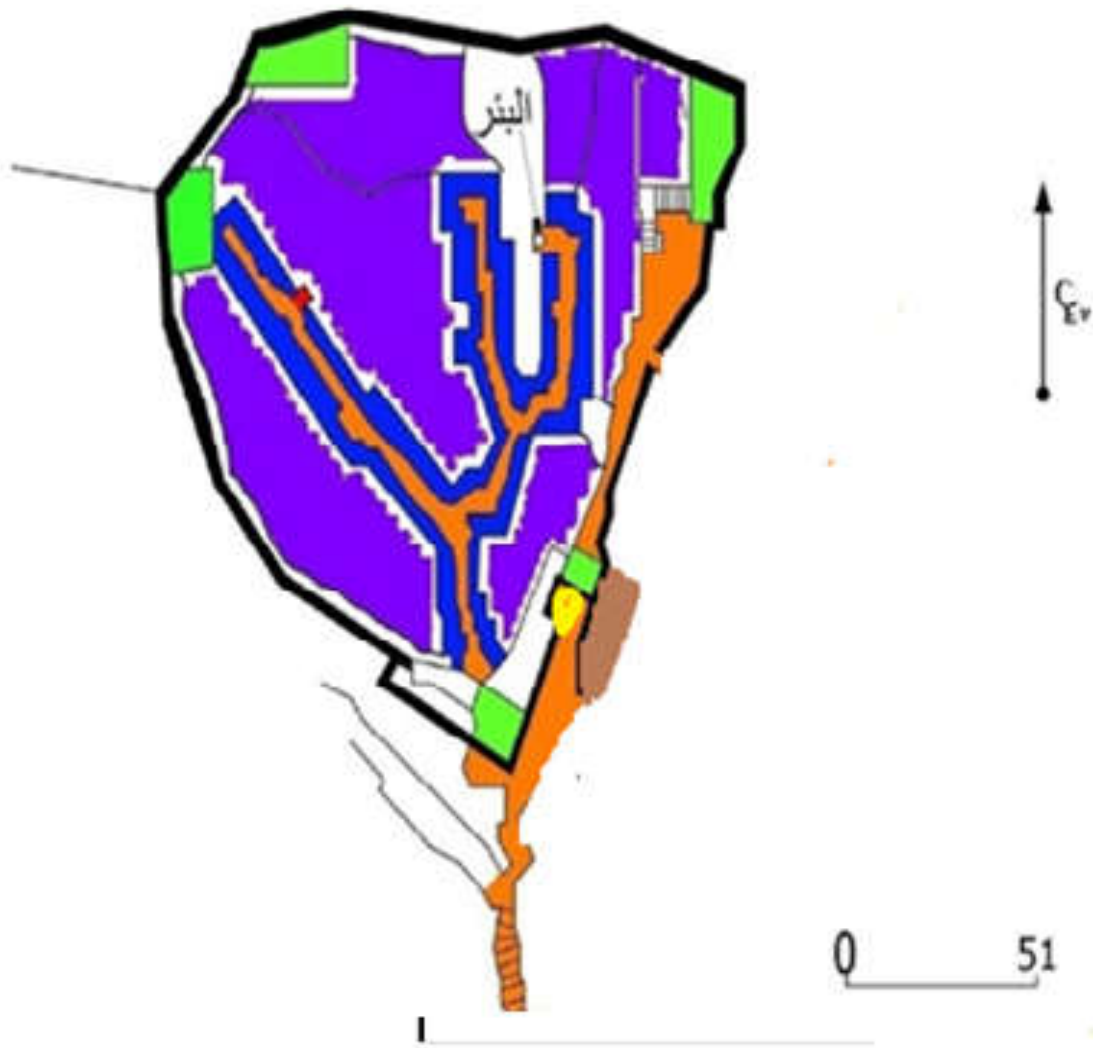
إن اختيار قصر تماسخت على ضفة الوادي له أهمية كبرى في حياة سكان القصر ، حيث استخدمت ضفافه للزراعة والرعي ، وهي من أهم شروط الحياة وكذلك اختيار للقصر قمة التل دون سفحه ، لالتقاء الفيضانات والتي غالباً ما تحدث في الصحراء دون سابق إنذار ، وإلى جانب ضفة الوادي نلاحظ قربها من السبخة والتي كانت تصلح لزراعة بعض المنتجات والرعي.

ج/ الجانب الأمني :

يعتبر اختيار قمة التل الصخري ذات أهمية إستراتيجية وهذا من حيث مبدأ الدفاع إذ يمنح منعة كافية للقصر كي يزود عن نفسه ويتصدى للمعتدي ، وهذا المبدأ الدفاعي شاع في معظم المدن المغربية سواء منها التلية أو الصحراوية .

هـ/ الوصف العمراني:**1/ المظهر الخارجي:**

يأخذ قصر تماسخت شكلاً قريباً من الدائري ويحيط به سور عال تتخلله 5 أبراج بها مزاغل للرمي ، وهو في حالة متوسطة من الحفظ ، يتواجد بالجهة الشمالية مقبرة ، ومن الجهة الجنوبية والغربية واد جاف ، أما من الجهة الشرقية فيظهر خندق عميق لحماية القصر من هاته الجهة ، أما بالجهة الشمالية الشرقية فهناك ضريح لأحد شيوخ المنطقة ، ومن الجهة الشمالية فتتواجد مقبرة ويحيط بالقصر سور عال (المخطط رقم 06).



المفتاح :

- المدخل
- الشوارع
- الأبراج
- المنازل
- الخدق

مخطط رقم 06 لقصر تماسخت

- من إعداد الطالب -

فالقصر بالإضافة لموقعه الإستراتيجي فهو يتمتع بمنظومة دفاعية في غاية الإتقان والمتانة كما يحتوي القصر على مدخل واحد من الجهة الشرقية ويتقدمه قنطرة كانت تستخدم للمرور فوق الخندق المحفور وتتمثل المنظومة الدفاعية للقصر في :

أ/ السور:

سور المدينة وهو البناء المحيط بها والجمع أسوار يطوف بالبيت أو البلدة¹ ، أما في المصطلح الأثري فإن السور هو جدار عالي ضخم يحيط بالبناء لحمايته²، وهو كذلك نوع من التحصينات الدفاعية يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي ، أو حجري³ .

ظهر السور كأى مانع أو حاجز لتعزيز الدفاع من خلال زيادة مستوى الحماية للمدافعين لتخفيف صدمات قوات الخصم ومهاجموه ، والحد من قدرتهم الحركية فاستخدام السور للتحكم بعملية الدخول على الموقع ، أو المدينة ، أو القلعة والخروج منها⁴ .

وقد اعتنت الشعوب منذ القديم بالأسوار لأنها ضرورية لحماية المدن لما توفره من أمان لساكنتها ، وقد عرفه العرب في حضارتهم في اليمن وحضرموت ، ثم نجد اهتماما ببناء الأسوار وخاصة في العصر الأموي لتأثر المسلمين بالرومان والفرس فاتخذوا الأسوار حول المدن لحمايتها ، وكذلك قد عرف المغرب الإسلامي الأسوار ويظهر ذلك في قلعة بني حماد ومدن بجاية ومراكش والرباط... .

والأسوار في القصور الصحراوية على نوعان فمنها ما هو مشكل من الجدران الخارجية للمنازل، ومنها ما هو منفصل ، واستخدام أظهر المساكن المسندة بدعامات ظاهرة معمارية عرفت في كثير من القصور الصحراوية ، وهذا في مناطق فزان وجبل نفوسة بالجنوب الليبي، وقصور جنوب تونس، وقلاع الأوراس بالجزائر، و قصر تاجموت والحويطة بالأغواط ، وتماسين وتمرنة

¹ أحمد بن محمد بن علي المقرئ البيومي ، المصباح المنير ، صححه مصطفى السقا ، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1950 ، ص 315.

² عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 153

³ الموسوعة العسكرية، ج4- ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990، ص 458

⁴ نفسه ، ص 58

القديمة والجديدة بمنطقة وادي ريغ¹. وإذا جئنا إلى عملية الترميم فإننا نجد بأن النوع الأول هو الأسهل لأن كل واحد مسئول عن المقطع الذي يشكل جدار منزله ، فإذا تهدم فلا يمكن تأجيل عملية الترميم وعلى حسب قول الفرستائي (وإن اشتركوا في السور ولم يشتركوا في بيوت انهدم ما يقابل بيت أحدهم ... وإذا التصقت جدران البيوت بالسور فليأخذ كل واحد بنيان ما انهدم)².

ولقد لقيت الأسوار عند المسلمين عناية كبيرة وكانت من بين الأمور المشتركة التي لا ينبغي التعدي عليها ونجد هذا خاصة في القصور الصحراوية ، وقد تكلم الفرستائي عن هذا بقوله (فرجل أراد أن يحدث في السور مما يقابل بيته مما يضعف به حائط السور ، مثل أن يضرب الأوتاد أو أن يحدث فيه مخزنا أو كوة ، سواء أنفذت منه أو لم تنفذ ، أو يجعل خشبا فيه مما يليه ؟ قال : لا يفعل شيئا من ذلك إلا أن يتفقوا عليه جميعا)³.

وقد احتوى قصر تماسخت على سورين الأول خارجي ويبلغ ارتفاعه حوالي 7م وسمكه في الأسفل حوالي 1.4م ، ويتقلص كلما اتجهنا إلى الأعلى ليصل إلى 0.70م (اللوحة رقم 14 ، الصورة أ)، والسور الثاني مكون من جدران المنازل ويبلغ محيطه 247م ، وقد تضرر السور بشكل كبير وانهارت أجزاء منه. (اللوحة رقم 14، الصورة ب).

¹ يحي بوراس ، العمارة الدفاعية بوادي ميزاب قصر بني يزقن نموذجا ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر، الجزائر ، السنة الجامعية 2001 / 2002 ، ص 36

² ، أبو العباس أحمد بن محمد الفرستائي النفوسي ، القسمة وأصول الأرهنيين ، تحقيق وتعليق وتقديم الشيخ بكير ومحمد صالح ناصر ط¹، نشر جمعية التراث ، القرارة ، 1997، ص 193

³ نفسه، 201



الصورة أ أحد أجزاء السور - الجهة الغربية -



الصورة ب أحد أجزاء السور الخارجي - الجهة الشرقية - وقد تضرر بشدة

لوحة رقم 14 الأسوار

ب / الأبراج:

الأبراج والبروج مفرداتها برج وهي بروج سور المدينة والحصن وهي بيوت تبنى على السور وتسمى بيوت لبنائها على نواحي أركان الحصن أو المدينة، وبرج الحصن سكنه والجمع بروج وأبراج¹.

ويعد البرج من العناصر الدفاعية الأساسية في مجال الاستحكامات العسكرية، وقد عرف عدة أشكال منها الأسطواني وذات المسقط المستطيل أو القريب من المربع ومنه المتعدد الأضلاع ويكون البرج أحيانا ذو بدن ممتلئ يعلوه سطح تحيط به بفتحات للرمي، وأحيانا يكون بدنه فارغ ومسقوف ومزود بسلم يستعمل للصعود الذي يخصص للحراسة²، وقد أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح الإسلامي، وهي جزء قوي من التحصينات مسلحة بقوة معدة للدفاع وتنفيذ الرميات إضافة لاستعمالها في المراقبة.

فارتفاعها يساعد على رصد العدو عن بعد، وقد كانت لها أهمية كبيرة حتى الوقت الذي تغيرت فيه الأفكار الحربية وتطور المدفعية، إلا أنها لازالت تحافظ على دورها العادي في المراقبة خصوصا في الثكنات العسكرية.

أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد عرفت كل أنواع البروج التي استخدمت في حضارات الشرق والغرب، وتطورت على أيديهم، وقد شاع استخدام البرج الأسطواني على عهد الأغالبة ثم تحول الشكل من الأسطواني إلى المستطيل أو القريب من المربع، وفي القرن 6هـ / 12م ظهرت في عهد المرابطين الأبراج الضخمة ذات الأضلاع المتعددة تتكون من غرفتين أو ثلاث غرف يصعد إليها عبر سلم داخلي، وقد يفصلها أحيانا عن سور المدينة ممر محصن كما في الأندلس تدعى بالأبراج البرانية³.

¹ الفيروزآبادي، المصدر، السابق، ص 178

² يحي بوراس، المرجع السابق، ص 45

³ A، Lezine Deux ville d'afriqiya, études d'archéologie d'urbanisme de démographie Sousse, Tunis, Librairie, orientaliste, paul Geuthner, 1971, P96.

وقد كان بناء البرج في بلاد المغرب ،يتم بقطع الحجر المنحوت ثم ظهر وشاع استخدام الدبش في القرن 5هـ / 11م وهذا في التحصينات المرابطية والموحدية.

وفي النصف الأول من القرن 6هـ / 12م أصبحت كل المنشآت الحربية تقام من قواعد حجرية تعلوها أقسام من الطابية ثم أصبح استخدام الطابية كامل أجزاء البناية عند الموحيدين وكذلك ينطبق الأمر على الدول اللاحقة ، وأقتصر استخدام الآجر والحجارة المنحوتة بالنسبة للفتحات والعقود والأعتاب والعناصر المعمارية الصغيرة .

وتعتبر الأبراج المخروطية والمستطيلة الأكثر شيوعا في عمارة قصور إقليم توات والتي جاءت ملاصقة للأسوار الخارجية ومزودة بصف أو اثنين من المزاغل ، وتتميز كون واجهاتها مائلة برفق نحو الأعلى فهي على شكل الهرم ، وهذه الظاهرة المعمارية موجودة في كل أبراج قصور توات ، وهي كذلك معروفة منذ القدم وقد أوجدت جدلا بين الباحثين حول أصلها فمنهم من رأى بأنها ذات تأثيرات مصرية قديمة ،حيث شبهت بأبراج مداخل المعابد المصرية، ومنهم من رأى بأنها ترجع إلى أصول محلية موجودة في ثقافة المغاربة، ولهذا وجدت في العديد من المناطق المغربية خاصة في الصحراء، إذ نجدها في واحة سيوة بمصر، وجبال نفوسة بليبيا ، وفي عدد من قصور الصحراء الجزائرية ، كبني عباس ، وقصور جانت ، والأغواط¹ ، وكذلك عرفت في بلاد السودان الغربي ومالي والنيجر .

وهناك عدد آخر من الدارسين يرون بأن هذا الشكل هو وظيفي في الأساس وهو ناتج من المواد المستعملة في البناء، حيث أنه كلما مالت الجدران نحو الداخل واقتربت من نقطة الارتكاز ازدادت مقاومة وثباتا، وهذا الرأي هو الأرجح فمواد البناء هي من تملي شروطها على المعماري.

وعلى غرار كل قصور المنطقة فقد احتوى سور قصر تماسخت على خمسة أبراج كبيرة متوسطة الحفظ، وهي موزعة على القصر على النحو التالي، الأول برج ركني يقع في الجهة الجنوبية الشرقية، والثاني يقع في الجهة الشرقية عند الباب الرئيسي ، والبرج الثالث يقع في الركن الشمالي الشرقي، ويقابله البرج الرابع في الجهة الغربية، والخامس يتوسط البرج الثالث والرابع، ونلاحظ بأن الأبراج تتركز عند الجهة الشمالية وهي الجهة التي تحوي البوابة الرئيسية ، وكذلك

¹ علي حملاوي ، قصور جبال عمور.. ص 100-101

في الجهة الشمالية، أما الجهتان الغربية والجنوبية فهي محصنة طبيعياً بالواد المار بجانبها لذلك نجد في كل جهة برج واحد فقط. (المخطط رقم 05).

وتتميز الأبراج في قصر تماسخت بأنها ذات شكل هرمي وهذه ميزة في كل قصور المنطقة ، وقد تضررت بشكل كبير لذلك فيصعب تحديد ارتفاعها الحقيقي إلا أن عرضها يبلغ حوالي 3.50م وطولها 3.20م. (اللوحة رقم 15 الصورة أ ، ب).



الصورة ب - أحد الأبراج - الجهة الغربية وقد تضرر بشكل كبير

الصورة أ - أحد الأبراج - الجهة الشمالية -

لوحة 15 رقم الأبراج

ج / المزاول :

المزاول لغة هي من الفعل زغل ، وزغل الشيء زغلاً وأزغله أي صبه دفعة واحدة¹، وقد سميت بهذا تبعاً لوظيفتها ، حيث تصب منها النبال دفعة واحدة على المهاجمين وكأنه صب للماء دفعة واحدة لصد الأعداء من التقدم نحو الهدف، وبذلك سهولة القضاء عليهم دون اشتباك² ومن هي الناحية الاصطلاحية تلك الفتحات الصغيرة الضيقة من الخارج الموجودة في أسوار المدن والأبراج والقلاع ، ويستخدمها المحاربون لرمي السهام على المهاجمين ، وإلى الجانب الأمني فللمزاول دور آخر وهو إدخال الضوء والهواء للأزقة داخل القصر.

والمزاول عبارة عن فتحات واسعة من الداخل وتبلغ مقاساتها 0.80م ليتمكن مستعملها من الحصول على مساحة كافية للرؤية وتسديد ضربات السهام ، وتضيق مقاساتها كلها باتجاه الداخل حتى تصل إلى 0.30 م ، وهذا لتحمي مستعملها من ضربات أسلحة العدو.

لقد تواجدت المزاول بسور وأبراج قصر تماسخت ويزيد عددها كلما اقتربنا من المدخل الرئيسي، وهذا لحماية المدخل من المهاجمين (الصورة رقم 14).



الصورة رقم 14 المزاول في البرج الذي بجانب المدخل ونلاحظ تقاربها

¹ محمدابن منظور، المصدر السابق ، ص 400

² نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق ، ص 146

د/ الخندق :

الخندق ،خندق حوله ،أي حفر خندقاً¹، جمعها خنادق ، والخندق بفتح الخاء وسكون النون هو عبارة عن أخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقي به الجنود الهجوم ، ويحفر حول أسوار المدن والقلاع والمعسكرات الحربية لحمايتها وإعاقة المهاجمين لها ، وقد يكون فارغا من الماء أو مملوء به² ،ويكون محفورا في الأرض بأعماق متفاوتة لتأمين وحماية المقاتلين من أنظار العدو ونيرانه .

ولقد عرف الخندق منذ القدم عند أغلب الأمم والشعوب كالفرس والهند والرومان.... ولم يكون معروفا عند العرب ، فكان أول ظهور له بجزيرتهم في المدينة المنورة وهذا في غزوة الأحزاب حيث حفر الرسول ﷺ خندقا لتحصينها من المشركين ، وكانت هذه الفكرة للصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث قال (يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا)³.

وعرفت القصور الصحراوية الخندق مثل قصر الأغواط ، وقصر تاويالة ، وقصر عين ماضي وقصر تاجموت⁴، ويعتبر الخندق من مميزات عمارة القصور في منطقة توات، فأغلب قصورها إن لم نقل كلها تحتوي على خندق ويدعى محليا بأحفير ، وقد اندثرت هاته الخنادق ولم يبقى منها إلا معالمها .

ونظرا لأهمية الخندق في التحصين والحماية من الأخطار الخارجية، فقد تم تزويد قصر تماسخت بخندق في جهته الشرقية وعرضه حوالي 3.5م وعمقه حوالي 4م وقد تعرض جزء منه للردم . (الصورة رقم 15).

¹ محمدابن منظور ، المصدر السابق ، ص 173

² عاصم محمد رزق، المرجع السابق ، ص 173

³ خالد عزب ، فقه العمارة الإسلامية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط1، 1977ص96

⁴ علي حملاوي، قصور جبال عمور..... المرجع السابق ، ص 173



الخدق

الصورة رقم 15 الخندق ونلاحظ ان أغلبه قد تعرض للردم

هـ / المدخل:

المدخل هو باب المدينة أو واجهة المسجد أو القصر أو المنزل، وقد يكون الباب بمصراع واحد أو اثنين¹.

واكتست المداخل أهمية بالغة منذ القدم، وهذا لأنها تربط سكان المدينة أو القصر بالعالم الخارجي، وأيضا لكونها نقاط يمكن أن يتسلل منها أي طارق للمدينة، ولهذا نجد أن الإنسان قد عمل منذ القدم على تحصينها لتكون في مأمن من أي هجوم²، وقد تنوعت المداخل وهذا على حسب الحضارات المتعاقبة، وأهمها المدخل الذي يفتح في قاعدة البرج، ثم عرف في العصر

¹ يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب الثاني، القاهرة، 1993، ص11

² ممفورد لويس، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمه إبراهيم نصحي ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1964، ص118-119

الفرعوني المدخل ذو المرفق والذي يدعى في المشرق بالباشورة والذي استخدمه البيزنطيون في القرن 9م ، وشاع عند المسلمين ابتداء من القرن 5هـ/11م¹، وقد عرف تطورا كبيرا في عهد الموحدين في المغرب، وأصبح بذلك يتكون من ثلاثة مرافق ، وأحيانا يدعم ببرج أو برجين على جانبي المدخل².

ونلاحظ أن المدخل يفتح في قاعدة البرج تعلوه فتحات للرمي ، وهذا ما نراه في قصور ميزاب وبعض القصور الصحراوية الأخرى³.

وكذلك تميزت مداخل المدن بعلوها، بحيث يمكن للفارس أن يلج منها وهو على ظهر فرسه، ويحمل العلم والراية دون أن يميل ، وتأخذ هذه الأبواب غالبا أسماء مشهورة ومعروفة ففي كل مدينة أبواب معروفة المكان والاسم، وترتبط غالبا بأحداث تاريخية⁴، أما عن قصور منطقة توات فهي تحتوي في الغالب على مدخل وحيد، ويرجع هذا لصغر مساحتها فهي لا تستدعي أبوابا عديدة.

وقد احتوى قصر تماسخت على مدخل واحد في الجهة الشرقية له ، حيث يتوسط السور و يبلغ ارتفاعه 2.20م وعرضه 1.70م وهو مدخل مسطح (الصورة رقم 16).

ويتميز مدخل قصر تماسخت بكونه مدخل منكسر، وهذه ميزة في العمارة الإسلامية ، وكذلك نجدها في قصور توات ، ومن بينها قصر تماسخت فذ عند الدخول منه يقابلنا مباشرة جدار وهذه من سمات وكذلك القصور الصحراوية. حيث أن المدخل المنكسر ضرورة دفاعية لآبد منها لعرقلة أي هجوم على القصر ، حيث أنه يعيق دخول العدو مباشرة للقصر ، وكذلك له ميزة أخرى وهو تكسير الرياح وعدم ولوجها للداخل.

¹ فريد الشافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب المجلد الأول ، القاهرة ، 1970 ، ص 191

² إسماعيل عثمان ، "عمارة ومميزات أبواب الموحدين الأثرية برباط الفتح" ، مجلة المتحف العربي ، السنة 2، العدد 3، يناير ، فبراير ، مارس ، 1987، ص 123

³ علي حملاوي ، قصور جبال عمور، المرجع السابق ، ص 191

⁴ جمعة أحمد قاجة ، موسوعة فن العمارة الإسلامية، الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000، ص 316



الصورة رقم 16 مدخل القصر

2 / المظهر الداخلي:

أ / الساحات :

الساحات أو ما يدعى محليا بالرحبات هي مساحات مكشوفة واسعة ، تستعمل في تجمع السكان أو البيع والشراء ، أو ربط الحيوانات لضيوف القصر ، فهي متعددة الاستعمالات ويتواجد بالقصر رحبتين واحدة عند مدخل القصر مباشرة ، وهي غير منتظمة الشكل طول ضلعها الشمالي 3.4م و الجنوبي 3.10م ، وطول ضلعها الغربي 4م والشرقي والذي يتواجد به المدخل 4.20م (اللوحة رقم 16 ، الصورة رقم 55)، ويخرج منها شارع يتجه شمالا بحوالي 6م إلى غاية الرحبة الثانية والتي تتفرع منها الشوارع في القصر ، وهاته الرحبة على غرار الأولى غير منتظمة الشكل وهي على شكل شبه دائري قطرها حوالي 5م (اللوحة رقم 16، الصورة رقم 56).



صورة أ الساحة الخارجية



صورة ب الساحة الداخلية

لوحة رقم 16/الساحات

ب/ الشوارع:

بسبب الأضرار الكبيرة في القصر كما قلنا سابقا فإنه يصعب تحديد معالم الشوارع جيدا ، وهذا لانهدار اغلب المنازل وغلق الشوارع بالردوم ، إلا أنه من خلال معالمها نستطيع تحديد 03 شوارع رئيسية تتفرق من الرحبة المتواجدة عند المدخل الرئيسي للقصر ، وتتميز الشوارع في القصر على غرار القصور الصحراوية الأخرى بالضيق ، ويبلغ اتساعها 2.3م وهذا الشارع الذي يتواجد به المسجد في القصر وكذا دار الشيخ ، فهو بالنسبة لسكان القصر يعتبر شارع رئيسي .

ونلاحظ أن شوارع القصر قد اتجهت من الشمال إلى الجنوب وهذه سمة نجدها في أغلب الشوارع في القصور الصحراوية ، وهذا اتقاء للشمس وتوفيرا للظل في الشوارع طول النهار ، وكذلك تكسير الرياح الشديدة ، فهذا التصميم يساعد على مقاومة الظروف المناخية الصعبة في الصحراء ، ويوفر جو بارد داخل القصر.

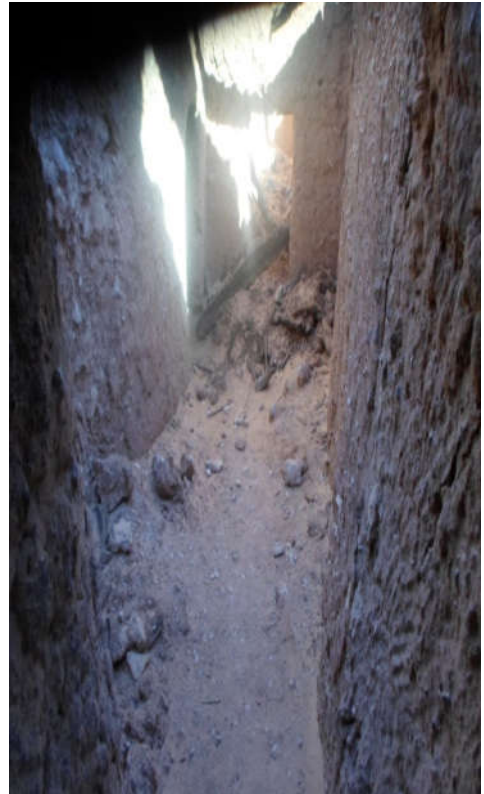
وقد تميزت كذلك شوارع القصر بالالتواء والتعرج وهي سمة كذلك طاغية في أغلب القصور الصحراوية ، وهذا لمقاومة شدة الرياح والغبار ، وكذلك نرى بأن أغلب الشوارع مسقوفة وهذا لاتقاء الشمس وإضفاء جو بارد في شوارع القصر.

إضافة إلى الشوارع الرئيسية يمكننا تحديد 6 أزقة وهي في الغالب مغلقة بسبب الانهيارات التي تسببت في غلق أغلبها (اللوحة رقم 17، الصورة أ)، وكغيره من القصور الصحراوية تتواجد به الأزقة المسقوفة والتي تدعى كذلك بالساباطات*، فلأزقة المسقوفة أهمية كبيرة في المدن الإسلامية عامة وفي القصور الصحراوية خاصة ، حيث تحمي المارة من الشمس الحارقة كما تساهم في إضفاء جو لطيف وبارد للمارين فيها ، (اللوحة رقم 17، الصورة ب، ج).

* الساباط : سقيفة بين حائطين ، وفي المحكم بين دارين ، وزاد غيره من تحتها طريق نافذ والجمع سوابيط وساباطات* ، وقال الإصمعي هو صاباط كسرى بالمداين ، انظر محمد بن منظور ، المصدر السابق ، ص 99



صورة بـ أحد الشوارع في القصر



صورة أ أحد الشوارع وقد تعرض للردم



صورة جـ أحد الشوارع المسوفة

لوحة رقم 17 الشوارع

ج/ المنازل :

المنزل هو مكان سكن القوم وراحتهم وسكنهم ، وصارت تطلق على كل بيت ، وعلى الخيمة لدى البدو الرحل ، أو على مسكن من حجر أو خشب أو قرميد لدى أهل المدن ، وعلى كل حيز مبني يستعمل لإيواء عدد من الأفراد ، يجدون فيه السكينة والخلود إلى الراحة والحاجة إلى النوم ، والمنزل هو ذلك الإطار المكاني ، الذي يحقق السكينة والطمأنينة والقرار لساكنيه ، وهو ما يخالف التصور المادي الذي يرى في السكن سبيلا أو ظرفا لإعادة إنتاج قوى العمل ، على غرار التصور المادي للإنسان¹.

فالمنزل هو من أهم الوحدات الأساسية في القصر ، فهو الخلية الأساسية التي يقوم عليه عمرانه ، فهو ببساطة يعتبر المأوى والوعاء الذي يقي السكان من العوامل الخارجية من حر وبرد ويوفر له الأمن والاستقرار ، والمصادر التنظيمية للعمران ذكرت المواصفات والشروط التي تتوفر أثناء عملية بناء المسكن، كتحديد المقاييس المختلفة ونوعية البناء المراد استخدامها، وكذلك صفة البناء مع مراعاة القواعد والأحكام التي تحدد هذه المباني والتخطيط العام للقصر والمدينة².

و من بين أهم مميزات المساكن الصحراوية التضام فيما بينها مشكلة وحدة عمرانية، وكذا الانتظام والتقارب فيما بينها وكأنها منزل واحد، وهذا يدل على التقارب بين أفراد القصر وكأنهم جسد واحد بعدة أرواح .

أما بالنسبة لقصور توات ومن بينها قصر تماسخت فإن الأمر لا يختلف كثيرا عن باقي القصور الصحراوية ، من حيث الشكل العام للمنازل الذي يتميز بالبساطة والوحدة في طريقة البناء وكذا المواد المستعملة فيه ، وكذلك من حيث التقارب فيما بينها ، وتختلف مساحات المنازل داخل القصر حسب عدد أفراد الأسرة أو اختلاف الثروة ليها ، فالمنازل في قصر تماسخت تتباين من حيث الاتساع من عدمه ، ولكنها لا تختلف من حيث الشكل العام لديها وتأخذ الشكل المربع أو المستطيل ، وتبدو متشابهة في عمومها وهذا راجع إلى التساوي في أسلوب العيش بين سكان القصر ، فهم يشكلون عائلة واحدة موزعة على أحياء القصر ، إلا أن غالبية المنازل قد تضررت

¹ إبراهيم، بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر ، د-ت، ص 162

² محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 33

بشكل كبير وهذا ما شكل صعوبة كبيرة في إحصاء عددها ومواقعها فالغالبية منها قد انهار بسبب العوامل الطبيعية أو البشرية .

وتشترك مساكن القصر في مميزات مشتركة فهي في الغالب تتألف من طابق إلى طابقين وتحتوي في غالبها غرفة أو غرفتين ، بالإضافة إلى المرافق الضرورية للحياة ، وتتميز المنازل كذلك بالبساطة الشديدة البعيدة عن الترف والاكتفاء بالأمور الضرورية ، أما بالنسبة للمواد المستعملة فهي مادة الطوب المجفف باليد ، أما الحجارة فنجدتها في الأساسات ، وسقفت بخشب النخيل وسعفه .

1/ نموذج من منازل القصر :

وبسبب سوء الحفظ فإن غالبية المنازل قد انهارت ويصعب علينا معرفة معالمها ، وكذلك معرفة خصائصها العمرانية والمعمارية ، ولم يبق من منازل القصر تقريبا سوى منزل واحد رغم أنه في حالة سيئة ، وهذا المنزل على ما يبدو من لافتة عند الباب كتبت بها منزل الشيخ وقد تعرضت للإتلاف ولم يتبقى منها إلى الحروف الأخيرة ، ويتميز بمساحته التي هي أكبر من المنازل الأخرى ، ويحتوي غرضا أكثر وكذلك موقعه المقابل للمسجد .

أ/ المظهر الخارجي للمنزل :

يقع منزل الشيخ في الشارع الرئيسي مقابل مسجد القصر ، على غرار كل المنازل في قصور توت وقصور الصحراء الجزائرية ، فإن المظهر الخارجي للمنزل قد جاء بسيطا وخاليا من أي زخارف، وتبدو جدران المنزل صماء خالية من أي نوافذ أو فتحات وهذه ميزة موجودة في غالب المنازل في القصور الصحراوية.

وجدران المنزل مطلية بالطين الأحمر وذلك لسهولة الحصول عليه وتوفره في هاته المنطقة عكس مادة الجير الذي يتم طلاء الغرف الداخلية به لتكون أكثر جمالا .

ب/ المظهر الداخلي للمنزل :

يعتبر منزل الشيخ في قصر تماسخت منزلا كبيرا مقارنة مع منازل القصر الأخرى ، ومساحته كبيرة ، وقد كان تخطيطه خاضعا لتأثير المناخ ، وهو ما جعل الإنسان الصحراوي يسير وفق تخطيط يحقق له التوافق مع البيئة المحلية ، وكذلك يستجيب لمقاصد الشريعة في تصميمه وكذا في طريقة بنائه ، ويتميز هذا المنزل كغيره من منازل القصر بالبساطة في التصميم والإنشاء حيث استخدم المعماري مواد البناء الموجودة في بيئته والمتمثلة في الطوب ، وطلبت جدرانه بالملاط الطيني ، واستخدم في تسقيفه خشب النخيل ، كما أن الملاحظ لطريقة بنائه يجد فيها قلة الإلتقان ، كما أن المعماري ركز على وظيفة المبنى أكثر من تركيزه على جماليته ، مما أدى إلى انعدام الزخارف بأنواعها داخل هذا المنزل ، ويرجع ذلك ربما إلى قلة الموارد المالية لتمويل عملية البناء أو إلى السرعة في العمل والإنجاز ، ورغم بساطة مواد البناء والإهمال الذي يعانيه هذا المعلم إلا أنه مازال يقاوم عوامل الزمن رغم أن بعض أجزائه قد تضررت كثيرا ، فعملية العمل داخله تشكل خطرا بسبب تصدع السطح .

فهذا المنزل يعكس صورة المجتمع آنذاك والذي تميز بروح التعاون والمساواة بين أفرادهِ ، حيث أن التصميم ومواد البناء قد تطابقت بين المنازل القصر ، إلا أن هذا المنزل تميز بحجمه الكبير نسبيا مقارنة بغيره من المنازل .

ج/ المخطط العام للمنزل :

وقد أخذ هذا المنزل شكلا مستطيلا بطول قدره 10.5م وعرض 9.4م ، ويتكون من مدخلين رئيسيين واحد للضيوف والآخر لبقية العائلة ، كما أن هذا المنزل يتكون من 04 غرف ، وسقيفتين وفناءين ، موزعة بين جهتي مدخل الضيوف ومدخل العائلة (المخطط رقم 07).



مخطط رقم 07 مخطط عام لمنزل الشيخ

د/ المكونات المعمارية للمنزل :

1/ المدخل (المنار):

المدخل أو ما يدعى محليا بالمنار، هو الفتحة أو الباب الذي يُدخل منها إلى المنزل أو نحوه، وهو عنصر معماري وجد منذ أن اهتمدى الإنسان للبناء بشكل عام وقد لعبت المداخل دورا هاما في واجهات العمائر الأثرية الإسلامية¹.

ويعتبر المدخل عنصرا أساسيا في المسكن فهو موجود ضمن وحدات سكنية، إذ يظهر هذا النظام العمراني الإسلامي في مداخل منازل القصر وهو عدم تقابلها، فقد جاءت متناكبة للحفاظ على حرمة أهل الدار، وتفادي رؤية ما بداخله، وهذا وفق الأعراف والتقاليد السائدة لدى سكان القصر والمعروف في العمارة الإسلامية، وكذلك لإفساح المجال أمام الجار أثناء إنزال الحمولة مثلا، حتى لا يحدث حرجا بين الجارين، وبالتالي توسعة المجال لكل منهما².

وعلى غرار القصور الصحراوية وكذا العمائر الإسلامية ككل، فإن المعماري في قصر تماسخت قد أولى اهتماما كبيرا في احترام الخصوصية في البناء، وخاصة في المداخل إذا جاءت منكسرة لحجب ما في داخل المنزل عن خارجه، فهناك عزل واضح مما يعطي خصوصية وراحة لأهل البيت، كما أن هذا النظام يسمح بدخول الهواء البارد بترك الباب مفتوحا دون الكشف عن ما في داخل المنزل.

والملاحظ عن منزل الشيخ أنه يحتوي على بابين، واحد للضيوف يقع في الجهة الشمالية للمنزل يبلغ ارتفاعه 1.75 م، وعرضه 0.80م (اللوحة رقم 18 الصورة أ)، والآخر يقع في الجهة الغربية وهو مخصص للعائلة ارتفاعه 1.70م وعرضه 0.70م، (المخطط رقم 04) (اللوحة رقم 18، الصورة ب)، وهذه ميزة موجودة في الكثير من قصور الصحراء، وتكمن أهميتها

¹ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 267

² محمد الطيب عقاب، "المدخل إلى المسكن العربي بمدينة الجزائر"، المؤتمر العاشر للأثريين العرب"، من 15 إلى 18 نوفمبر، تلمسان، الجزائر 1982، ص 21

في جعل خصوصية أكبر لقاطني المنزل ، وتجنب التقاء العائلة بالضيوف في الدخول أو الخروج وقد تميز كلا المدخلين بالبساطة.



صورة ب مدخل العائلة



صورة أ مدخل الضيوف

لوحة رقم 18 المداخل في المنزل

2/ السقيفة:

وهي ذلك الفضاء الذي يلي الباب الخارجي للمنزل ، تأتي على شكل مدخل منكسر و تدعى بالسقيفة أما محليا فتدعى بالسباط ، وهي مساحة تفصل خارج المنزل عن داخله ، فهي بذلك فضاء انتقالي يمكن لأهل البيت استقبال ضيفهم ريثما يؤذن له بالدخول¹، ويستطيع الزائر أن يلتقط أنفاسه بدون الدخول مباشرة للمنزل، وفي منزل الشيخ وجدنا سقيفتين ، الأولى عند دخولنا مباشرة من المدخل الرئيسي للمنزل وقد جاءت على شكل مستطيل طولها 5م وعرضها 1.5م

¹ نور الدين بوعبد الله ، المرجع السابق ، ص 99

(اللوحة رقم 19 صورة أ) والثانية تقع في جهة مدخل العائلة ، حيث تتواجد مباشرة بعد الفناء المكشوف ومنها يتم الدخول إلى غرف المنزل.

والسقيفة تدعى محليا وسط الدار، وهو الفضاء الداخلي للمنزل الذي تتوزع فيه الغرف وقد جاءت على شكل مستطيل طولها 3.10م وعرضها 2.5 م (المخطط رقم 07) (اللوحة رقم 19، الصورة ب.) .



صورة أ السقيفة الخارجي



صورة ب السقيفة الداخلية

لوحة 19 رقم رقم السقيفة الخارجية والداخلية في منزل الشيخ

3/ الغرفة (البيوت) :

الغرف أو ما يدعى محليا بالبيوت ، من الناحية اللغوية جمعها غرف وغُرَفَات وغُرَفَات عليّة - حجرة¹.

وتتكون المنازل في غالبيتها من غرفة إلى غرفتين ، وهذا على حسب أفراد العائلة والمستوى المعيشي ، إلا أن الغالب عليها هو صغر مساحتها ، ماعدا الذي وقفنا عليه في منزل الشيخ والذي يحوي على غرفة واسعة في الجهة المقابلة للمدخل ، وهي غرفة جاءت مستطيلة الشكل مساحتها 3م×5م، وما لاحظناه فيها هو أنها منفصلة عن باقي المنزل إلا فيما يخص مدخل صغير ارتفاعه 1.7م وعرضه 0.65م ، كانت على ما يبدو مخصصة لتزويد الضيوف ما يحتاجون له من ضيافة كما أن هذه الغرفة مفتوحة لفناء (الرحبة) مستطيلة. (المخطط رقم 07) (اللوحة رقم 20، الصورة أ).

أما الجهة الأخرى والتي هي مخصصة للعائلة فقد احتوت على 3 غرف ، والغرفة 1 وهي غرفة مفتوحة على الفناء الخارجي طولها 2.5م×2.4م ، و الغرفة الثانية مفتوحة على السقيفة وشكلها مستطيل 2.5م × 3.5م ، والأخرى 2.6م×2.4م، وقد سطحت الغرف بجريد النخيل والكرناف ، وهي في حالة متوسطة من الحفظ رغم ما تعانيه من إهمال ، وقد جاءت مداخلها صغيرة ، وهذا على غرار المنازل الصحراوية . (المخطط رقم 07) (اللوحة رقم 20 الصورة ب).

¹ عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص 295



صورة أ مدخل إحدى الغرف



صورة ب إحدى الغرف غرفة الضيوف

لوحة رقم 20 الغرف في منزل الشيخ

وقد زودت جدران الغرف بفتحات صماء ، على شكل مثلث متساوي الساقين (اللوحة رقم 21، صورة أ) ، وأخرى مربعة الشكل (لوحة رقم 21 صورة رقم ب) أعدت خصيصا لوضع وسائل الإنارة أو أدوات الزينة بالنسبة للمرأة ، أما فيما يخص الإنارة فهناك فتحات صغيرة في بعض الغرف (لوحة رقم 21 صورة ج) ، ففي غالبها يتم الإنارة عن طريق الباب فقط.



صورة ب فتحات صماء مثلثة



صورة أ فتحات صماء مربعة



صورة ج فتحة إضاءة نافذة

لوحة رقم 21 الفتحات الصماء والنافذة

4 / الفناء (الرحبة) :

هو المساحة المكشوفة في المنزل والتي تدعى محليا بالرحبة، ويختلف تشكيل الرحبة أو الفناء في المساكن الصحراوية فهناك الفناء السماوي المفتوح ، وهناك الفناء المغلق إلا من فتحة صغيرة لا تزيد عن المتر المربع الواحد ، وهذا بسبب البيئة الصحراوية المتميزة كالزوابع الرملية ومثل هذه المساكن ذات الأفنية المغلقة ما هو موجود بمسكن شيخ الزاوية أبي الحسن بقصر القنادسة ببشار ، ومساكن قصر تاغيت ومعظم مساكن غرداية.

والرحبة في منطقة توات غالبا ما تكون منعزلة و وهذا عكس ما نجده في المنازل الموجودة في قصور شمال الصحراء (قصر بومسمغون ، الغاسول ، تاويالة) ، حيث أن الرحبة فيها تكون في وسط البيت تحيط بها الغرف ، وقد جاءت منعزلة للتخفيف من أشعة الشمس وكذا لكون المنطقة شديدة الحرارة وأيضا لأنها معروفة بكثرة الزوابع الرملية .وتكمن أهمية الرحبة في كونها تمد الغرف بالهواء البارد في الصيف وكذلك تعمل على تجديد الهواء داخل البيت ، وتمد النور للغرف أيضا ، وقد احتوى المنزل على رحبتين كما قلنا سابقا ، واحدة تقع في الجهة الشرقية ، وهي الجهة الخاصة بالضيوف وقد جاءت على شكل مستطيل طولها 4.6م وعرضها 2م (المخطط رقم 04) ، (اللوحة رقم 22 ، الصورة أ) ، أما الرحبة الثانية وهي خاصة بالعائلة فقد جاءت في الجهة الغربية وهي أيضا على شكل مستطيل وأكبر من الأولى ، فيبلغ طولها 4.3م وعرضها 2م (المخطط رقم 07) ، (اللوحة رقم 22 ، الصورة ب) .



صورة ب الفناء الخاص بالعائلة



صورة أ الفناء الخاص بالضيوف

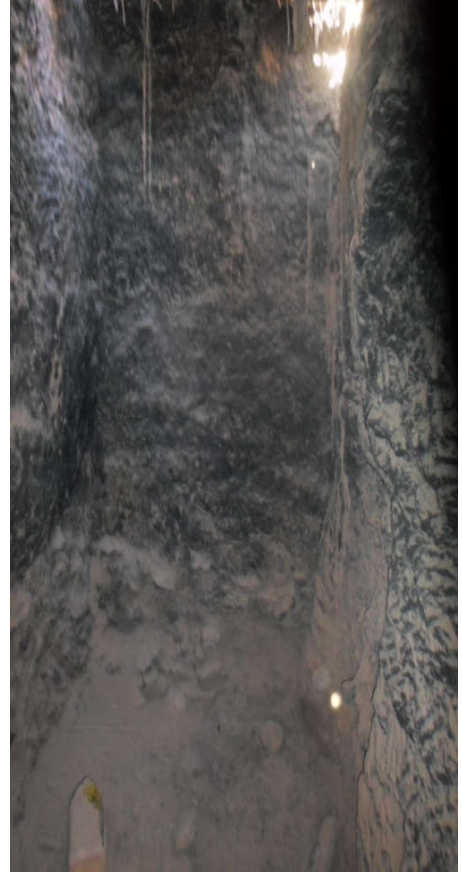
لوحة رقم 22 الفناءات

5/ المطبخ:

هو من المرافق المهمة في المنزل ، وقد جاء على شكل غرفة صغيرة مستطيلة الشكل يبلغ طولها 0.90م وعرضها 1.80م (المخطط رقم 07) ، (اللوحة رقم 23 ، الصورة أ) ويقع المطبخ في الفناء الغربي للمنزل ، ويوجد فيه فرن حجري يدعى محليا بأثور (اللوحة رقم 23 ، الصورة ب) وهي كلمة مأخوذة من المصطلح العربي التنور أي الفرن ، وهذا الفرن مثقوب من الأسفل لوضع الحطب ، ومن الأعلى لخروج الدخان ، وكذا لوضع القدر أو الخبز عليه.



صورة ب الفرن

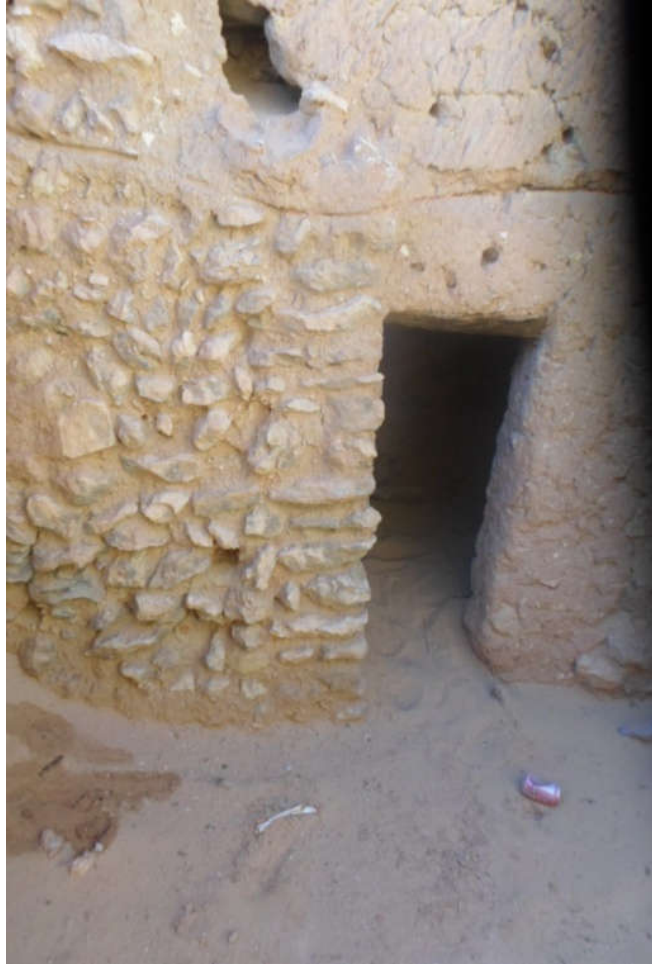


صورة أ المطبخ

لوحة رقم 23 المطبخ والفرن

6/ المخزن:

تتوفر المنازل في قصور توات كغيرها من المنازل في القصور الصحراوية على مخزن ، وهذا لتخزين المواد الاستهلاكية ، والمواد الضرورية كالعتاد الفلاحي والحبوب ، وتكون إما تحت السلالم أو بجانب المطبخ ، مثل غرفة التخزين الموجودة في دار الشيخ ، وهي غرفة صغيرة مربعة الشكل ولديها باب صغير غير مرتفع ، طوله 1.4م وعرضه 0.60م (المخطط رقم 07) (الصورة رقم 17).



صورة رقم 17 المخزن

7/ الكنيف :

الكنيف جمعها كُنْف أو كُنْفٌ ، تدعى محليا الكُنَيْفُ، هي مرحاض يتم الصعود إليه عبر سلم عادة ما يتم بناء الكُنَيْفُ في منازل المنطقة فوق مستوى عال نسبيا يتجاوز 1م أو 1.5م ، ويتم وضع سلم صغير بـ 4 أو 5 درجات للوصول إليه ، وهو عبارة فجوة مستديرة تشكل قعرا تطرح فيه الفضلات ، وتترك فتحة في الأسفل لاستخراج الفضلات لكي لا تكثر وتسد الفجوة ، ولكي تصبح تلك الفضلات أسمدة للبساتين ، ولم يتبق من الكنيف في هذا المنزل سوى الدرجات الموصلة له ، حيث انهار أغلبه ، ويرتفع الكنيف عن الأرض بحوالي 1.40م ، وتظهر حوالي 4 درجات للوصول إليه (المخطط رقم 07) ، (الصورة رقم 18) .



صورة رقم 18 الكنيف

8/ السلالم :

هو عنصر معماري هام من عناصر البناء الداخلية، في المصطلح الأثري المعماري فإن السلم بمعناه العام هو مجموعة من الدرجات الموصلة بين أدوار المبنى ، وقيل سمي بهذه التسمية لأنه يسلمك حيث تريد¹ .

وكما قلنا سابقا فإن المنازل في قصور توات وفي قصر تماسخت في غالبها قد احتوت على طابق ثان لذلك نجد أنها زودت بسلالم للصعود إليها ،وقد تضررت وانهارت أغلب السلالم ، ومن تبقى منها فإنه لم يسلم منه سوى بعض الدرجات ، ومن بقي منها فهو يحتاج إلى صيانة وترميم للحفاظ عليه من الاندثار، أن بعض تكون السلالم في اتجاه وحيد أو أكثر ، وقد بنيت هاته السلالم بعناية كبيرة لتجنب الثقل .

¹ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 150

وقد احتوى منزل الشيخ في القصر على سلم في الفناء الغربي ، وهو على اتجاه واحد ، وهو في حالة سيئة ولم نتمكن من الصعود عليه ، وهو مشكل من 8 درجات ، يختلف ارتفاعها عن بعضها البعض من 0.30م إلى 0.40 م ، (المخطط رقم 07) ، (الصورة رقم 19)



صورة رقم 19 السلم

9/ السطح:

يعتبر السطح ضرورة معمارية لكل المنازل الصحراوية، فالحرارة الشديدة استدعت تزويد المنزل بهذا الفضاء الواسع الذي يجد فيه الإنسان راحته وطمأنينته، ويستعمل لعدة أغراض اجتماعية منها تجفيف الملابس وتواصل النساء مع بعضهن البعض دون أن يراهم الرجال ، وكذلك يستعمل للنوم في الليالي الحارة هروبا من حرارة الغرف ، ويتواجد بالسطح أحيانا غرف وهذا على غرار هذا المنزل وقد تضرر سطحها حيث انهار ولم نستطع الصعود على السلم

لمعاينتها ، ولكن من خلال الفتحات الموجودة في أعلى جدران السطح استنتجنا وجود سقف للغرف في السطح (المخطط رقم 07)، (اللوحة رقم 24، الصورة أ ، ب) .



صورة أ السطح



صورة ب السطح ونلاحظ فتحات في أعلى الجدران من بقايا التسقيف

لوحة رقم 24 السطح

خلاصة الفصل

منطقة توات من بين المناطق التي قلنا سابقا أنها عرفت تنوعا كبيرا وخاصة في الجانب المعماري والذي تمثل أساسا في القصور ، والتي هي مدن بما تحمله الكلمة من معنى حيث إحتوت على كل ما في المدينة الإسلامية من شوارع وأزقة ومنازل ومساجد ، وكذلك في منظومتها الدفاعية ، كما نلاحظ أن القصور في منطقة توات قد بنيت على الطريق التجاري الذي كان يربط بين المغرب شمالا وبلاد السودان جنوبا ، وهذا ما نلاحظه من خلال وجودها في خط واحد تقريبا من الشمال إلى الجنوب .

وقصر تماسخت لم يشذ عن هاته القاعدة فقد كان في موقع ممتاز بالنسبة لهاته الطريق ، كما نجد أن عمارته لم تحد عن الخصائص المعمارية للمدينة الإسلامية وهذا ما لمسناه في طريقة بنائه وكذلك في شوارعه التي كلها تصب في المسجد ، الذي هو القلب النابض للمدينة والقصر وكذلك الملاحظ لموقع المنازل في الشوارع هو عدم تقابلها ، وهاته الخاصية من أهم الخصائص المعمارية في المدينة الإسلامية وكذلك في القصور ، لهذا فإن نظرية كون من بناء يهود لا تجد ما يدعمها من شواهد أثرية ، ويبقى هذا القصر من بين القصور الكثيرة في منطقة توات و التي تحتاج للكثير من الأبحاث لكشف أسرارها.

الفصل الثالث الفقارة

يعتبر الماء مصدر الحياة وارتبط وجود الإنسان به منذ أن خلقه الله ، فهو أهم عنصر للحياة بعد الهواء ، وهذا مصداقاً لقوله تعالى في محكم تنزيله " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا¹ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ² " لذلك كان الماء أهم عامل لنشأة وتطور الحضارات منذ القدم ، كحضارة بلاد الرافدين والنيل إضافة لحضارة الصين والهند ...

ولكون الصحراء تخلو من الأنهار والوديان دائمة الجريان بالإضافة إلى قلة الأمطار وكذا صعوبة التخزين بفعل التبخر وغيره من الظروف الصعبة، التي جعلت الإنسان يبحث عن مصادر أخرى لسد احتياجاته من الماء باستغلال المياه الباطنية ، إلا أن بعدها الكبير عن سطح الأرض في بعض المناطق كمنطقة توات مثلاً جعل الإنسان فيها يبتكر نظاماً لاستغلاله في السقي والشرب يدعى نظام الفقارة .

1/ تعريف كلمة فقارة:

اختلفت النظريات حول الفقارة وماهيتها ومصدرها ، وأيضاً على مصدر تسميتها فيرى بعض الباحثين أن كلمة فقارة مشتقة من الفعل " فقر² " وتعني في كلامنا الفقر الذي قد يصيب العاملين فيها نتيجة كثرة الأعمال ومشقتها التي قد تؤدي إلى الفقر .

وهناك من يرجعها إلى الفعل " فجر " إذ أن مصدر " فقارة " هو " فجارة " من فعل التفجير أي أن الماء يفجر فيها تفجيراً³ ، لأن الماء يتفجر من الآبار المحفورة ، ويؤيد هذا قول الله عز وجل " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا⁴ " ، وذلك أن العرب تقول تفجّر الماء أي سال وانبعث ، وفجّره هو يفجّره بالضم فجراً فانفجر ، وفجّره تفجيراً ، شدّد للكثرة ، يقول الماء المنساب والمسال انفجر الماء وسال⁵ ، وإذا نظرنا إلى انتظام آبار الفقارة ، نجدها في

¹ سورة الأنبياء، آية رقم 30

² محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 64

³ محم باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص 73

⁴ سورة الإسراء ، الآية ، 90، 91

⁵ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 60

استقامة واحدة وعلى شكل فقرات ظهر الإنسان وعليه اعتمد البعض في تأصيل الاسم، إلا أنه حديث مقارنة بالاشتقاق اللغوي وبذلك فإن الاشتقاق اللغوي الأصح في التسمية.

وهناك من يرى أن مصطلح الفقارة مشتق من الفقر حيث أن عملية إنشائها تعرض أصحابها للفقر نتيجة لتكاليف العمل بها ، وهناك من يرى عكس هذا القول حيث يذهب في قوله بأنها تُذهب الفقر ، حيث أن الغني وقتها هو الذي يملك السهم الأكبر من الماء ¹.

ويوجد من يرى أن الفقارة سميت بهذا الاسم لأنها تبدأ من أعلى نقطة أرضية ثم تنحدر إلى أسفل نقطة وهي مركبة من كلمتين " فوق " " قارة " أي مكان مرتفع ، وتسمى أيضا (الأنفاق) لأنها تتكون من عدة آبار تربط بينهما أنفاق ².

وهناك تعريف للباحث فرج محمود فرج الذي يرى بأن الفقارة تتشكل من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذو فوهات لمسافات بعيدة حيث تنحدر ببطء عن طريق الانحدار التدريجي لهذا المجرى ، وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى " الماجن " ، ومنه تخرج القنوات التي تحمل المياه إلى بساتين أصحاب الفقارة كل حسب نصيبه ³.

فالفقارة هي عبارة عن سلسلة من الآبار يربط بينها نفق حيث بين كل بئر وبئر درجات مثل السلم ، يبتدئ العمل فيها من مكان عال ولا يزال الانحدار من أعلى إلى أسفل وقد يوجد في عمق بعض الآبار ما يزيد عن 40 م ، ثم ينخفض العمق إلى أن يخرج إلى سطح الأرض ⁴.

ومصطلح الفقارة الذي عرف في صحرائنا وبالتحديد في منطقة توات لم يكن نفسه في بلدان العالم التي عرفت نفس الطريقة في استخراج المياه الباطنية ، ففي مناطق إيران عرفت باسم (القناة) وكانت تكنى باسم (الموت) ، وذلك لموت عدد كبير من المستخدمين

¹ سعيدة قندوسي ، "الفقارات نظام وآلية توزيع المياه الجوفية" ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 13، جامعة الأغواط ،

2015، ص 72

² نفسه ، ص 72

³ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 55

⁴ محمد باي بعالم ، المرجع السابق ، ص 70

في إنجازها ، حيث أن البئر تصل إلى عمق 150م أو أكثر¹، وعرفت كذا في أفغانستان باسم (الخراس)².

وقد عرفت في المدينة المنورة باسم (الشراج)، وفي اليمن (الصهرنج) وكذلك عرفت باسم (الفلج) بسلطنة عمان حيث تم إحصاء أكثر من 4000 فلج في السلطنة تختلف أطوالها³.

والفقارة عرفت كذلك في شمال إفريقيا بأسماء مختلفة ، ففي تونس عرفت خصوصا في مدينتي منشية والقصار تعرف باسم أنقولا أو خريبقا ، وكذا تعرف نفس الطريقة في المغرب الأقصى بالتحديد في مدينتي سجدلماسة ومراكش⁴.

وفيما يلي الأسماء المتداولة في أهم الدول التي عرفت الفقارة واستخدمتها (الجدول رقم 12).

البلد	التسمية	المكان
الجزائر	الفقارة	أدرار
المغرب	الخطارة	سجدلماسة - مراكش
تونس	أنقولا - خريبقا	المنشية - القصار
الشام	الأفنية	الشام
الحجاز	الخيف - الشراج - السرب - الكظمة -	المدينة المنورة
اليمن	صهرنج	اليمن
عمان	الفلج	عمان
العراق	الكهريز	العراق

¹ يلي صادق ، " عمان بلاد النخيل والنارجيل " ، مجلة العربي ، العدد 46 ، سبتمبر ، 1987 ، ص 157

² نور الدين بو عبد الله ، المرجع السابق ، ص 13

³ نفسه ، ص 13

⁴ نفسه ، ص 13

إيران	قناة	إيران
أفغانستان	خيراس أو الخراس	أفغانستان
إيطاليا	أنقريطاطي	إيطاليا

جدول رقم 12 أسماء الفقارة حسب مختلف الدول

- عن موساوي عربية -

2/ تاريخ دخول الفقارة للمنطقة :

إن المتتبع للدراسات التي تناولت تاريخ نشأة الفقارة في منطقة توات يجد إختلافا وتباينا كبيرا في مصدرها إذا تتبعنا المصادر المحلية التي تحدثت عن الفقارة ، والتي تتمثل خاصة في المخطوطات، حيث نجد قول عبد الرحمان المهداوي الذي يرى فيه أن جماعة من اليهود التي وفدت من المدينة المنورة إلى المنطقة واختطت الفقارة وعرفت عندهم بالشرج¹.

ومن بين المخطوطات التي تناولت كذلك الفقارة ، مخطوط درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد الإسلام ، حيث ينسبها إلى بعض القبائل البدوية القادمة من سجلماسة ، والتي نزلت قرب قصر بودة ، فوجدت مياه وادي قير قد جفت فاخترت الوادي ثم حفرت سلسلة من الآبار مرتبطة ببعضها البعض ثم استخرجوا الماء وزرعوا بعض الأراضي² وكذلك هناك رأي لمحمد بن عبد الكريم البكري ، إذ يرى أن أقباط مصر هم من أدخلوا الفقارة للمنطقة³

¹ محمد باي بلعالم ، "على منوال شراج المدينة" ، مجلة أعمال المهرجان الثقافي للتعريف بمنطقة توات ، ينة 1985م ،

ص 55.

² محمد بن عبد الكريم بكاوي ، مخطوط درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد الإسلام ، ص 5

³ عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، من القرن 9 هـ إلى القرن 14 هـ ، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة ، 2005 ، ص 40

ويرى الباحث إسماعيل العربي في كتابه المقتبس من نزهة المشتاق للشریف الإدريسي بأن الفقارة دخلت لإقليم توات عن طريق المغرب الأقصى وتحديدًا مراكش، وذلك إثر بناء قصور تمنطيط (على أيام المرابطين)، وقد سميت أول فقارة في هذا العصر باسم "هنو" ومن ذلك التاريخ عرفت الفقارة تسميما في كل مناطق الإقليم¹، وكذا هناك فرضية أخرى بأن هاته الطريقة جاءت من بلاد الفرس حملها مهاجرون إلى الصحراء الجنوبية الغربية في عهد الرستميين من منطقة نيسابور التي كانت تضم لوحدها أكثر من اثني عشر ألفا من هاته القنوات².

وقد تناولت نشأة الفقارة بالمنطقة العديد من الدراسات الأجنبية التي من بينها وأهمها دراسة للنقيب الفرنسي لو "LO" إذ يرى أن هاته التقنية عرفت في توات منذ القرن 10م وهي موجودة في إيران وأفغانستان، واليمن والصحراء الغربية المصرية وكذلك في الصحراء التي تمتد من بحر قزوين غير بعيد عن الحدود الإيرانية وتسمى "كجازيرن"³.

أما الباحث محمد حوتية فينقل لنا آراء أخرى عن انتقال طريقة السقي بالفقارة للمنطقة حيث يرى البعض بأن السقي بالفقارة جلبه البرامكة، بعد نكبتهم على يد الخليفة هارون الرشيد، حيث قدم بعضهم حسب الرواية الشعبية إلى قصور توات السفلى وبالتحديد واحات سالي، فنقلوا طريقة حفر الفقاير التي كانت مشابهة في هندستها ما كان جاريا به العمل في إيران⁴ وينقل كذلك عن النقيب "MARTIN" "مارتن" الذي يذهب للقول بأنه بعد سقوط دولة العبيديين بمصر، هاجر عدد منهم إلى إقليم توات فأقاموا قصورا ونظموا السقي فأخرجوا المياه من باطن الأرض إلى سطحها فسموا هذه الطريقة بالفقارة⁵.

فهاته الآراء التي رغم اختلافها الكبير حول مصدر الفقارة الحقيقي وكلها تصب في أمر واحد، وهو أن الفقارة مصدرها خارجي عن إقليم توات، ولكن المسلم به أن الفقارة

¹ إسماعيل العربي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب الإدريسي، نزهة المشتاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 25

² نفسه، ص 25

³ محمد بن سويبي، المرجع السابق، ص 45

⁴ محمد حوتية، المرجع السابق، ص 87

⁵ محمد حوتية، المرجع السابق، ص 87

نشأت مع قصور المنطقة فهي الأساس والقلب النابض لها ،فتأريخها بتاريخ العمران في المنطقة.

3/ تقنية إنجاز الفقارة :

إن الفقارة بالنسبة لقصور توات تمثل الحياة كيف لا وهي الشريان الذي ينقل أهم عنصر في الكون لها ، ولا يمكن تصور التعمير البشري للمنطقة من دونها ولأهميتها في حياة المجتمع التواتي فإن الأفراد كلهم يساهمون كل بما يعرف ويقدر ، وهذا لصعوبة إنجازها وقد تكلم العلامة عبد الرحمان بن خلدون على عملية إنجازها، ويقول في هذا "وفي هذه البلاد الصحراوية إل ما وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على الوجه واديا ويزعمون أن الماء أعجل بسرعته عن كل شيء ،وهذه الطريقة الغريبة موجودة في قصور توات وتينجورارين ورغلة وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العظيم" ¹ ، ولإنجاز الفقارة يجب إتباع خطوات عديدة تتمثل في :

أ/ اختيار المكان:

إن اختيار المكان لإنجاز الفقارة تتحكم فيه أشياء عديدة ومنها وأهمها طبوغرافية المكان حيث أن منطقة توات يتم فيها اختيار المكان في انحدار هضبة تدمائيت المنحدرة من الشرق إلى الغرب ، وهذا ما نلاحظه في غالبية فقرات المنطقة حيث أنها تتجه من الشرق إلى الغرب ، ويتم تخطيط الأرضية والمكان التي ستقام عليه الفقارة من أول الأعمال التي يبادر بها أهل الفقارة وتكون عادة الاستعانة بأحد الخبراء الكبار من القصر أو من قصر مجاور تكون به فقاير ويعتمد العاملون بالفقارة على حسابات تقليدية بسيطة تمكن في الأخير من إنجاز الفقارة ² ، ولهذه العملية رجال مختصون بذلك يدعون " المعاليم " أو "

¹ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 107

² محمد حوتية ، المرجع السابق ، ص 89

المعلمين " و هو معلم القصر أي التقني المختص في الكشف عن المياه ، وتم ذلك بواسطة سلك معدني للكشف عن حركة الوديان الجوفية ، حيث تتحرك العصا مع حركة المياه.

ب/ توفير اليد العاملة:

كما قلنا سابقا فإن عملية إنجاز الفقارة يساهم فيها كل أفراد المجتمع كل بدوره و عمله وتتمثل هاته الأدوار في :

الوقاف : وهي شخص يقوم على العمل ويلاحظ كل صغيرة وكبيرة ، وهاته المهنة في الغالب يقوم بها من هو ذو خبرة وتجربة .

القطّاع : هي مهنة يقوم بها مجموعة من الأشخاص يتداولون على عملية حفر التربة .

الجبّاد : هي مهنة يتولى فيها الشخص عملية جذب التربة من أسفل البئر وتتم بواسطة الحبل والدلو .

الخدّام : وهو عمل يقوم بتحضير الطين وعجنه قبل عملية الكيل ،

الكيّال : هو خبير متخصص مهنته تقدير حجم مياه الفقارة ، ويحدد نصيب كل واحد من المياه .

الشاهد : هو الذي يمسك سجل الفقارة (الزمّام) يوم التوزيع ، ويتم اختياره من صفوة أهل القصر حيث يكون في الغالب إمام أو شخص معروف عليه بالصدق والأمانة .

الحساب: إن عملية الحساب هي من أكثر العمليات صعوبة في تقسيم مياه الفقارة ، حيث أن الحساب يقدر نصيب كل واحد بعد تقديره من طرف الكيّال فالحساب يستعان به في حال نقص أو زاد الماء كذلك أو في حال تقسيم المياه بين الورثة .

بالإضافة إلى هاته الأدوار في إنجاز الفقارة فإنه هناك من يعجز عن العمل فيساهم بماله الخاص من أجل الحصول على نصيب من الماء مقابل تلك المساهمة المالية .

ج/ مباشرة الإنجاز:

إن الملاحظ للفقارة يجدها عبارة عن سلسلة من الآبار المتصلة ببعضها البعض والتي تدعى محليا " بالحسيان " ، وتتصل هاته الحسيان ببعض بواسطة قنوات مغطاة ، والتي تدعى بدورها " النفاد " أي القناة ، وقد تم حفر الحسيان من أجل عمليات الصيانة والتنظيف للقناة ، وتفصل بين البئر والأخرى مسافة مابين خمسة عشر إلى عشرين متر ، وتنحدر المياه في القناة من مستوى عال إلى مستوى منخفض ، لتصل إلى مكان توزيع المياه والذي يدعى محليا " القسرية " ليصل عبر كل قناة إلى حوض الاستقبال الفردي والذي يدعى محليا " الماجن " .

وتختلف مدة إنجازها حسب كبرها أو صغرها ، إذ يستغرق إنجاز الصغيرة منها سنة واحدة أو أكثر والكبيرة قد تصل إلى 20 سنة

ومن خصائص إنجازها أنهم يبدؤون من السهل المنخفض إلى أعلي المرتفعات ، والحكمة في إنجازها من الأسفل إلى الأعلى هي سحب الماء المتولد واستغلاله بالتحكم في كمياته القليلة نسبيا ، بعكس لو شرعوا في العمل من الأعلى لوجدوا صعوبة في التكييف مع الماء المتفجر الذي لا يجد المنفذ الذي يخرج منه بعد .

وعند التأكد من وجود المياه تحدد مساحة قطرها 1م إلى 2م ، ويتم الحفر بشكل عمودي إلى أن يصل حدود الطبقة الجيرية ، عندها تتناقص مساحة المربع لتصبح حوالي 60 سم² ، ثم تتواصل الأشغال بشكل مكثف إلى أن يصل عمق البئر إلى 30م أو 65م (خروج الماء)¹

وبعد أن يصل الحفارون إلى هذا المستوى يتم مد قناة ، بعمق نفس الحاسي الذي حفروه وهذا في اتجاه البئر الثانية ، وكان تتم عملية الحفر بنزول شخص للبئر ليشق القناة والتي تدعى محليا " النفاد " ويبدو أنها مأخوذة من الكلمة العربية " النفاذ " فحرف "ذ" ينطق في المنطقة " د " ، وقد سميت بهذا لأنها تسمح للماء بالنفاذ والسير ، وتتم عملية شق النفاد

¹ نور الدين بوعبد الله ، المرجع السابق ، ص 15

بأداة حديدية تُشكل على حسب الحاجة ويبدأ بالضرب في النفاد ، وفي نفس الوقت يكون زميله في الجهة المقابلة له يقوم بالحفر بدوره فيستمع للضربة التي يحدثها زميله المتواجد في البئر الأخرى ، وعلى رنات الضربات يهتدي كل منهما للاتجاه الذي فيه زميله وتستمر العملية إلى أن يتم ثقب النفاد بينهما . (الصورة رقم 20)

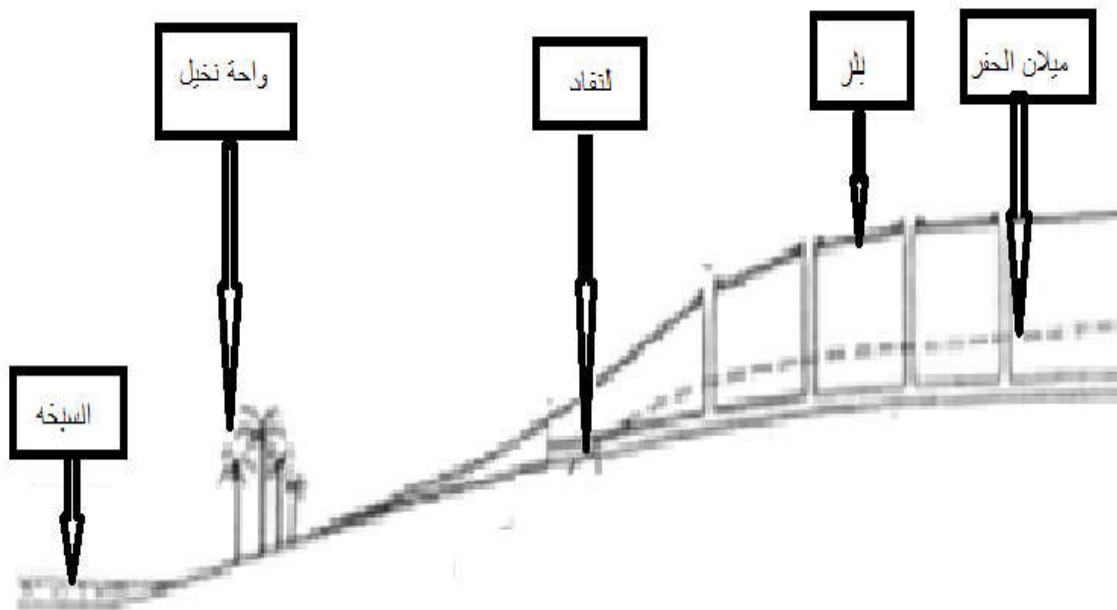
ويتم التحكم في مستوى الميل بواسطة المعلم، ويراعى في هذه العملية طول النفاد الذي بين البئر والأخرى ما بين 10م إلى غاية 60م، أما قطر القناة 0.95م وارتفاعها 1.20م .

ويبلغ عدد الآبار في الفقارة الواحدة من 20 بئر في الفقارة الواحدة وهي الصغيرة ، إلى 1200 بئر للفقارة الكبيرة وقد تمتد على مسافة 20 كلم (الشكل رقم 01) ، وتعتبر فقارة " أقرينج" بأدرار أطول فقارة في المنطقة¹ ، و يتناقص عمق الآبار كلما ابتعدت عن البئر الأم ، وبعد الانتهاء من الحفر وإنشاء القنوات يتم تسوية الفوهات وبناء جدران حولها لحماية الناس والحيوانات من السقوط داخله (الصورة رقم 21) ، وبعد خروج الماء إلى سطح الأرض يتم بناء ما يدعى بالقصرية (وهو المكان الذي يتم توزيع المياه منه للبساتين ، ويتم بواسطة أداة تدعى " الشقفة" .

¹ عربية موساوي، الفقارة بمنطقة توات وأثرها على المجتمع دراسة أثرية تاريخية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2007، ص 122



صورة رقم 20 عملية حفر وجذب التراب داخل البئر



الشكل رقم 01 أجزاء الفقارة

- من إعداد الطالب -



صورة رقم 21 فواحات الفقارة وقد بنيت عليها جدران

4/ العوامل المؤثرة في عمل الفقارة :

أ/ الميل (الانحدار) :

للميل دور كبير في عمل الفقارة وكفاءتها ويجب أن يكون متوسطا غير ضعيف ، فضعه يؤدي إلى كثرة الترسبات التي تؤدي بدورها على كثرة الأعمال التقنية ، وإذا كان الميل كبيرا يؤدي إلى انجراف التربة داخل النفاد ، وفي الغالب يقدر هذا الميل من 5 إلى 6 ملم في المتر الواحد¹ ، وقد يزيد أو ينقص على حسب الطبيعة الطبوغرافية للمكان.

ب/ شكل النفاد :

إن لشكل القناة دور كبير في عمل الفقارة كذلك فهناك مناطق ضيقة يقدر عرضها بـ 0.4م إلى 0.5م ، وهذا للرفع من سرعة تدفق المياه ، كما يساعد على التنقية الذاتية ، كما أنه هناك مناطق واسعة تقدر بـ 1.2م² ، فالاتساع في النفاد يساعد الأشخاص للنزول

¹ بوفلحة حرمة ، "من الموارد المائية الجوفية في أدرار الجزائرية الفقارة - نظام كيلها وسوقها المائية" ، مجلة العلوم

القانونية والإجتماعية ، مج 4 ، ع2 ، جامعة زيان عاشور ، الجلفة ، الجزائر ، جوان 2019 ، ص 625

² نفسه ، ص 625

والمشي داخله بوضعية الانحناء وهذا لتنقية الفقارة من الترسبات الناتجة عن الأتربة التي تجرفها المياه ، حيث عدم تنقيتها يسبب قلة تدفق المياه ، وهو ما تعاني منه اليوم فقارات المنطقة حيث أن غالبيتها قد نضبت بسبب عدم تنقيتها من الأتربة العالقة داخلها .

5/ أجزاء الفقارة :

أ/ الآبار:

الآبار كما قلنا سابقا تلك الثقوب التي تحدث في الأرض لجذب المياه ، وفي الفقارة نجد نوعين من الآبار الأول المتمثل في البر الرئيسي وهو الذي يتم به الوصول للمياه الجوفية ليتم نقلها بالقنوات ، ثم نجد الآبار الأخرى وهي في الغالب تخصص للتهوية وللنزول للنفاذ لتنقيته من الأتربة .ونلاحظ أن عمق الآبار ينقص كل ما ابتعدنا عن البئر الأم .

ب/ النفاذ:

هي تلك القناة المخصصة لنقل المياه بين البئر والأخرى وطوله بطول الفقارة

ج/ القسرية :

هي ذلك المكان التي تتجمع فيه المياه بعد خروجها من الساقية الرئيسية التي تحمل المياه من الفقارة ، وهي عبارة عن حوض مثلث الشكل حيث قاعدته بها ثقوب توزيع المياه ورأسه يمثل مدخل المياه الرئيسي ، ويختلف حجمه على حسب كبر وقوة مياه الفقارة ، ومن هذا الحوض يتم توزيع المياه للحقول عبر السواقي (الصورة رقم 22).

ويمكن أن نجد عدد من القسريات على حسب حجم مياه الفقارة وكثرة المستفيدين منها ، حيث نجد القسرية الرئيسية الخاصة بأهل القصر ككل ، ثم تتجه السواقي منها إلى قسريات أخرى أصغر حجما والعائدة للعائلات الكبرى المساهمة في عملية إنشاء الفقارة ، والتي تتوزع بدورها على أفراد العائلة بواسطة السواقي ، والقسرية في الغالب مصنوعة بواسطة الحجارة الصلبة التي لا تسمح للماء بالنفاذ ويتم الربط بينها بالملاط الطيني وجريان الماء المستمر داخلها يسمح بتنظيفها المستمر ويتم توزيع الماء على المرافق العامة والبساتين وتتم عملية التقسيم مع مراعاة اعتبارات هامة وتتمثل في :

- 1/ حسب مساهمة الأفراد في إنشاء الفقارة : فالمساهمة المالية من الأفراد تلعب دور كبير فاذي تكون مساهمته أكبر يتحصل على حصة أكبر من المياه .
- 2/ حسب الجهد العضلي المبذول : على غرار المساهمة المالية فإن العمل البدني له حصة فكلما كانت الأسرة لديها عدد من العاملين أكثر تحصل على حصة من المياه أكثر ، ومن لا يستطيع العمل كان يكلف مكانه من يعمل مقابل مبلغ مادي ، أو تشغيل عبيده كعمال فيها ، كما أن العمل العضلي يختلف من حيث الخبرة والكفاءة، فالمعلم الذي لديه خبرة يحصل على مياه أكثر ، ثم يليه الحفار ثم الجباد ... الخ .
- 3/ حسب المرافق العامة : فالمرافق العامة كانت لها حصة أيضا في القصور التي تحتوي على زوايا ، فالزاوية والمسجد وغير ذلك من المرافق المجتمعية كانت لها حصة خاصة بها احتراما للدور الذي تقوم به .



صورة رقم 22 قسرية تتفرق منها السواقي

د/ السواقي:

السواقي عبارة عن قنوات تخرج من القسرية وتتفرق على البساتين ، وهي على أشكال فمنها المكشوفة ومنها المغطاة بالحجارة الصغيرة لمنع سقوط الرمال والأتربة فيها ، ويتم بنائها بالحجارة على شكل حرف "ب"، ويتم اختيار الحجارة الصلبة الغير مسامية وتربط ببعضها بالطين ، وتختلف أطوالها وأحجامها على حسب استعمالها فهناك الساقية التي تربط بين قسرية وأخرى فيكون حجمها كبير وهناك الساقية التي تربط بين القسرية الأحواض والتي تدعى محليا بالماجن ، وقد أدخلت حديثا مادة الإسمنت فيها وهذا لحماية المياه من التسرب منها ، فالمادة الطينية تسبب ضياع المياه (الصورة رقم 23) .



صورة رقم 23 الساقية

هـ/ الماجن :

عبارة عن حوض مائي داخل بستان النخيل تصب فيه الساقية ، ويحفر الماجن في الأرض على شكل مستطيل وتختلف أحجامه على حسب كمية الماء التي يحصل عليها

صاحب البستان ، ويتراوح طوله ما بين 5م و8م وعرضه ما بين 2م و4م وعمقه ما بين 0.50م و0.70 م ، وقد يزيد عن ذلك في حال كان البستان المراد سقيه حجمه كبير ويصب فيه كمية كبيرة من المياه ، وبعد حفره يتم طرح الطين داخله ورصه بواسطة معول خشبي ثم يتم بعد ذلك صقل جدرانه بالملاط الطيني ، وهذا لتخفيف التسرب منه ، وتصب الساقية دائما فيه وبعد امتلائه يتم إفراغه وتتوزع مياهه داخل الحقل (صورة رقم 24) .



صورة رقم 24 المياه متجمعة داخل الماكن

6/ نظام كيل وتوزيع المياه في الفقارة :

إن عملية توزيع مياه الفقارة تخضع لضوابط عديدة يطغى عليها العدل في عملية التوزيع ، حيث أن الحصول على هاته النعمة الثمينة في الصحراء يحتاج لمقابل كما قلنا

سابقا سواءا كان ماديا أو بدنيا ، ومن هنا جاء هذا الإعجاز الذي يتمثل في عملية التقسيم الدقيق للمياه ، وهناك طريقتين للتوزيع وهما :

أ/ الطريقة الأولى : وتتمثل في التوزيع بالوقت حيث تتم تحديد مدة زمنية لكل مستفيد من المياه ، حيث يتم توجيه مياه الفقارة لمالك وبعد انتهائه توجه لمالك آخر ، وهاته الطريقة نادرة في منطقة توات إلا ما وجد في فقارة "هنو" بتمنيط .

ب/ الطريقة الثانية : وهي الغالبة على المنطقة حيث يتم فيها إعطاء كل شخص حصة من الماء يتصرف فيها كما يشاء ، وتتم بعد تقسيم دقيق للمياه وهذا بواسطة استعمال عدة أدوات في ذلك وتتمثل في :

1/ الشقفة :

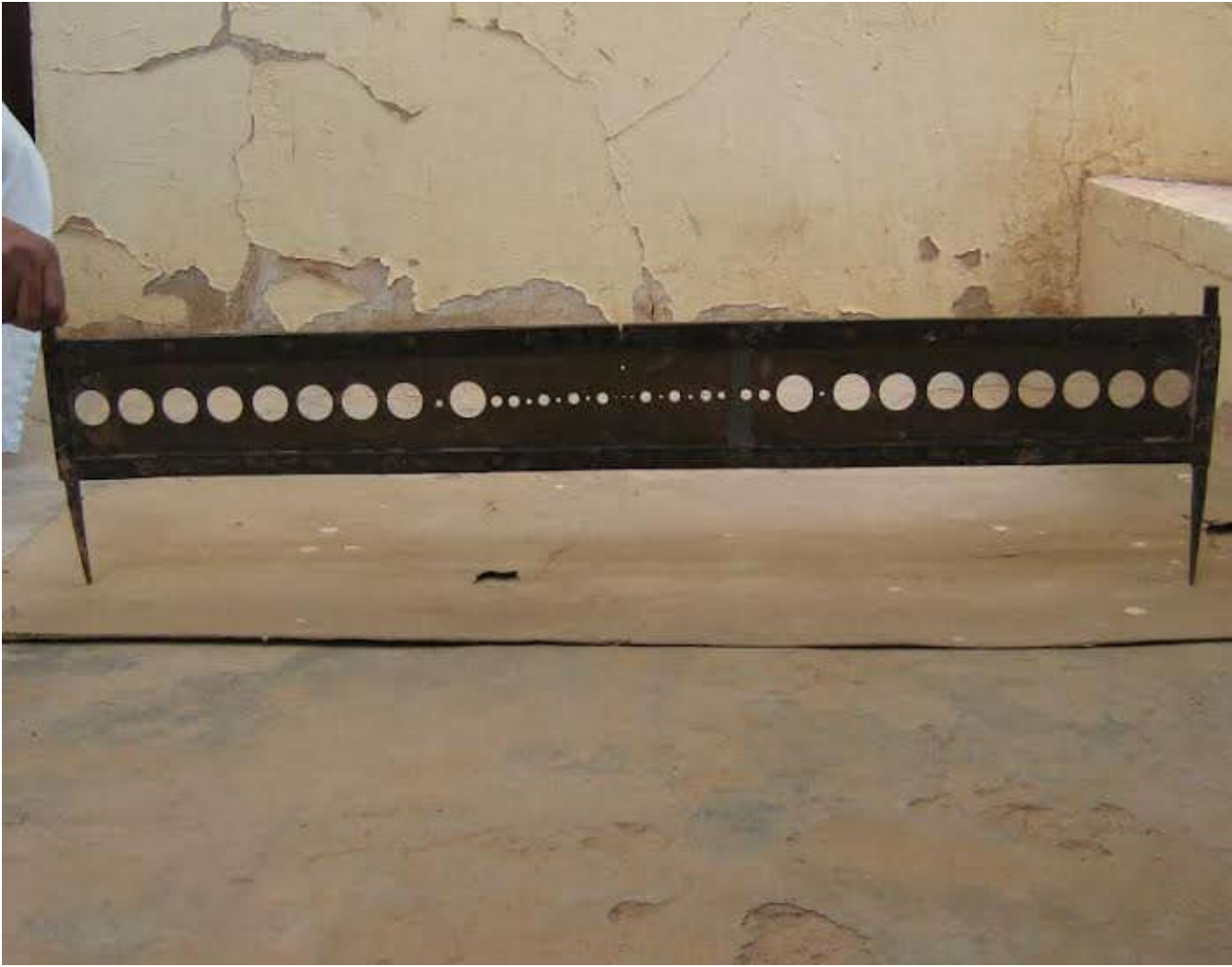
الشقفة أو الحلافة أو المشط كلها أسماء متداولة في منطقة توات لآلة قياس الماء ، وهي عبارة عن لوح نحاسي مستطيل الشكل به ثقب تتسرب منه الماء لقياسه ، وتختلف أحجام الشقفة على حسب حجم الفقارة المراد قياسها ، وطولها يتراوح ما بين 0.40م إلى 1.5م وقد يصل أحيانا إلى 2م والعرض كذلك يختلف من 0.15م إلى 0.40م ، (الصورة رقم 25) وكل ثقب يمثل الوحدة الأساسية والتي تدعى الحبة ، وتختلف تسمية وحدة القياس من منطقة إلى أخرى ، فهناك من يسميها " حبة زريق " وهناك من يسميها " حبة معبود " وتنقسم الحبة إلى أجزاء أقل وتتمثل في " القراريط " جمع " قيراط " ، ف 1 حبة = 24 قيراط و 1/5 حبة = 12 قيراط ، 1/3 حبة = 8 قراريط ، 1/4 حبة = 6 قراريط ، 1/6 حبة = 4 قراريط 1/8 حبة = 3 قراريط .

ويرمز للقيراط عند كتابته بنقطة . وعندما يكون قيراطان .. وثلاثة ... وحين يصل إلى أربع يكتب على شكل خط عمودي | ، وبهذا فإن الخط العمودي يمثل بمثل أربع نقاط أي 04 قراريط (الجدول رقم 13) .

الرمز	التسمية
.	قيراط
..	قيراطان
...	ثمن حبة
	سدس حبة
.	خمس حبة
..	ربع حبة
	ثلث حبة
	نصف حبة
	حبة غير ثلث
	حبة غير ربع
	حبة

جدول 13 رقم تسميات ورموز قياس مياه الفقارة

- من إعداد الطالب -



صورة رقم 25 الشقفة

2/ الزمام :

الزمام عبارة عن دفتر يتم فيه تسجيل كمية المياه الخارجة من الفقارة ، وتحديد نصيب كل مستفيد من المياه وهو على نوعين :¹

أ/ زمام الإنشاء أو التعمير :

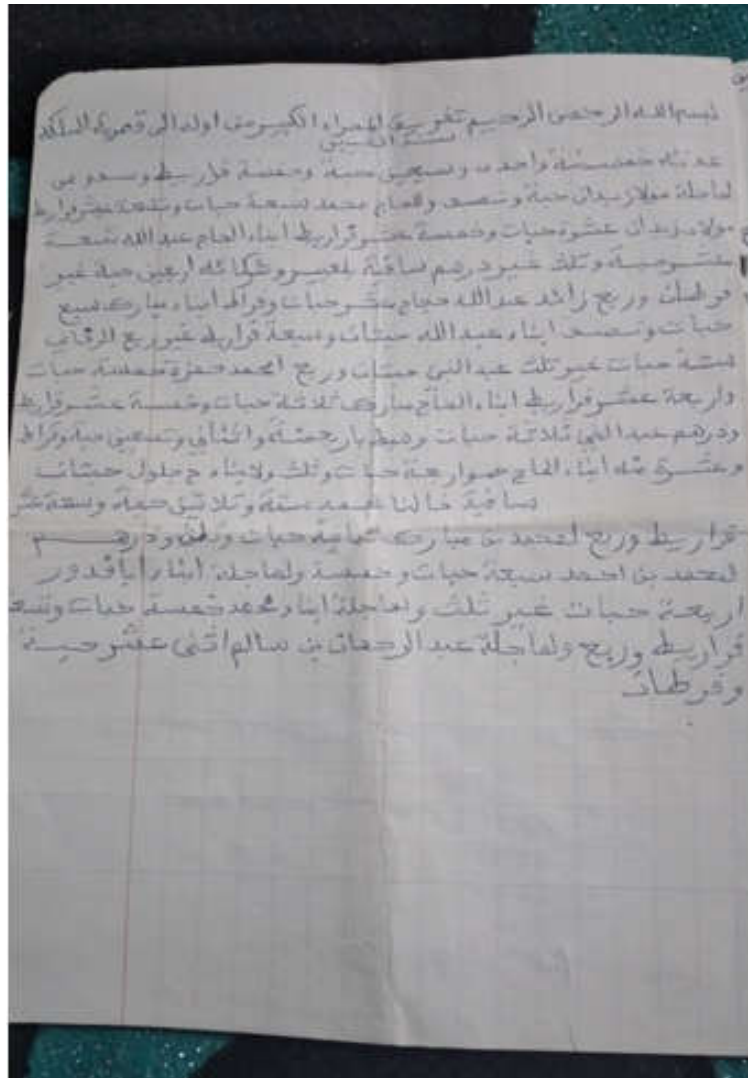
زمام التعمير ويسمى في بعض المناطق بـ " الجريدة " ، ويوضع يوم إنشاء الفقارة أو يوم تجديد العطية أو زيادة مياه الفقارة، وهذا النوع يجب أن يكون بيد لجنة الكيل يوم

¹ بوفلجة حرمة ، المقال السابق ، ص 626

قياس منسوب المياه ، ويتم استخدام زمام الإنشاء بعد بداية الأشغال بالفقارة أو بدايتها ليسجل فيه ما زاد أو نقص من مائها ، وما ينوب كل شخص في حالة الزيادة .

ب/ زمام الملكية أو زمام الكيل :

وهو الذي يتم فيه تسجيل كل ما يملك كل شخص من الماء أو ما هو مؤجر من المياه ، وكذلك يتم فيه تسجيل كل ما سيتم أن يصرف فيه من كل قسرية ، وهذا النوع يسجل فيه ما ناب كل شخص مما هو مسجل في زمام التعمير ، يسجل فيه كل حالات نقل ملكية الماء (الصورة رقم 26) .



صورة رقم 26 زمام حديث نسبيا لتقسيم مياه الفقارة يظهر فيه تحديد نصيب كل واحد

من المياه

وبذلك فالزمام له دور كبير في تنظيم تقسيم المياه وهذا من خلال فض النزاعات بعد تعرض الفقارة لضرر مثلا في القسرية ، أو قلة المياه بسبب غلق النفاد نتيجة انهيار التربة ، ففي هذه الحالة يتم اللجوء إلى الزمام وإطلاعه لمن يريد الاستثمار في الفقارة على كمية المياه الموجودة بها ، وهذا قبل أن يبدأ عمله باعتبار أن ما يتحصل عليه من زيادة ماء سيقسم على نصفين ، نصف هو من نصيب المستثمر فهو حر يبيعه أو يمتلك بواسطته في الفقارة ، ونصف يعطى للفقارة فيوزع بالنسبة المعهودة على جميع الملاكين¹ .

أما عملية الكيل فكانت تتم بوضع الكيال للشقفة في مكان ينحدر منه الماء بسرعة ويسد كل المنافذ الجانبية بحيث يتسرب الماء من ثقبها فقط ، ثم تفتح مجموعة من الثقوب حتى يستوي الماء مع أعلى الشقفة ، وبعدها يقوم الكيال بحساب الثقوب التي يخرج منها الماء ، فيتحصل على كمية ماء الفقارة بواسطة الوحدة الأساسية وهي القيراط كما قلنا سابقا وتكتب هاته النسبة التي وجدت في الزمام ، وتختلف هنا نسب المياه المتحصل عليها من فقارة إلى أخرى وعلى حسب اختلاف الظروف ، فبعد كيل نسبة المياه المتدفقة من الفقارة تكتب في الزمام وتكون الوحدة في ذلك " الحبة " ، وتقسم تلك النسبة من المياه على المالكين للفقارة ، وكل مرة يتم فيها قياس نسبة المياه المتدفقة ، فإذا زادت المياه زادت حصة المالكين وإذا نقصت نسبة المياه نقصت حصة المالكين ، فهناك حالتين في تقسيم المياه وهما النقصان والزيادة :

حالة الزيادة : نفرض أن فقارة بها 300 حبة معبود وبعد قياس الماء المنساب منها وجد زيادة فيها وتم الحصول على 400 حبة معبود ، فيتم هنا زيادة نسبة الحبة من القراريط فكما قلنا سابقا أن 1 حبة = 24 قيراط ، ونلاحظ هنا أن نسبة المياه زادت بالثلث تقريبا فهنا تزيد نسبة الحبة من القراريط فتصبح 1 حبة = 32 قيراط ، فبعدها كان كل واحد مثلا يتحصل على 1 حبة يصبح يتحصل على 1.3 حبة ، لأن نسبة المياه زادت فزادت بها قيمة الحبة وهذه قاعدة لحساب القيمة الجديدة للحبة :

¹ موساوي عربية ، المرجع السابق ، ص 137

عدد الحبات المتحصل عليه $\times$ قيمة الحبة من القراريط = عدد الإجمالي للقراريط $\div$ العدد الأصلي للحبات = القيمة الجديدة للقراريط

ويمكننا ترجمة هذا القانون لأرقام : $32 = 300 \div 9600 = 24 \times 400$

حالة النقصان : وفي حالة نقصان مياه الفقارة بسبب عمال من العوامل ، والتي تتمثل غالبا في انهيار التربة التي تغلق القنوات ، فمثلا الفقارة التي كانت نسبة مياهها 300 حبة معبود تصبح 200 حبة معبود ، فتتقص بذلك قيمة الحبة من القراريط ونطبق نفس القانون في الزيادة :

عدد الحبات المتحصل عليه $\times$ قيمة الحبة من القراريط = عدد الإجمالي للقراريط $\div$ العدد الأصلي للحبات = القيمة الجديدة للقراريط

ونترجمها بهاته العملية : $16 = 300 \div 4800 = 24 \times 200$

وبهذا نلاحظ أن قيمة الحبة نقصت من 24 قيراط إلى 16 قيراط فقط .

فالزيادة والنقصان يكونان على الجميع فتتغير نسبة المياه من وقت إلى آخر ، وبعد حصول كل فرد على نسبته من المياه والتي قلنا سابقا أنها وفق الجهد البدني وكذلك على حسب المال المدفوع مقابل هاته المياه ، فبذلك يصبح كل فرد حر في حصته من هاته الثروة ، فكلما زادت نسبة الشخص من المياه زادت المساحة التي يمكنه أن يزرعها وبذلك يزيد إنتاجه وثروته ، فلذلك فيمكننا تشبيه عملية تقسيم المياه بالسوق المفتوح الذي يتيح للأفراد الحصول على أهم مورد يمكن الإنسان من العيش في بيئة تغلب عليها القساوة .

ويمكن للفرد الذي تحصل على الماء سواءا بالعمل اليدوي أو بإنفاق المال أو بالوارثة أن يهبه أو يبيعه لشخص آخر أو يقوم بكرائه مقابل الحصول على غلة من بستان الشخص المستأجر .

ونلاحظ أن كبار المزارعين هم من يمتلكون نسبة كبيرة من المياه وهم في غالبيتهم من طبقة الشرفاء والمرابطين يليهم الأحرار ، أما صغار المزارعين من طبقة (الحراطين) ،

فقد كان عليهم شراء المياه لري زراعتهم من أصحاب الفقاقير ونظرا لتكاليف المياه الباهظة صغرت المساحة التي يمتلكها مزارعو الطبقة الثالثة ، لذلك كان الكثير منهم يترك بستانه ليعمل عند كبار المزارعين كخماس* نظير حصة من التمور تعطى له سنويا¹ .

7/ المصطلحات المستعملة في الفقارة:

إن الملاحظ على المصطلحات المستخدمة في الفقارة نجد بانها تغلب عليها اللهجة الزناتية ، فقبائل زناتة سكنت المنطقة ، لذلك فاللهجة الزناتية موجودة في كل تفاصيل الحياة ومنها الفقارة ومن هاته المصطلحات نجد: (الجدول رقم 14) .

المصطلح	شرح
أمزر	المكان الذي يقفز فيه الماء من الأعلى إلى الأسفل
أدفر	هي تقنية تستخدم في التغلب على الحجارة الصماء وقت الحفر
أمسرح	انفاد أطول من العادة
أنفيف	جدار يبنى داخل الفقارة لسد الماء من السيلان ساعة العمل
القمون	يعتبر كوحدة قياس لمساحة الأرض ، وهو عبارة عن مساحة مخصصة للحراث طولها 2م وعرضه 1م
المطرق	مساحة أكبر من القمون ، وهو يمثل مجموعة من القمامين المتوازية
أنفيق	فواهة إنسداد المياه داخل الماجن

* الخماس : هو شخص يقوم بالتفاهم مع صاحب بستان من أجل الحصول على خمس المنتج مقابل العمل في البستان ، وهاته المهنة مشهورة جدا في بساتين توات .

¹ فرج محود فرج ، المرجع السابق ، 56

أبادو كبيرة	قناة رئيسية لنقل المياه من القسرية لمجموعة من البساتين
أبادو	قناة ثانوية لنقل المياه بين البساتين المسقية بالفقارة
هد	قمون كبير يوجد بجانب الماكن وتزرع فيه المحاصيل التي تتطلب المياه بكثرة
خدة	فتحة في حاشية القمون يدخل منها الماء
قمونة	صغيرة عن القمون تضاف على حافة السواقي لتزرع فيها محاصيل زراعية

جدول رقم 14 المصطلحات المستخدمة في الفقارة

- من إعداد الطيب -

8/ نموذج من فقارات منطقة توات - فقارة بن الطاهر تيطاوين الشرفاء* :-

لأن الفقارة كما رأينا سابقا تمثل الحياة في منطقة توات ، فقد انتشرت في ربوعها الفقاقير فلا يخلو قصر من القصور منها ، ويتعدد عددها من قصر إلى آخر وهذا على حسب تعداد السكان وثروة أهله ، ومجموع الفقاقير الناشطة في منطقة توات هي 478 فقارة ومتوسط منسوب في هذه المنطقة يقدر 3.5ل/ثا ومتوسط عدد آبارها بالنسبة لكل فقارة هو 229.23 ومتوسط طولها 2.94 كلم .وتعتبر فقارة بانزقلفوف برقان أكبر فقارة بمنسوب مائي يقدر 27ل/ثا ، وبطول 8 كلم وعدد آبارها 800 بئر تقريبا ،وأضعف فقارة بهذه المنطقة فقارة تقرأفت ببوعلي بزواوية كنتة لا يتعدى منسوبها 0.03ل/ثا وطولها 2.5 كلم وعدد آبارها 260 كلم¹.

* تيطاوين الشرفاء : تيطاوين هي كلمة زناتية وتعني العيون ، والشرفاء : نسبة لقبيلة الشرفاء فهم أول من خط وسكن القصر وهي تابعة إقليميا لبلدية إنجزمير دائرة زاوية كنتة ، وتقع على الطريق الوطني رقم 06 الرابط بين أدرار ورقان ، وتبعد عن مقرا الدائرة زاوية كنتة 25 كلم جنوبا وعن مقر الولاية أدرار 110 كلم .

¹ موساوي عربية ، ص 190

ومن بين الفقاقير التي وقع عليها الاختيار لتكون نموذجاً عن هاته التقنية في منطقة توات فقارة بن الطاهر بتيطاوين الشرفاء.

أ/ الموقع :

تقع فقارة بن الطاهر في قصر تيطاوين الشرفاء وهي متواجدة في الشمال الشرقي للقصر ، وتتجه من الشرق حيث تتواجد هضبة تادمايت إلى الغرب وهذا كغيرها من فقارات المنطقة ، ويقطعها الطريق الوطني رقم 06.

ب/ الوصف :

تمتد فقارة بن الطاهر على طول 5.6 كلم ، وتخترق سكنات القصر ، وتعتبر هاته الفقارة من أنشط الفقاقير بالمنطقة حيث يستفيد منها 80% من بساتين قصر تيطاوين الشرفاء وحوالي 30% من بساتين قصر زاوية بلال المجاور ، فقارة بن الطاهر تعتبر شريان حياة مهم لسكان القصرين .

ج/ أجزاء الفقارة :

إن فقارة بن الطاهر بقصر تيطاوين الشرفاء كغيرها من الفقارات تتشكل من أجزاء عديدة وهي :

1/ الآبار :

وتتشكل فقارة بن الطاهر بن 121 بئر مشكلة سلسلة، ويتراوح عمقها من 30 إلى 40م ، وهاته الآبار قد تم غلقها من أعلى بطبقة من الحجارة والطين لحماية الناس من السقوط داخلها (الصورة رقم 27)



صورة رقم 27 سلسلة آبار فقارة بن الطاهر وهي مغطاة بطبقة من الطين

2/ القسرية :

بعد خروج الماء على سطح الأرض يجد القسرية الرئيسية للتوزيع والتي يسميها سكان القصر "سلكة العين"، وهذا إيماناً منهم بأهميتها في حياتها "فالسلكة" تعني أنها هي المسلكة والمنجية من العطش و " العين " يقصد بها منبع المياه ، وهاته القسرية تتميز بأنها أغلبها مغطى بالحجارة والطين ، وهي على شكل مثلث تقريبا وعرضها 1.20م ، وتحتوي 11 مخرجا للمياه ، ينقسم على 4أربع أجزاء رئيسية (اللوحة رقم 25 ، الصورة أ)، أما نسبة تدفقها فهي تختلف من سنة إلى أخرى فهي تنقص وتزيد على حسب الجهد المبذول لتنقية الفقارة من الأتربة والحجارة الساقطة في الآبار أو التي تسد النفاد .

ومن هاته القسرية الرئيسية يتم نقل المياه عبر القنوات إلى القسريات الثانوية ، فكل قسرية تخص أسرة كبيرة والتي تملك مجموعة من البساتين ، وهذا نظام عجيب حيث أن هاته القنوات والقسريات تشكل شبكة توزيع للمياه قمة في النظام (اللوحة رقم 25 الصور رقم ب)

وقد صنعت القسريات بواسطة الطين وفي بعض الأحيان نجد الإسمنت ، والملاحظ أن مادة الصنع لا تحمي المياه من التسرب ، وهذا يسبب ضياع كمية كبيرة من المياه في بيئة تحتاج الماء بكثرة بسبب الحرارة الشديدة التي تسبب التبخر .



صورة أ القسرية الرئيسية



صورة ب أحد القسريات الثانوية

لوحة رقم 25 القسريات بفقارة بن الطاهر تيطاوين الشرفاء

3/ الماجن :

يعتبر الماجن كما رأينا سابقا المحطة النهائية التي يصل إليها الماء بعد استخراجِه وتوزيعه فكل بستان في القصر يحوي ماجن ، والمميز على مواجن بساتين تيطاوين الشرفاء ان أغليبيتها مازال يحافظ على استعمال مادة الطين في صنعها ،حيث أن الغالبية من المواجن الآن تستخدم في صناعتها الإسمنت ، وهذا لأن الطين يعرض قليلا المياه للتسرب .
(الصورة رقم 28).



صورة رقم 28 أحد المواجن تصب فيه ساقية

د/ حالة فقارة بن الطاهر تيطاوين الشرفاء :

إن حالة فقارة بن الطاهر هو حالة كل معظم فقاقير منطقة توات ، فهي تصارع الظروف للبقاء وتعطي هاته الثروة للسكان ، فهذه الفقارة على حسب السكان كانت تتميز بمياهها الغزيرة التي تسمح بتغطية احتياجات السكان من المياه وتمكنهم من سقي مساحات كبيرة من البساتين واستصلاح أخرى ، لكنها في السنين الأخيرة بدأت مياهها في النقص (اللوحة رقم 26، الصورة أ) وتسبب ذلك في نقص مساحة البساتين المروية وأدت كذلك إلى موت أشجار النخيل بسبب شح المياه (اللوحة رقم 26 ، الصورة ب) وتتمثل هاته الأسباب في :

- النقص الطبيعي للمياه الجوفية نتيجة استنزافها بسبب الحفر العشوائي للآبار الارتوازية
- مرور الطريق الوطني فوق مجراها الباطني مما يسبب سقوط الأتربة نتيجة حركة المرور
- حدوث الانجرافات داخلها بسبب حركة الأرض الطبيعية مما يسبب انسداد في النفاد والذي يؤدي إلى عرقلة سير المياه
- قلة الاهتمام بها وتنقيتها الدورية من الأتربة بسبب انشغال الكثير بأعمال أخرى وصعوبة العمل فيها وخطورته ، حيث أنه شهدت عدة حوادث أدت أحيانا حتى إلى الوفاة نتيجة الانهيارات أثناء تنقيتها من الأتربة .



صورة أ أحد المواجه وقد تعرضت مياهه للجفاف بسبب نقص مياه الفقارة



صورة ب موت أشجار النخيل بسبب جفاف الفقارة

لوحة رقم 26 مظاهر نقص مياه الفقارة على الفلاحة

هـ/ الحلول المقترحة لإنقاذ الفقارة :

إن الحالة التي وصلت لها فقارة بن الطاهر بتيطاوين الشرفاء والتي تمثل عينة فقط لغيرها من الفقارات ، التي تنن تحت وطأة الإهمال ، ولإنقاذها والمحافظة عليها يجب اتخاذ إجراءات عاجلة وتكون دورية بحيث تتكرر كل موسم ومنها :

- منع حفر الآبار الارتوازية بقربها لكي لا تسبب نقصان المياه الجوفية المغذية لها.
- تنقية النفاد من الأتربة المتساقطة داخله وهذا يتم بتوفير يد عاملة لا تقل عن 20 عامل يخصص لهم أجر من الدولة ليتفرغوا لتنقيتها .
- إعادة بناء الآبار المنهارة والتي يبلغ عددها 49 بئر.
- ترميم وتسقيف السواقي الناقلة للمياه واستبدال الطين بالإسمنت للحفاظ على المياه من التسرب .
- بناء جدران لفوهات الآبار لحماية الناس من السقوط داخلها.

خلاصة الفصل :

إذا كان مصر هبة النيل فإن توات هبة الفقارة فهي بحق تقنية إعجازي سمحت بزرع الحياة في بيئة أقل ما يقال عنها أنها قاسية ، ورغم النظريات العديدة عن تاريخ دخولها للمنطقة إلا أنها تقنية استطاعت أن تعوض نقص الأمطار في هاته المنطقة من الصحراء .

إن تقنية إنجاز الفقارة تحكي على براعة وتفاني المجتمع التواتي ، الذي استطاع بوسائل بسيطة أن سيتخرج المياه أعماق بعيدة ، ويجرها عبر القنوات الأرضية ليروي بها بساتينه والأكثر إعجابا هو طريقة تقسيمه لها ، فالعدل كان هو الفكرة التي قام عليها التقسيم وجعل نصيب المياه مربوط بجهد الفرد ومساهمته في العمل ، وابتكر لذلك أدوات للكيل والتسجيل سمحت بالمحافظة على حق كل واحد في نصيبه من الماء .

إن تقنية الري بالفقارة سمحت في تكوين مساحات شاسعة من الواحات والتي ازدهرت بفضل المياه الخارجة منها ، لذلك فإن الفرد التواتي كانت ثروته تقاس بما يملك من مياه فزيادة نصيبه من الماء هي زيادة لأراضيه ، فالفلاحة في منطقة توات مربوطة بمياه الفقارة ، والملاحظ اليوم عليها هو الإهمال الذي تسبب في موت العديد منها ونضوبه ، وأدى بذلك إلى تناقص المساحات المسقية ، لذلك يجب على الكل تحمل مسؤوليته للحفاظ على هذا الكنز الذي يعتبر موروثا ثقافيا بامتياز ، إضافة إلى دوره الاقتصادي والاجتماعي .

الفصل الرابع مواد وتقنيات

البناء:

أولاً: مواد البناء

ثانياً: تقنيات البناء

ثالثاً: العناصر الزخرفية

لقد أستطاع الإنسان في منطقة توات ترك تراث معماري ثري كما رأينا سابقا وتنوع ما بين الديني والمدني وكذلك العسكري ، وقد قاومت هذه البنايات الزمن والمناخ معا ، وهذا على الرغم من بساطة البناء والتي كان للطبيعة دور كبير في تصميمها وبنائها ، لهذا نجد أن البناء في المنطقة أسس هاته المعالم بفضل مواد جلبها من المناطق القريبة منه ليشيد بها مسكنه ومسجده وزاويته ، وكذلك أوجد طرقا تساعده في جلب مواد البناء وتطويعها لاستخدامها في تشييد المباني .

أولا مواد البناء

لقد فرضت البيئة الصحراوية على نمط البناء في الصحراء ، وكذلك على مواد البناء المستعملة فيه ، وهذا لتكون ملائمة للمناخ ، وإضافة إلى هذا فإننا نجد بأن الإنسان الصحراوي في منطقة توات وغيرها من مناطق الصحراوية قد استعمل المواد المتوفرة لديه ، والقريبة منه فهو ببساطته استطاع أن يطوع تلك المواد لصالحه ، ومن بين أهم المواد التي نجدها في هاته المنطقة هي :

1/ الحجارة:

حَجَرٌ : أو الحَجَرُ : الصَّخْرَةُ والجمع في القلة أَحْجَارٌ وفي الكثرة حِجَارٌ وحِجَارَةٌ¹ ، يختلف اسمه حسب استخدامه في البناء وهذا تبعا لمادته مثل الجيري ، والرمل ، البازلت والقرانيتي وغيرها².

وتعتبر الحجارة من بين أهم المواد التي استخدمها الإنسان منذ أقدم العصور ، وأعظم آثار باقية بنيت بها هي الأهرامات التي بناها الفراعنة، ثم نجد استعمالها من طرف الإغريق والرومان الذين استخدموها بشكل واسع ، وقد أستخدمها المسلمون منذ عهودهم الأولى، ويظهر هذا في العصر الأموي إذ نجد استخدامها في المسجد الأموي بدمشق وقبة الصخرة بالقدس الشريف³ ونجد

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 782

² عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 73

³ نفسه، ص 125

قول ياقوت الحموي في وصفه لقصر الرصافة ببغداد " هذا القصر حصن دون دار الخلافة ببغداد بني بالحجارة"¹.

كذلك نجد استعمالا واسعا للحجارة في المغرب الإسلامي، إذ دخل في كثير من العمائر وشيدت به حواضر بأكملها كما هو الحال في قلعة بني حماد بالمسيلة وقد استعملت بكثرة في مناطق صحراوية عديدة، كقصور الأغواط ووادي ميزاب، وكذلك استخدمت الحجارة بشكل واسع في بناء الأسوار والأبراج وكذلك في أساسات المساكن بمنطقة توات وهذا لصلابتها وقوتها وأيضا لوفرته في المنطقة وخاصة في قصر تماسخت، وقد استخدمت بشكل خاص الحجارة الكلسية لتوفرها في البيئة الصحراوية واستعمل نوعان من الحجارة في المنطقة :

أ/ الحجارة الهشة:

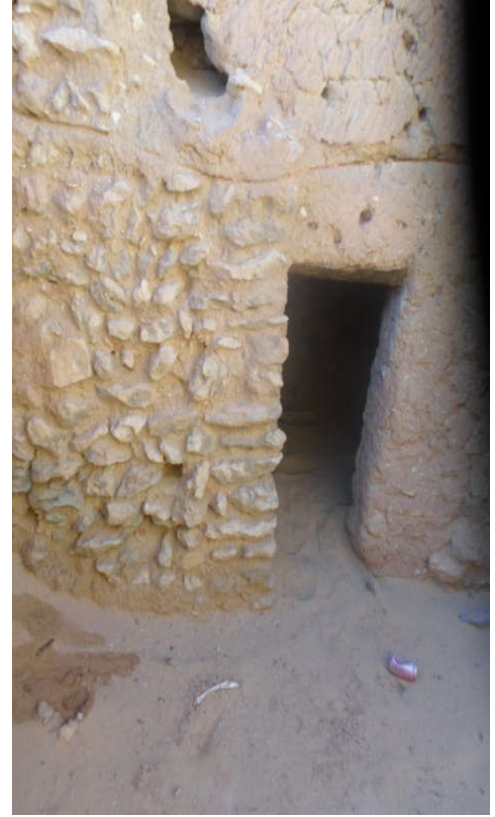
تعتبر هذه الحجارة من بين الخصائص الجيولوجية لتكوين الطبقات الأرضية للصحراء بنيت بها الجدران نظرا لسهولة الحصول عليها، وملائمتها مع الظروف المناخية والتقلبات الجوية ويستخرج هذا النوع من الهضاب الصغيرة في ضواحي المنطقة أين تتواجد على هيئة طبقة سميكة، ومن أهم مميزات هذه الحجارة عزلها للحرارة وعدم نفاذيتها للماء إضافة إلى سرعة جفافها.

ب/ الحجار الصلبة :

هي حجارة رسوبية مشكلة من حبيبات رملية متماسكة فيما بينها يميل لونها إلى الأحمر المصفر، أو الأحمر المصفر أو الأحمر البني، تمتاز بالصلابة والمقاومة الشديدة، كما استعملت الحجارة الغرانيتية وهي نوع من الحجارة الصلبة التي تحتوي على نسبة كبيرة من الكلس "CAO" ومن مميزات أنها حجارة لا تتفتت بسرعة، فهي بذلك مقاومة للرياح القوية²، والمنطقة كما قلنا سابقا معروفة برياحها وزوابعها الرملية. لذلك نجدها قد استعملت بكثرة في بنايات المنطقة وخاصة أسوار القصور وفي بعض الأحيان وجدت في جدران المنازل (اللوحة رقم 27، أ، ب).

¹ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ط2، دار صادر بيروت، لبنان، 1995، ص 48

² بديع ديب، فؤاد الكروي، أساسيات في كيمياء الأراضي وخصوبتها، مطبعة خالد بن الوليد، سوريا، 1977، ص 17



صورة ب استعمال الحجارة - السور -

صورة أ استعمال الحجارة - المنازل

لوحة رقم 27 استعمال الحجارة في البناء - قصر تماسخت -

2/ الطين:

الطين : الوحل ، واحدته طينة ، ويوم طانُّ أي كثير الطين ، وطان الحائط والبيت والسطح طينا وطيئاً : طلاه بالطين ، والطيَّانُ : صانع الطين ، وطينة الرجل بمعنى خلقته وأصله¹

وهو مادة دقيقة الذرات مقطعه من سيليكات الألومنيوم له خاصية الاحتفاظ بالماء²، ويتكون الطين من تراكم عدة مواد مختلفة متمثلة في حبيبات من (الحصى ، الغضار ، الرمل ، مواد عضوية)، بالإضافة إلى الماء والهواء وهذه العناصر شكلت لنا مادة نستطيع أن نبني بناية كاملة فهي مادة عجيبة ، نجدها تارة صلبة مقاومة لكل الظروف وفي حالة أخرى تكون سائلة إذا ما

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 2739، 2740

² إسماعيل بن محمد الجوهري ، الصحاح في اللغة والعلوم ، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، ج2، ط1، دار الحضارة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1974، ص 62

امتزجت وذابت في الماء ، وغازية متطايرة في الهواء على شكل زوابع رملية تنتقل من منطقة إلى أخرى .والطين أيضا عبارة عن تراب فخاري ، لزج إذا مزج بالماء ، وقاس إذا جف حتى لو لم يعرض للحرارة ، يستعمل لبناء الحيطان والسطوح والبيوت بشكل عام أو تطلّى به.

وقد عرفت مادة الطين منذ أقدم العصور ، واستعملت هاته المادة في كثير من المناطق مثل بلاد الرافدين وواد النيل، حيث ظهر استخدامها بأشكال متنوعة وخاصة في الشرق القديم ويظهر هذا في بناء الجدران وتلييسها بالطين، وقد أخذها عنهم الإغريق ، ونلاحظ أن الطين قد أستعمل أيضا في المباني المبكرة للمسلمين ، فقد أستعمل في المسجد النبوي وكذلك في بناء المدن الأولى ، وهذا لسهولة الحصول عليه وسرعة البناء به ، فالمدن الإسلامية الأولى بنيت بسرعة وهذا لاستخدامه كمادة أساسية في البناء .

والطين من أكثر المواد وفرة في البيئة الصحراوية ، فهو سهل الاستعمال إضافة إلى كونه عازل للحرارة ، والطين عبارة عن صخر متماسك تتكون من الصلصال ومشتقاته بنسبة كبيرة وبنسبة قليلة من الماء بالإضافة إلى مواد مختلفة من المعادن التي تكسبه ألوانا مختلفة مثل الأحمر أو الأسود أو الأبيض أو الأصفر¹.

ومن خصائص الطين الفريدة والتي أدت بالإنسان الصحراوي في المنطقة للاعتماد عليه بكثرة في البناء ، هي خاصية العزل الحراري حيث أنه يمتص الحرارة في النهار ليعيد إطلاقها في الليل ، لهذا فالبنائات الطينية تتميز باعتدال الجو داخلها ، وكذلك يتميز الطين بكونه سريع الجفاف ، كما أنه عازل للصوت وبذلك يحافظ على خصوصية الأفراد في المنزل.

أما عن أماكن استخراجها فهي متواجدة بكثرة في المناطق التواتية لمنطقة توات الغالب عليها التربة الطينية ، وتتميز بلونها الأحمر أو لون يميل إلى الأصفر قليلا في بعض المناطق .والمكونات الكيميائية للطين تتمثل في² (الجدول رقم14):

¹ توني يوسف ، معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي ، 1977، ص 336

² ريحة عليق ، المرجع السابق ، 89

المادة	الرمز الكيميائي	النسبة المئوية
أكسيد السيليوس	(SIO ₂)	% 85 - % 35
الألمنيوم	(Al ₂ O ₃)	% 25 - % 9
المغنزيوم	(MGO)	% 05 - % 00
أكسيد قلوي	(K ^{2°})	% 05 - % 01
أكسيد الحديد	(FE ₂ -O ₃)	% 09 - %03
أكسيد الكالسيوم	(CAO)	%25 - % 00
أكسيد التيتان	(TIO)	% 02 - % 03
أندريد كبريتي	(SO ₂)	% 03 - % 00
ثاني أكسيد الكربون	(CO ₂)	%13
الماء	(H ₂ O)	% 05

جدول رقم 14 المكونات الكيميائية للطينة في المنطقة

- عن عليق ريحة -

ويتكون الطين أساسا من مادتين أساسيتين :

أ/ الغضار :

الغضار : الطين الحر ، الغضارة : الطين اللازب الأخضر والغضرة والغضراء : الأرض

الطبية العلكة الخضراء ، الغضراء : المكان ذون الطين الأحمر ، الغضراء : طين حر¹، فالغضار هو الطين الحر الجيد وهو مكون أساسي لعجينة الطين ، ويتكون أساسا من سيليكات الألومنيوم

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 3264

وهي حبيبات متناهية في الصغر حجمها أقل من (0,002 مم) ، ولا يمكن رؤية هاته الحبيبات بالعين المجردة ، ويعد الكاولين أنقى أنواعها.¹

ب/ الرمل :

و يعتبر الرمل من أهم مكونات العجينة الطينية ، ويشكل نسبة كبيرة منها تصل إلى (60%) وهو عبارة عن حبيبات نتجت عن تفتت الصخور نتيجة الظروف الطبيعية المختلفة ، وتتراوح قطر جزيئاته ما بين (0.002 مم) إلى غاية (1مم).²

إضافة إلى هاتين المادتين الأساسيتين المشكلة للطين ، نجد أنه تدخل في تركيبه العديد من الأملاح الكثيرة وتمثل نسبة 12% ، بالإضافة إلى مواد عضوية مختلفة ، ويعتبر الغضار المادة الأساسية الرابطة بين عناصر الطين³ ، وهو الذي يكسبه الصلابة الضرورية للبناء.⁴

3/ الطوب:

الطوبة : الآجرة ، شامية أو رومية ، قال أبو عمرو لو أمكنت من نفسي ما تركوا لي طوبة يعني آجرة.⁵ والطوب بلغة أهل مصر أو اللبن المحروق⁶، والطوب يعرف باللاتينية (ADOBE). وأصل هذه الكلمة جاءت من اللغة الإسبانية وعرفت في اللغة العربية باسم الطوب⁷ فالطوب هو المضروب من الطين ، مربعا أو مستطيلا يبنى به إما محروقا ويعرف بالآجر وإما غير محروق يعرف باللين⁸.

¹ محمد عبد المقصود ، الصخور من المنشأ والتكوين إلى الحضارة والفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007، ص 16

² إبراهيم عميري ، مواد وتقنيات البناء القديمة ، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 2010، ص 86

³ نفسه ، ص 87

⁴ محمد باراشد ، "مواد البناء المحلية في وادي حضر موت" ، مجلة حضر موت للدراسات والبحوث ، ع2 ، جامعة حضر موت للعلوم والهندسة ، اليمن ، 2002، ص ص 33 . 34

⁵ محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 2615

⁶ إسماعيل بن محمد الجوهري المصدر السابق، ص 51

⁷ عمر الأمين ، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط ، خلال القرنين (4 - 6 هـ) / (10 - 12 م) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 2000 / 2001، ص 34

⁸ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص 184

ولقد عرف مع الطين منذ القديم وظهر استعماله في عديد من المدن مثل مدينة أريدو والتي بنيت حوالي 3500 ق.م¹ ، كما نجد ان المصريين القدماء وكذلك الفينيقيون والرومان قد استخدموا الطوب في بناياتهم .

وقد عرف المسلمون الطوب منذ القدم ، وهذا لقلة الحجارة الموجودة لديهم ، ولسهولة استعمال الطوب ، ونجد استخدامه في المسجد النبوي وفي ذلك نجد نصا للسمهودي والذي يتكلم عن قياس الطوب وهذا في تجديد مسجد الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام في سنة 881 هـ / 1476 م ، ويقول في ذلك " شاهدت لبنا أخرج من جدارات الحجرة الشريفة ، في العمارة التي أدركناها أولا يزيد في الطول على الذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه نصف ذراع ، طوله وعرضه وسمكه واحد"².

وعرف الطوب في المغرب الإسلامي ابتداء من 4 هـ / 11 م³ ، ونجد في هذا رواية حول كسب العيش من عمل الطوب ، ويقول فيها صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية أبو العراب ابن أحمد ".... لقد حدثني عبد الرحمان ابنه أنه كان يعمل بيده الطوب فيتصدق بثلاث ما يربح فيه وينفق ثلثا على عياله ويرد ثلثا في التبذير، وما يصلح به عمل الطوب ، قال لي ابنه ولم يكن له سرير يرقد عليه إنما كان قد نصب طوبا فعليه ينام في بيته"⁴.

والطوب على نوعين كما قلنا سابقا الأول هو الطوب المحروق وعرف بالأجر، وهو نادر الاستعمال في مناطق الجنوب إذا ما استثنينا منطقة الجريد بتونس ومنطقة وادي ريغ بالجزائر⁵. أما النوع الثاني فهو النوع العادي والبسيط وهو مجفف تحت أشعة الشمس، وهذا الأخير مستعمل بشكل واسع في القصور الصحراوية وقد بنيت به أغلب القصور والقصبات في منطقة توات.

¹ محمود عتريس ، قواعد تخطيط المدن ، بيروت ، د. ت ، ص 14

² نور الدين علي السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج2، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي ، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع مكة والمدينة المنورة ، السعودية 2001، ص 57

³ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 149

⁴ ابن أحمد بن التميمي أبو العراب ، كتاب طبقات علماء إفريقية ، اعتنى بنشره ، الشيخ محمد بن شنب ، الجزائر ، 1914، ص 115

⁵ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 149

ويشكل الطوب عن طريق عجن الطين وإضافة الرمل والتبن أو بقايا الحيوانات (الروث) ومزجها بالماء بواسطة معول، ثم يدك بالأرجل حتى يذوب الطين في الماء ويصبح عجينة وتترك هاته الخلطة لمدة معينة على تذوب في بعضها وتتجانس ، فكلما زادت المدة وقلت الشوائب وامتزجت المواد مع بعضها ، كلما كان الطوب على درجة عالية من الجودة.

وبعد عملية تحضير العجينة ، تأتي عملية القولبة أو التشكيل للطوب ، حيث يهيأ لها مكان مستوي ثم يتم إحضار القالب والذي يكون من الخشب المفرغ حيث هو مفتوح من الأعلى والأسفل ، وتختلف مقاساته من منطقة إلى أخرى ، وفي منطقة توات مقاسات القالب هي كالتالي :
الطول 0.30م ، العرض 0.13م ، والارتفاع 0.10م .

ثم يتم إفراغ العجينة داخله ويتم سحب القالب ببطء ، وبعد الانتهاء من عملية التشكيل يترك الطوب ليحجف تحت أشعة الشمس ، وتختلف المدة حسب الظروف المناخية وحسب الفصول حيث تكون فترة الجفاف في الصيف والتي لاتزيد عن 04 أيام أما في فصل الشتاء فقد تصل إلى 15 يوم ، إضافة إلى ذلك نجد الطوب المشكل باليد ، والتي تحمل نفس مقاسات الطوبة المشكلة بالقالب حيث يبلغ طولها 30 سم وعرضها 15 سم وارتفاعها 10 سم أما الوزن فيبلغ 6 كغ ، إلى أنها غير متقنة الصنع ، وقد أستخدم الطوب في جميع البنايات في منطقة توات وخاصة الجدران الداخلية منها (الصورة رقم 29).



صورة رقم 29 بقايا الطوب (قصر تماسخت)

4/الملاط:

هو الخليط الذي يشكل مادة صلبة تربط بين أجزاء المبنى المختلفة ويختلف تركيبه من منطقة إلى أخرى وهو على نوعين :

أ/ الملاط الجصي :

ويدعى محليا بالتبشمنت ويطلق عليه ابن الرامي اسم "الجبس" ، حيث يعتبر المادة اللاصقة بين الآجر ولن يكون ناضجا إلا عند اصفرار لونه بعد ما يدخل في الفرن ثم يطحن

ويضاف له الماء، ومن علامة جودنه إذا جف بسرعة اعتبر جبس ناضج وإلا فهو مغشوش¹ ويستعمل على نطاق واسع في قصور توات كمادة لاحمة ويسهل التعرف إليه من الألياف البيضاء الناصعة المكونة له وبعد أن يستوي هذا الصخر داخل أفران أعدت لهذا الغرض يتحول بذلك إلى مادة تصلح كملاط ، ويتكون التيشمنت من كربونات الكالسيوم بنسبة 80% وصلصال مع سليكات الألمنيوم بنسبة 11% وشوائب عالقة بنسبة 1%².

وقد أستعمل الملاط الجصي في العمائر الإسلامية المغربية ، وأستخدم لإضفاء لمسة جمالية للجدران ، ونجد استعماله خاصة من الأغنياء لتكاليفه وفي هذا نجد وصفا للعلامة عبد الرحمان بن خلدون " الأمراء يبنون الجدار بالحجارة ويلحمون بينها بالكلس ويبالغون في التشييد والتنميق وتزيين الجدران، بالنقش على الجص والأصبغة وإظهار البسطة بالغاينة في شأن المأوى " ³.

ونجد أن الملاط الجصي أو التيشمنت قد أستعمل بكثرة في قصور وقصبات ومنازل ومساجد وزوايا وحتى أضرحة المنطقة ، لأنه مادة أساسية لا غنى عنها ، وهو ذا لون رمادي ويتم الحصول على هذه المادة من سباخ المنطقة ، ويوجد على شكل جبس رطب ، ويتم الحفر عليه واستخراجه والغالب يكون على أعماق تتراوح ما بين 0.70م و 1.40م . (اللوحة رقم 28 الصورة رقم أ).

ب / الملاط الطيني :

للحصول عليه نخلط مادة الطين الخام مع الماء جيدا، حتى تتحول إلى سائل طيني صافي بعد ذلك يخلط مع الرمل الصافي فيشكل ملاطا لزجا ، يستعمل مباشرة لتكسية الجدران وقد أثبتت التجارب العلمية أن مادة الطين ، التي صنع منها الطوب والملاط هي ذات فائدة عظيمة، من حيث الناحية الصحية للإنسان.⁴ كما يتم أحيانا خلط هذا الخليط مع الملح فيعطيه صلابة أكبر و مقاومة

¹ عبد الرحيم ابن الاخوة ، معالم القرية في أحكام الحسية ، دار الفنون ، كمبيرج ، 1937 ، ص 236

² يحي بوراس ، المرجع السابق ، ص 52

³ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 510 - 511

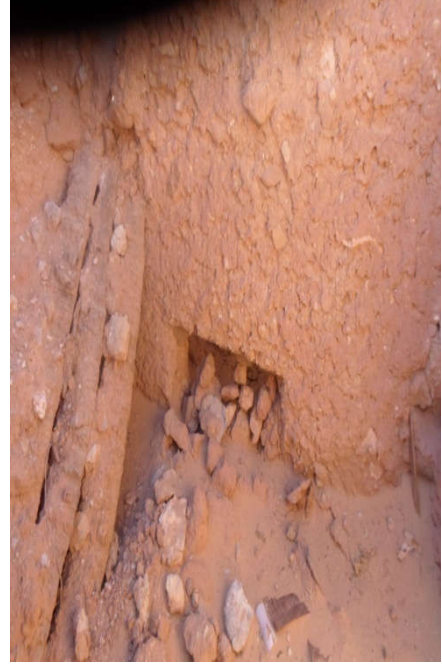
⁴ علي حملاوي ، " البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة - وادي ريغ نموذجا - " ، مجلة آثار ، معهد الآثار ، عدد 7 ،

الجزائر ، 2008 ، ص 64

للزمن، وقد أستخدم في جميع المعالم في توات وهذا لأهميته الكبيرة وكذلك لسهولة الحصول عليه (اللوحة رقم 28 ، الصورة رقم ب).



صورة ب استعمال الملاط الجصي



صورة أ استعمال الملاط الطيني

لوحة رقم 28 استخدام الملاط

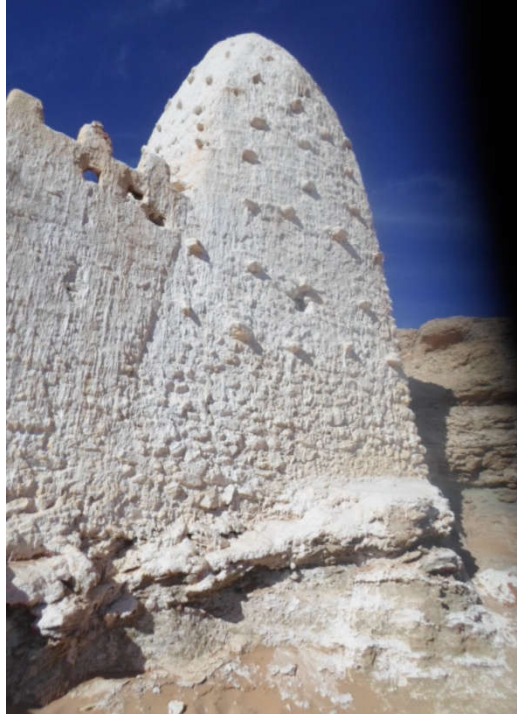
5/ الجير :

الجير هو أول أكسيد (protoxide) رمزه (CAO) ، تستخرج هذه المادة من الجير الكلسي العادي ، بعد حرقها في فالفرن لمدة يومين إلى ثلاثة درجة حرارية تتراوح ما بين 2750 و 2850 درجة حرارية فبهذا تتولد مادة الجير¹، و يستعمل الجير في تبييض الأضرحة أو يخلط بالرمل، ليوضع كطبقة عازلة فوق الأسطح والجير كمادة أولية هو خام من كبريتات الكالسيوم ، وأما الجص العادي الذي يستعمل في الطلاء، فهو نوع يحرق إلى درجة حرارة معينة و تطلّى به الجدران الخارجية للمباني.

ويتم استخراج الجير من أماكن محددة على عمق 1م تقريبا، ثم يحرق في درجة حرارة تتراوح بين (150° و 200°)، ولقد شاع استخدام هذه المادة في واحات الصحراء الشرقية

¹ ريحة عليق، المرجع السابق، ص 90

كوادي ريغ وواد مية ، وهذا لما للجير من أهمية بالغة في مقاومته للحرائق ، وامتصاص وعزل الصوت و عزل الحرارة وله خصائص ميكانيكية، جيدة وذلك حسب نوع الجص المستعمل وكذلك نسبة الماء ، كما أنه لا يتفاعل مع أي حمض عدا الماء إذا تغلغل داخل مركباته الفيزيائية (الصورة رقم 30) .



صورة رقم 30 استعمال الجير في الطلاء

6/ الخشب:

صناعة الخشب من ضروريات العمران وقد حباها الله سبحانه وتعالى من منفعه ، وأستخدمه الإنسان في أغراض مختلفة من إشعال للنار ، واستعماله كعصى للرعي أو الدفاع عن النفس وبالإضافة إلى هذه الأغراض نجده قد أستعمل في البناء والتسقيف ، وفي هذا المجال نجد قول عبد الرحمان ابن خلدون (.... ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات منافع تكتمل بها ضروراته ، وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع مالا ينحصر مما

هو معروف لكل واحد.... فأهل البادية يتخذون منه العمد والأوتاد لخيامهم ، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم ، والأغلاق لبيوتهم ¹.

وقد تنوعت الأشجار التي تؤخذ منها (الصنوبر ، العرعار ، الأرز) وهذا حسب تنوع البيئة التي تنمو فيها الأشجار ، أما في قصور منطقة توات نجد نوعا واحدا من الأشجار وهو شجر النخيل* والذي يعتبر موردا أساسيا للسكان وقد استخدمت النخلة في شتى المجالات ابتداء من الغذاء ونهاية بالبناء .

وتتكون النخلة من عدة أجزاء (الشكل رقم 02) تستخدم في البناء وهي:

أ/ الجذع :

الجذع: واحد جذوع النخلة وقيل هو ساق النخلة ، والجمع أذاع وجذوع وقيل لا يبين لها جذع حتى يبين ساقها ².

فالجذع أو الساق ، له شكل أسطواني ينحصر شكله تدريجيا من الأسفل إلى الأعلى ، ويكون هذا الجذع مغطى بقواعد الجريد القديم أي الجاف بأشعة الشمس مما يجعله خشنا وعندما يطول بالنخلة الزمن تصبح جذوعها ملساء³.

ويستخلص جذع النخلة من التي أشرفت على الهلاك فتقسم إلى جزأين أو ثلاثة أجزاء أو إلى أربعة أجزاء ، وذلك حسب المبنى وبعد أن تيبس تستعمل في عملية التسقيف كعوارض وكانت ترتكز على الجدران الجانبية ويطاق عليها الحمل الميت⁴ ، ويبلغ طول العوارض التي تستعمل

¹ عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 207.

*شجرة النخيل هي من النباتات التي تحتوي على فلكة واحدة وهي عائلة تحتوي على 200 جنس و 1500 نوع من بينها الجنس الذي يحتوي على 15 نوع ، وقد عرفت شجرة النخيل منذ القدم حيث أستعمل في البناء في حضارة بلاد الرافدين ونجده قد أستعمل في بناء معبد إله القمر وهو احد أعرق الآثار القديمة في العالم والذي يوجد بالقرب من مدينة أور، ومن المؤكد أنه كان يزرع منذ ما بين 4000 و 5000 سنة . أنظر أمين مراد رشدي ، نخلة التمر ، الفاو ، 1990 ، ص 37 . وقد ذكر النخيل أيضا في محكم التنزيل في قوله عز وجل " أَيْوَدُ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ " . سورة البقرة ، الآية 266 .

² محمد بن منظور ، المصدر السابق ، 576.

³ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 153.

⁴ لحسن تاوشخت ، المرجع السابق ص 456.

عادة في البناء ما بين (2م إلى 2.5م) ، ويكون وجه السطح حوالي 0.12م إلى 0.15م . ، أما الخشبة الكبيرة والتي تكون عارضة بين الجدران وتوضع عليها أطراف الخشب في سقف البيت تسمى بالجائزة ، وهي العارضة التي تحمل كتلة السقف والغالب تقطع على شكل مربع¹.

ب/ الجريد:

هو أغصان النخيل المفصصة ، تحضر بطريقة تقليدية بعد أن يقطع جريد النخلة الخضراء أو اليابسة ، يتم نزع الأشواك عن أغصانها بواسطة أداة المنجل أو أداة أخرى حادة وتترك في الماء لبضعة أيام ثم تجفف في الشمس، بعدها تصبح صالحة للاستعمال.

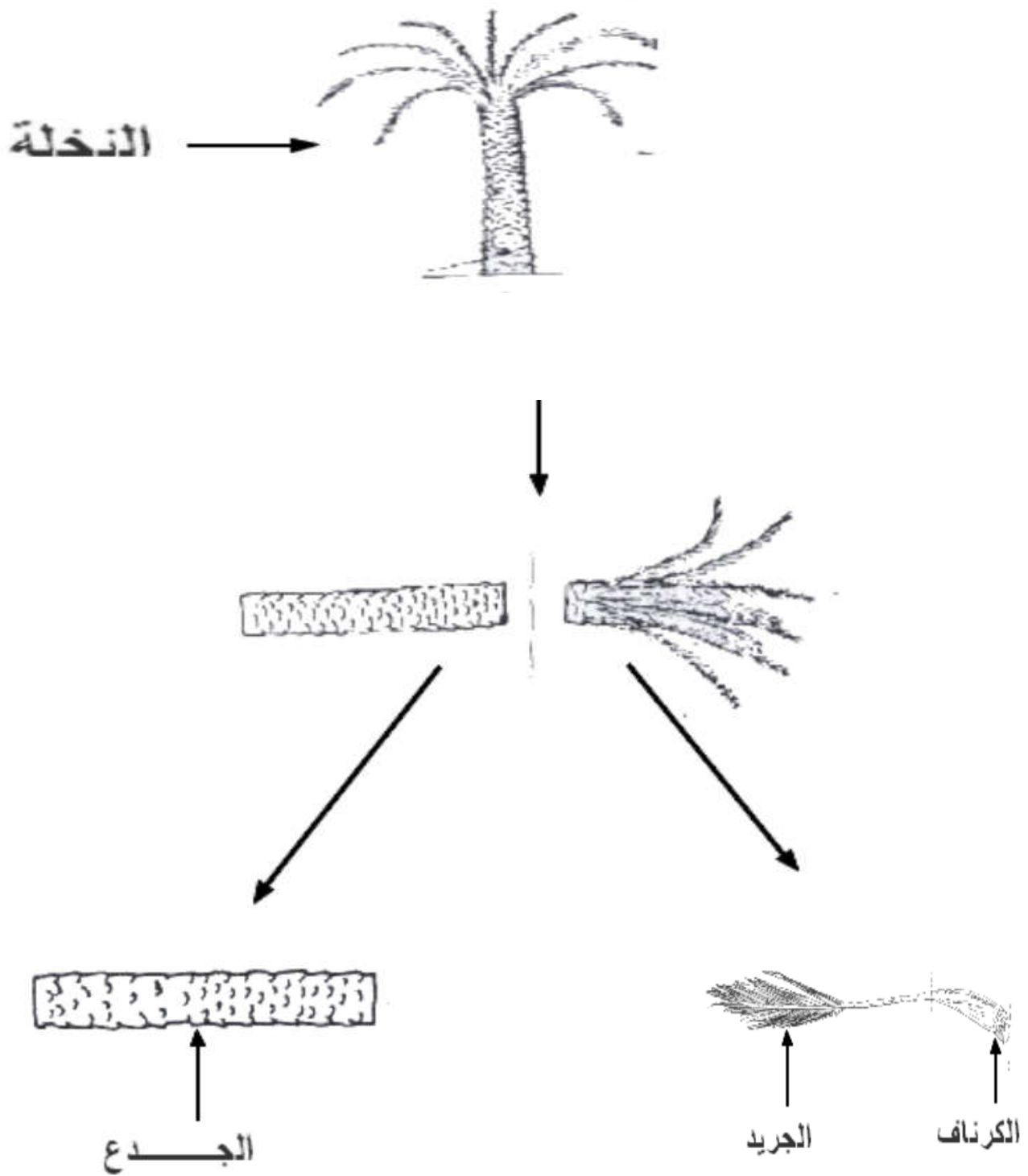
ج/ الكرناف:

الكرناف هو الأجزاء العريضة من جريد النخيل ، وهو الجزء الأسفل من الجريدة الذي يبقى ملتصقا بالجذع بعد أن تقطع الجريدة ، وتبلغ مقاساته بحجمه العادي ما بين 20سم إلى 25سم ويتم نزعه من جذوع النخلة ، فهو عبارة عن خشب صلب ويتم ترتيبه بين جذوع النخيل ، في عملية البناء ليوضع بعده الليف ثم يضاف إليه التبن الممزوج بالطين.

د/ الليف :

ويعرف محليا بإسم "الفدام" وهو عبارة عن شبكة من الألياف تغطي الجزء العلوي من جذع النخلة بين الكرناف ، وهو يستعمل كذلك في غلق المساحات الصغيرة التي تركها الكرناف ويقوم البناءون بتبليبه قبل نشره على الكرناف فهو ضروري لغلق كل المساحات ثم وضع الطين بعد ذلك.

¹ لحسن تاوشخت ، المرجع السابق، ص 456.



شكل رقم 02 مكونات النخلة

- عن محمد بن سويس -

ثانياً تقنيات البناء

تقنيات البناء هي عملية ربط المواد الإنشائية بعضها ببعض لإقامة مباني ومنشآت مختلفة، ويجب مراعاة تضاريس ومناخ المنطقة لتحقيق التوازن بين المبنى والبيئة المحيطة به ففن البناء من أصعب الأعمال التي يقوم بها الإنسان ، لما ينعكس عليه من نتائج إيجابية أو عكس ذلك ، وعليه كانت طريقة البناء في مختلف الحضارات متنوعة ومتعددة مع تعدد مواده الكثيرة من حجارة بأنواعها المختلفة حسب توفرها في منطقتها، إلى مواد أخرى كالطين والخشب.

وقد تعددت تقنيات البناء الأولى عند المسلمين وهذا في مسجد الرسول ﷺ وهو النموذج الأول والمرجعي للعمارة الإسلامية ، ونجد وصف العلامة السمهودي في حديثه عن طريقة البناء في مسجد الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام " كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالسميط لبنة لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى ، ثم كثروا فقالوا يا رسول الله زيد فيه ففعل ، فبني بالذكر والأنثى وهي لبنتان مختلفتان ، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة...."¹.

ومع تطور الدولة الإسلامية وتطور البناء أصبح السلاطين عندما يرغبون في بناء العمائر الكبيرة يقومون بجمع أصحاب المهن والحرف ، وفي مقدمتهم البنائين من مهندسين ومعلمي الأشغال، كما كانت تهيأ مواد البناء وتحضر المواد التكميلية والوسائل المساعدة ، في ورش البناء بعين المكان .

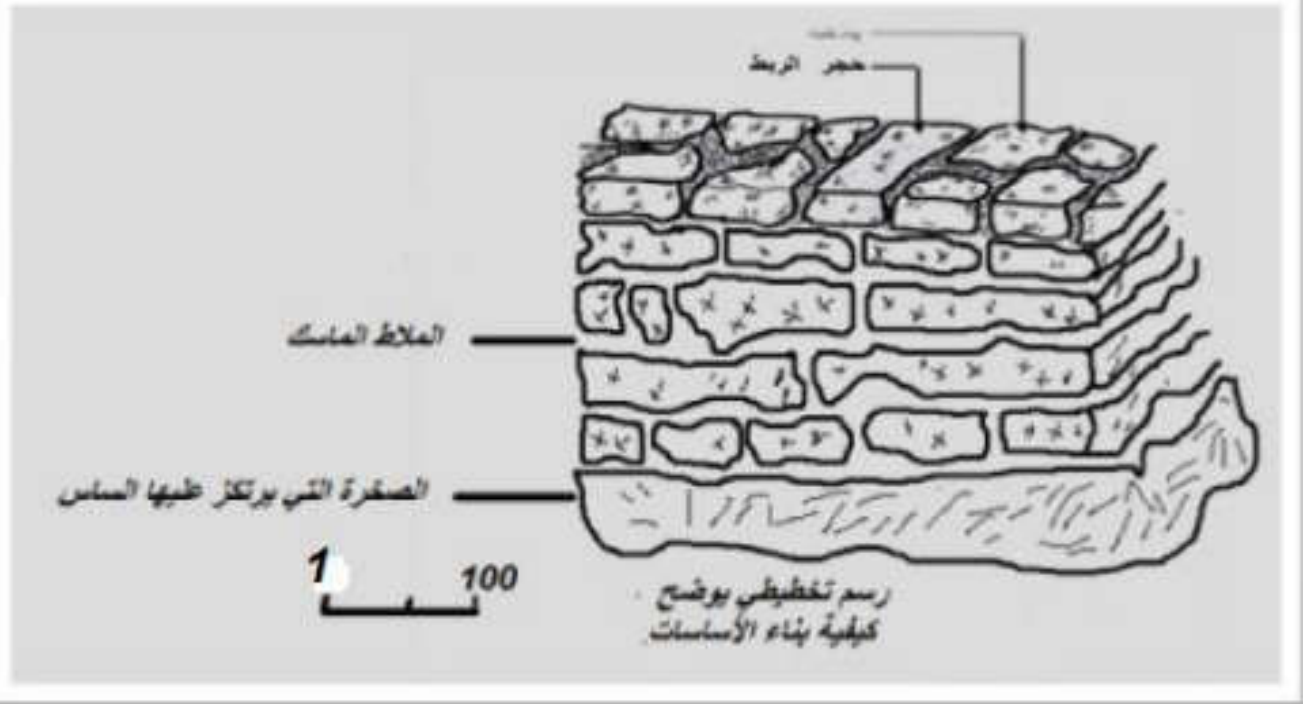
1/ تقنية بناء الأساسات :

إن بناء الأساس يهدف إلى تخفيف الضغط والثقل الناتج على المبنى إلى المستويات أخرى ، تحفظ للمبنى استقراره وتوزيع الثقل بطريقة متساوية ومتناسقة مع مكونات المبنى وإرتفاع عناصره ، لهذا فعمق الأساس يكون على حسب صلابة التربة، لذلك نلاحظ أن أرضية المبنى وخاصة في مناطق الجنوب جزءها السفلي ، أغلظ وأسمك من الأعلى.

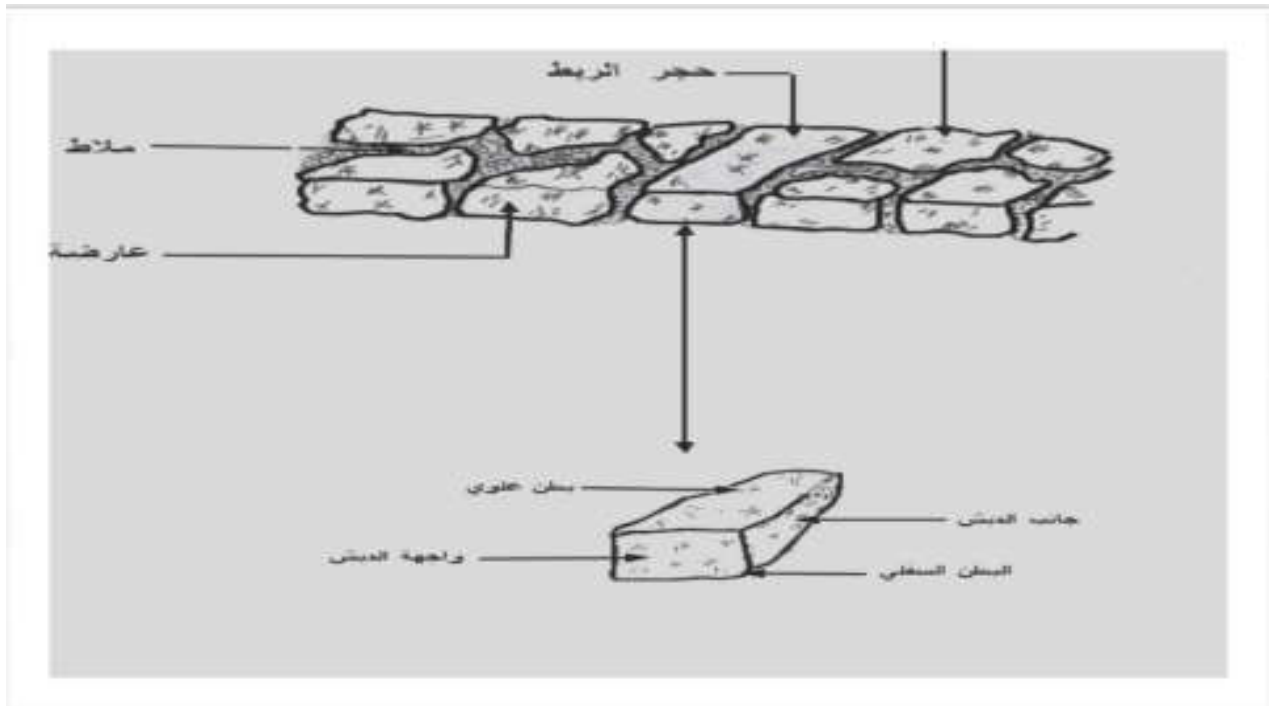
¹ نور الدين علي السمهودي، المصدر السابق ، ص 59

ويتم حفر الأساس الشريطي للحائط لعمق يتجاوز 1.60م ليصل إلى 2.50م وهذا حسب ارتفاع الحائط المزمع إنشاؤه، وبعد تهيئته الأساس يضع البناء الخط الأول من الحجارة ثم يضع عليها الملاط الطيني المخلوط بالمواد العضوية، ويجب أن يتغلغل الملاط داخل الحجارة ثم يضع الخط الثاني من الحجارة وهكذا حتى يرتفع الأساس. (الشكل رقم 03، 04)

والمسعى من وضع الحجارة الكبيرة في الأساسات ليس فقط لحمل ثقل الجدران وإنما أيضا لعوامل أخرى منها أن السيول الجارفة لا تؤثر عليها، ولا تحركها من أماكنها بل تبقى صامدة وبالتالي لا يطرأ على الجدار أي تصدع أو شرخ، كما تمنع الحجارة الكبيرة في الأساسات من صعود الرطوبة إلى الجدران، التي غالبا ما يكون مصدرها المياه الجوفية في المناطق الرطبة بالصحراء .



شكل رقم 03 كيفية وضع الأساسات



شكل رقم 04 كيفية بناء الأساسات

- عن محمد بن سويس -

2/ تقنيات بناء الجدران :

لبناء الجدران طرق مختلفة وهذا على حسب التنوع في مواد البناء وكذلك في الوظيفة للجدار المبني ، فغالبا ما تبنى الأسوار بالحجارة الكبيرة بالإضافة إلى الطين مع التباشمت كملاط لاصق لها ، ويكون سمكها كبير فهو يتعدى 1.30م ، ثم تنقلص في الأعلى إلى بلوغها 20 أو 30سم ، أما الجدران الداخلية المكونة للمساكن فغالبا ما تكون مبنية بالطوب أو بالحجارة الصغيرة أو بهما معا ، ويكون الملاط اللاصق لها بالتباشمت والرمل أو الطين فقد ، وتتنوع تقنيات بناء الجدران في المنطقة ونجد من بينها :

أ/ تقنية البناء بالمداميك :

تقوم هذه التقنية على مادة الطوب التي سبق وإن أشرنا إلى طريقة صناعته فتوضع قطع الطوب بطريقة متتالية أفقية تعطي شكل مسافة مستقيمة ومتساوية.

وقد عرفت هذه التقنية خلال القرن 4م بالجدار الروماني (سرفيان)¹ ، وكذلك استعملت في مباني مدينة الفسطاط وبالقاهرة الفاطمية وكذلك في قلعة صلاح الدين الأيوبي²، أما في بلاد المغرب فقد عرفت ما بين القرنين 2هـ و 5هـ ويظهر هذا في جدار القيروان ورقادة وصفاقص بتونس³.

وتتم هذه الطريقة بوضع الملاط الطيني بين الطوبة والأخرى ليربط بينهما ، ثم يعلى على هذا المستوى مستوى ثان شريطة أن توضع الطوبة متوسطة بين الطوبتين الآخرين ، فتقنية البناء بالمداميك تقوم على نظام تعاقبي للقطع ، فتتقاطع فيها القطع بشكل مغزلي أي أنها لا توضع فوق بعضها البعض مباشرة ، بل تكون الفواصل الناتجة بينها غير مستقيمة وإنما على شكل ترتيب خلايا النحل تماما ، وبذلك يضمن البناء سلامته ، كما أن الملاط الطيني يساعد على تلحيم القطع فيما بينها.

¹ علي حملاوي ، نماذج من قصور ... ، ص 298

² فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص 273

³ علي حملاوي ، نماذج من قصور ... ، ص 298

ب/ تقنية البناء غير المنتظمة :

تتميز هذه التقنية بكونها من أهم التقنيات المستخدمة في تشييد الأجزاء السفلية للأسوار الدفاعية والأبراج وتظهر جليا في أساس الجدران الكبيرة ويكون وضع هذه الحجارة بشكل غير منتظم ولكن يراعى استقامة الجدار لكي لا ينهار، ويربط بعضها البعض بواسطة الملاط الطيني لسد الفراغات الموجودة بين الحجارة . (الصورة رقم 31)



صورة رقم 31 تقنية البناء غير المنتظمة

ج/ طريقة المزج :

وفي هذه الطريقة يعتمد البناء على مزج مواد مختلفة التركيب ، والأحجام مع بعضها البعض فتمزج القوالب الطينية مع الحجارة ، حيث يتم ربطها بملاط طيني ، ويكثر هذا النوع من الطرق الإنشائية في قصور منطقة قورارة ، أما في قصور منطقة توات فهي قليلة نسبيا ونجدها خاصة مستعملة في الأسوار.(الصورة رقم 32).



صورة رقم 32 طريقة المزج

3/ تقنية تكسية الجدران :

تتم تكسية الجدران بواسطة خلط الطين والرمل والماء أو بواسطة الجص والرمل والماء، مع إضافة الملح لتكوين طبقة قاسية على الجدران ، ويتم بعدها وضع الخليط على الجدران وتسويته ليصبح بعدها مستو وأملس وفي ذلك نجد وصفا للعلامة ابن خلدون لهاته العملية " ومن صنائع البناء أيضا أن تجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحلل في الماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن إفراط النارية المفسدة للإحلام ، فإذا تم له ما يرضاه من ذلك من فوق الحائط وذلك إلى أن يلتحم ... ومن صناعة البناء ما يرجع التثقيب والتزيين ، كما يصنع

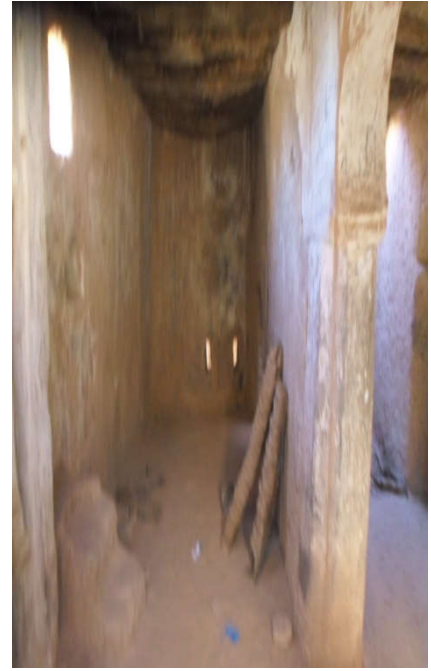
من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسداً ، وفيه بقية البلل ، فيشكل على التناسب تخريماً بمثابة الحديد ليبقى له رونق ورواء¹

4/ تقنية بناء الأعمدة والدعامات :

من أهم العناصر المعمارية التي يجب أن تتوفر في المبنى الأعمدة والدعامات ، وتبنى من مادة الطين الممزوج بالملح والرمل ، وتبنى أحيانا من الحجارة المصقولة ، وهذا على حسب المواد المتوفرة ، فالقصور التي تكون بجانب مقالع الحجارة على يتم فيها الاعتماد على الحجارة لكونها قريبة ، والحصول عليها سهل أما البعيدة عنها فيكون الاعتماد فيها على الطين أكبر ، وقد لاحظنا النوعين معا الطينية والحجرية ، وتخلو الأعمدة والدعامات من القاعدة فهي توضع مباشرة على الأرض . (اللوحة رقم 29 ، الصور أ ، ب)



صورة ب دعامه مبنية بالطوب



صورة أعمود مبني بالحجارة

لوحة 29 رقم الدعامات والأعمدة

¹ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 434.

5/ تقنية بناء العقود :

تعد العقود من العناصر الأساسية في العمارة الإسلامية ، ذلك لأن العقد له وظيفتين إحداهما عملية ، يعمل من خلالها على توزيع ثقل السقف والضغط الذي يعلوه على الركائز والجدران وقد اعتمد البناء طريقتين في بناء العقود في المنطقة وهما :

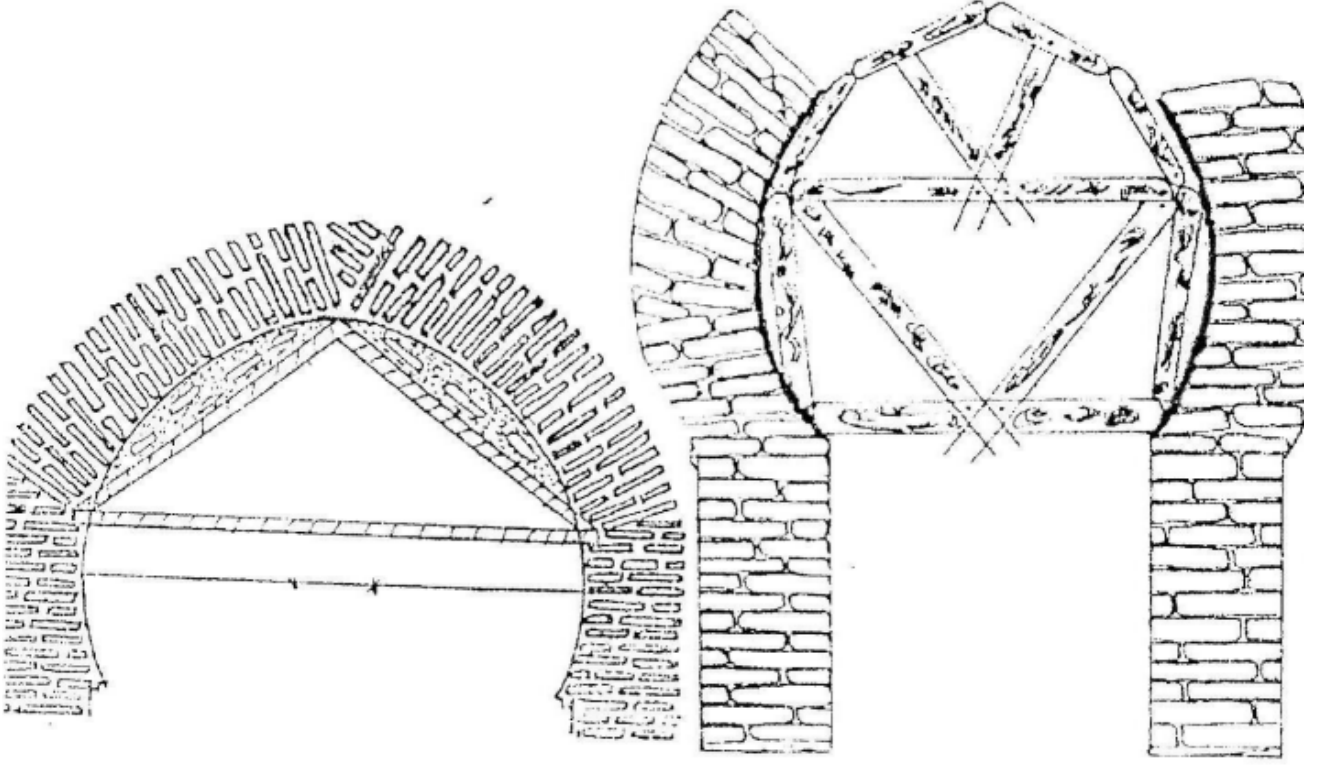
أ/ الطريقة الأولى:

يتم فيها بناء عمودين من الطين ، ومن ثم يبنى بينهما جدار من الطوب شريطة أن يلحم بين حبات الطوب بواسطة الرمل المبلل أو وضع قليل من الطين فقط ، وهذا لتسهيل عملية نزع الجدار فيما بعد ، ويتم رفع الجدار حتى يتجاوز ارتفاع العمودين الموضوعين بمسافة 0.60 م ، ثم يغطى الجدار المبني بطبقة من الرمل المبلل بالماء ، وحينها يشرع البناء ببناء العقد فوق ذلك الرمل بأي مادة متوفرة لديه سواء الحجارة ، أو الطوب ، وبعدها يتم نزع الجدار المبني ، ويقوم البناء بصقل وتسوية العقد بالملاط الطيني أو الجصي وهذا لتغطية البناء ، وإضفاء طابع جمالي عليه.

ب/ الطريقة الثانية :

تتمثل الطريقة الثانية ، في استبدال الجدار الطيني في الطريقة الأولى ، بوضع عقد بواسطة جريد النخيل ، وتتم بوصل جريد النخيل بالمكان الذي يريد المعلم ، أن يبنى فيه العقد سواء كان ذلك بين جدارين أو عقدين أو جدار ودعامة ، فيوضع جريد النخيل على شكل عقد ، ويجعل فوقه الملاط الطيني أو الجصي ثم يتم البناء فوقه إلى أن يتم البناء ، ثم ينزع جريد النخيل ويأخذ العقد شكله ، ومن ثم يتم تلييس وتغطية العقد بالملاط .

والملاحظ أن قصور المنطقة قد استخدمت في عمارتها الطريقة الأولى بكثرة وهذا لسهولة تنفيذها وعدم طلبها تقنيات كبيرة في البناء (الشكل رقم 05) .



شكل رقم 05 تقنية بناء العقود

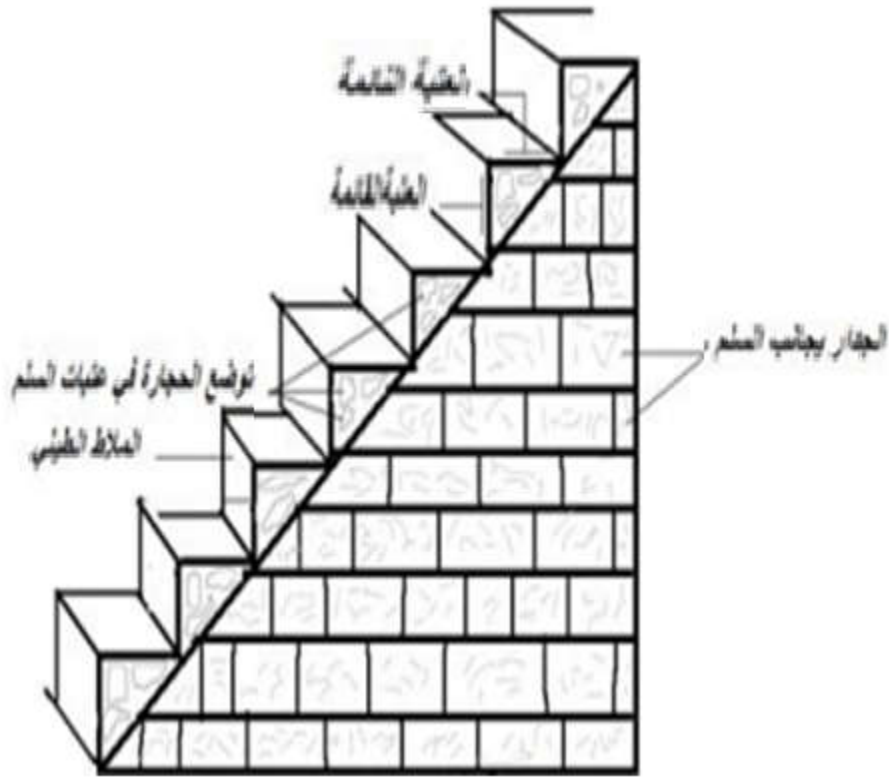
- عن مليكة بن ناجي -

6/ تقنية بناء السلالم :

تعتبر السلالم من بين العناصر المعمارية التي اعتمد عليها السكان في منطقة توات ، وأعطوا لها أهمية بالغة، فلا يخلو تقريبا منزل ولا مسجد منها لذلك نراهم قد زودوا ببنائهم بها، وهذا لاحتياجهم الأسطح في حال الحر الشديد لها ، ولبنائها استخدموا طريقتين تمثلتا في :

أ/ الطريقة الأولى :

تتم ببناء جدارين متوازيين ومن ثم يتم وضع الأتربة والطوب بينهما وصولا إلى الأعلى ، وبعدها يتم بناء الدرجات بواسطة الطوب ووضع الملاط بينه لإضفاء المتانة والصلابة عليه (الشكل رقم 06) .



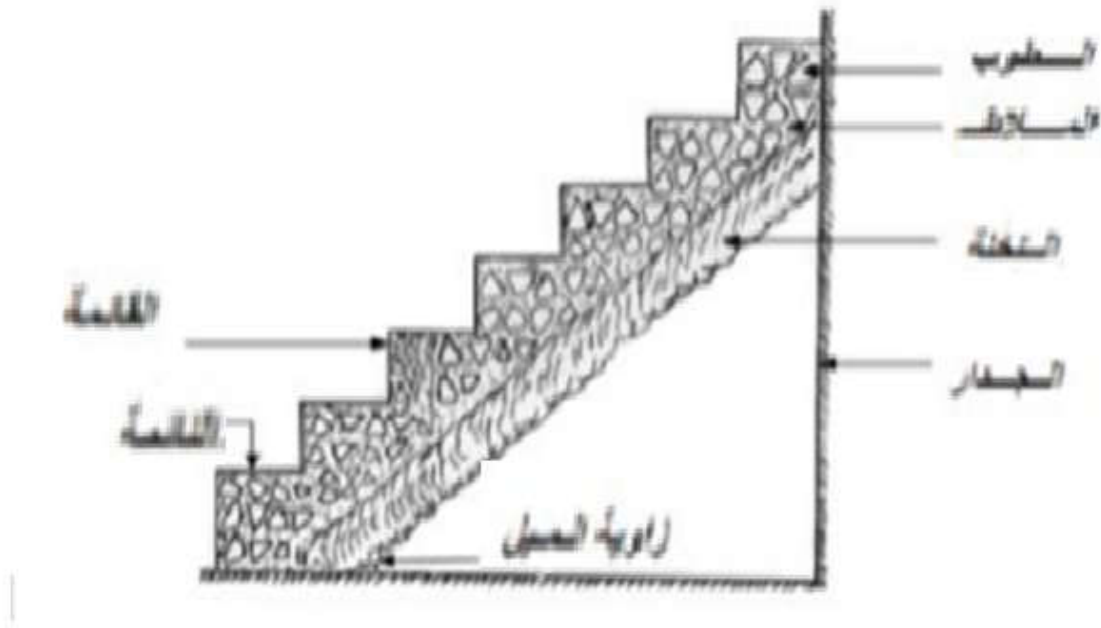
شكل رقم 06 الطريقة الأولى في بناء السلالم

- عن محمد بن سويس بتصرف -

ب/ الطريقة الثانية :

الطريقة الثانية تتمثل في وضع أخشاب من جذوع النخيل على الجدار العلوي المراد الصعود له ، ويرتكز طرفها الثاني على الأرض مباشرة ، ومن ثم يؤتى بالحجارة المسطحة وتوضع فوق الأخشاب ، وبعدها توضع طبقة طينية وتوضع فوق الحجارة ، وبعدها يتم تشكيل درجات السلم ، ويتم الابتداء في تشكيلها من الأسفل إلى الأعلى .

والملاحظ على أغلب السلالم في المنطقة ، عدم الإتقان في البناء وهذا لقلة الإمكانيات المستخدمة وكذا لبساطة الإنسان في المنطقة ، لذلك فإن أغلب السلالم قد تضررت بشكل كبير ويصعب تحديد حجم درجات السلالم ، إلا أنه يتبين من أشكالها تفاوت كبير في حجمها ، خاصة من ناحية ارتفاعها فيتراوح ما بين 15 سم إلى 35 سم . (الشكل رقم 07)



شكل رقم 07 الطريقة الثانية بناء السلالم

- من إعداد الطالب -

7/ تقنية بناء السقوف :

السقوف أيضا من بين أهم العناصر المعمارية التي إهتم السكان بها ، فهي من تحميهم من برد الشتاء وقر الصيف ، وهي الأخرى جاءت ببساطة الأبنية فنراها بسيطة واستخدم فيها المعماري ما توفر له من مواد في بيئته ، واتبع عدة طرق في بنائها وتشبيدها ، وقد تكلم عبد الرحمان بن خلدون عن كيفية بناء السقوف وهذا في قوله " ... ومن صنائع البناء عمل السقف ، لأن تُمَدَّ الخُشْبُ المحكَّمة النجارة أو الساذجة ، على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالداياتر ، ويصب عليها التراب والكلس ، ويبلط بالمراكز حتى تتداخل أجزائها ، وتلحم ويعالَى عليها بالكلس كما يعالَى على الحيطان "

وقد اعتمد المعماري المسلم في تغطية وتسقيف المباني المدنية والدينية على عدة أنواع من التغطية مستخدماً في إقامتها تقنيات عديدة ، فجاءت السقف المسطحة في قرطيه والهرمية في أروقة الجامع الأموي بدمشق.¹

وفي منطقة توات استخدمت مادتين للتسقيف الأولى بواسطة خشب النخيل والثانية بواسطة الحجارة.

أ/ التسقيف بواسطة خشب النخيل :

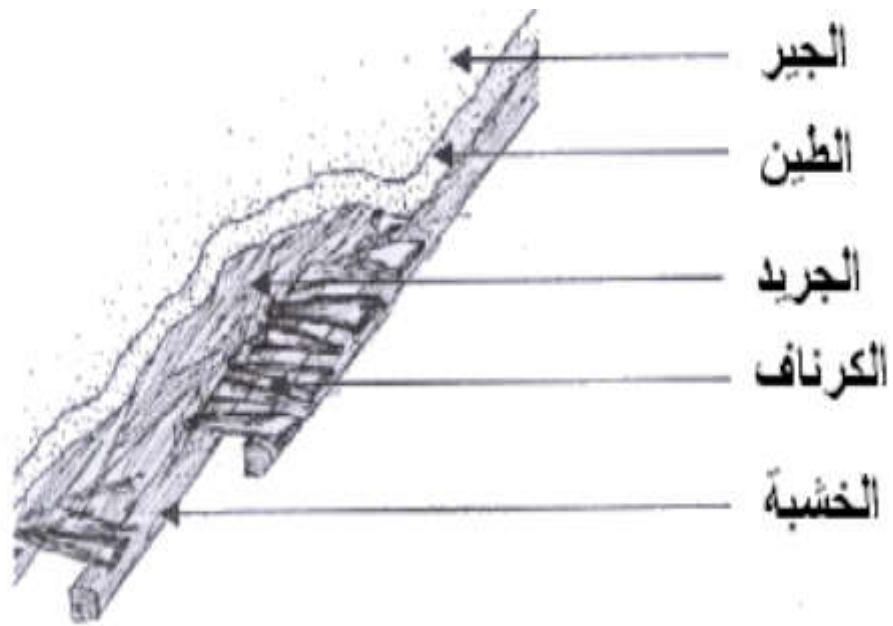
التسقيف بواسطة جذوع النخيل هو الأكثر شيوعاً في الصحراء لتوفر النخيل كما قلنا سابقاً ويتم هذا بإحضار جذوع نخيل ويجب أن تكون متينة، ويتم تقطيعها طولياً على مقاسات تناسب البناء ولا يتعدى حدها الأقصى 2.5م وهذا لتكون أكثر مقاومة للثقل الذي سيوضع عليها، ومن ثم تجفيفها لمدة معينة، وبعد تهيئة جذوع النخيل يتم إحداث ثقب على شكل كوة في الجدران، ولا تكون الأخيرة عميقة جداً حيث لا يتجاوز عمقها 0.25 م .

وتتم عملية وضع السقف بمد جذوع النخيل داخل الحفرات المحدثه في الجدران ، وتكون المسافة بين خشبة وأخرى بين 0.10 م و 0.15 م ، وبعدها يتم مد الكرناف بشكل متقاطع فوق الخشب ، ومن ثم يتم إحضار الليف الذي يقاوم الطين الذي يوضع بدوره فوق الليف ، وفي النهاية يتم وضع الجير الذي هو مقاوم للحرارة وأيضاً يعمل كطبقة مساعدة لمقاومة الأمطار (، الصورة رقم 33) ، (الشكل رقم 08).

¹ علي حملاوي ، قصور منطقة جبال عمور ..، ص 159



صورة رقم 33 استخدام الخشب في التسقيف

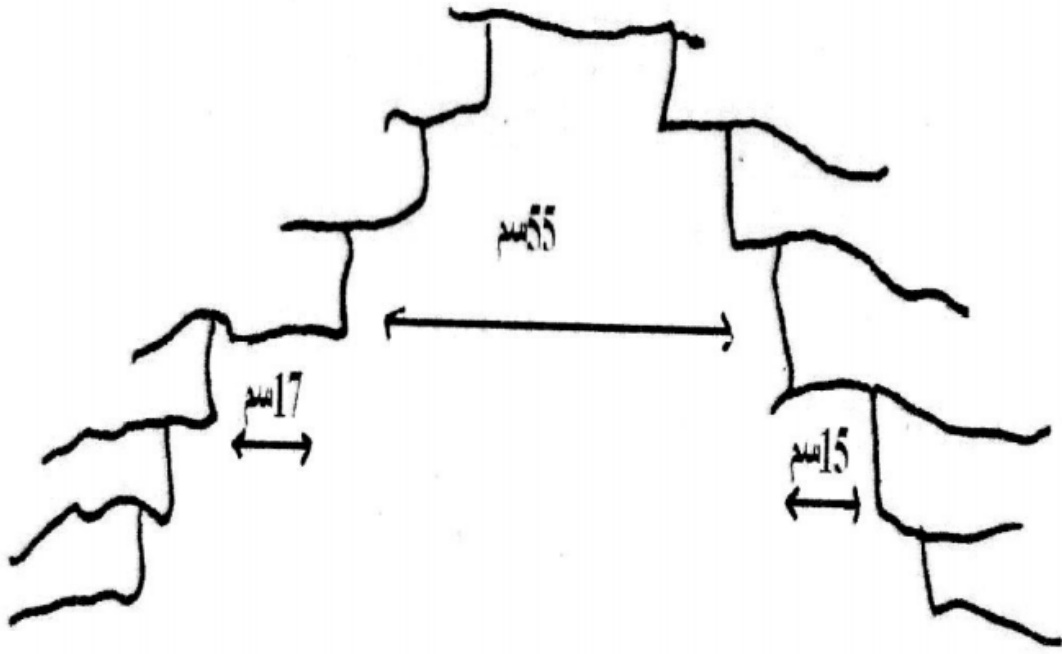


شكل رقم 08 التسقيف بواسطة أشجار النخيل

- عن محمد بن سويس -

ب/ التسقيف بواسطة الحجارة :

تتم هذه الطريقة بإحضار حجارة رسوبية تمتاز بالصلابة، ومن ثم وضعها على الجدران المتوازية ، وهذا على شكل أربعة صفوف بعضها فوق بعض بتدرج حتى تضيق في الأعلى عند اقتراب التقائها مشكلة فجوة تغلق بعد ذلك بواسطة حجر مسطح كبير¹ . وهذه الطريقة نجدها فقط في أروقة بيت الصلاة في مسجد الإمام المغيلي* . (الشكل رقم 09).



شكل رقم 09 التسقيف بواسطة الحجارة

- عن مليكة بناجي -

¹ مليكة بناجي ، المرجع السابق ، ص 43

*مسجد الإمام المغيلي هو مسجد يقع في قصر بو علي ببلدية زاوية كنتة ، أسسه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في منتصف القرن 15 م ، وأصبح منارة للعلم والمعرفة بتوات الوسطى .

8/ تقنية بناء القباب :

يتم بناء القباب المخروطية انطلاقاً من القاعدة المربعة أو المستطيلة التي تقوم عليها ، وهذا بعد تحديد نقطة مركزية تتجه نحوها الجدران الأربعة ، فتأخذ جدران القبة إنحناءاً تدريجياً كلما أرتفع البناء إلى غاية الالتقاء في مركز القبة وهو أعلى نقطة فيها ¹.

وقد كان بناء القباب في أول ظهورها يعتمد على القوالب الخشبية بنفس الأسلوب التي تبنى به العقود والأقبية، والتي يراعى فيه اتجاه قطع الحجارة والأجر نحو مركز القبة² ، وقد كان هذا الأسلوب معروفاً عند الفراعنة ، وفي العهد البيزنطي استعملت طريقة ثانية حاول البناء فيها الاستغناء عن القوالب الخشبية ، وصار يبني قبتة بإقامة حلقات دائرية تتجه قوالبها نحو مركز القبة في محور رأسي من أسفلها إلى قمته ، وكان البناء لا يتم إلا بعد جفاف مونة الحلقة السابقة حتى يمكن أن ترتكز عليها الحلقة التي تليها ، كما يستعين في تثبيت الحلقات المحدثه بحبال تشد إلى خلف القبة ، وفي طرفه الثاني المتدلي إلى داخلها تشد وزنة ثقيلة³.

وهذه الطريقة نلاحظها في قباب الأضرحة ، فإن طريقة التسقيف بالقباب المخروطية التي تمكن البناء من تنفيذها ، تمت بتقنية تنظيم صفوف من الطوب أو الحجارة بحيث تتجه لحاماتها نحو مركز القبة مثل طريقة بناء العقود وفي بعض الأحيان تشكل دعائم منحنية يتم ملئ الفراغات بينها بصفوف من الطوب أو الحجارة ⁴.

9/ تقنية وضع الميازيب :

الميازيب هو تقنية لتصريف الأمطار المتراكمة من فوق السطوح، وقد كان يصنع قديماً من جذوع الأشجار ، أما في منطقة توات فيصنع من جذوع النخيل ، حيث تحفر وينزع باطنها ويتشكل بذلك نصف دائرة ، وتمر بذلك داخله المياه .

¹ محمد بن سويس ، المرجع السابق ، ص 159

² عبد القادر دحوح ، المرجع السابق ، ص 687

³ نفسه ، ص 687

⁴ صالح مصطفى لمعي ، القباب في العمارة الإسلامية ، بيروت ، د - ت ، ص 13

10/ تقنية تثبيت الأبواب:

كانت الأبواب في العمارة الإسلامية تصنع من الخشب العادي أو خشب الساج غير المزخرف ، وقد برع المسلمون في عمل الأبواب الخشبية وتفننوا في تزيين كل جزء من أجزائها¹ أما صناعة الأبواب في منطقة توات ، فهي كغيرها من العناصر المعمارية تميزت بالبساطة الشديدة ، وهذا تبعا لبساطة الإنسان وكذا المواد التي استعملها في صناعتها ، وقد كانت تتم صناعة الأبواب بإحضار أخشاب النخيل والتي يتم تقويمها لتصبح ألواحاً ، وتوضع 4 أو 5 من العوارض بشكل طولي وسمك كل واحد منها 0.20 سم ، وتثبت هاته الأخشاب مع بعضها بواسطة ألواح أفقية على الأولى .

ويتم تثبيت هذا الباب في ألواح وضعت مسبقا في الجدار وهذا لتتحمل ثقل الباب ، وتتميز الأبواب في المنطقة ببساطتها وقلة الزخارف عليها

ثالثا العناصر الزخرفية

زخرف الشيء بمعنى زينه وجمله ، والزخرفة هي تركيب وإدماج لعناصر الطبيعة مع بعضها البعض بشكل متناسق قصد تزيين تحفة ما.²

ولبساطة البناء في المنطقة فإن العناصر الزخرفية قد تميزت بقلتها ، وهذه سمة في عمائر القصور الصحراوية وخاصة منطقة توات ، ورغم استخدام الفنان التواتي أساليب بسيطة لإضفاء المسحة الجمالية على عمائره ، إلا أنها تميزت بالتناسق والجمال ، وأيضا نراها توحدت مع روحه الصادقة وعفويته التي ظهرت في تلك العمائر ، من خلال بساطته واستخدامه المواد القريبة منه ومن محيطه وتفكيره ، فمن بين المواد التي استعملها في الزخرفة ، نجد الطين والذي أبدع في استخدامه لتجميل عمائره ، وكذلك استغل الخشب في صناعة السقوف والأبواب ، فهاته وإن لم تكن زخرفة ظاهرة جلية ، إلا أنها تعتبر عن إبداع بسيط ظهر عناصر معمارية يستخدمها في حياته اليومية .

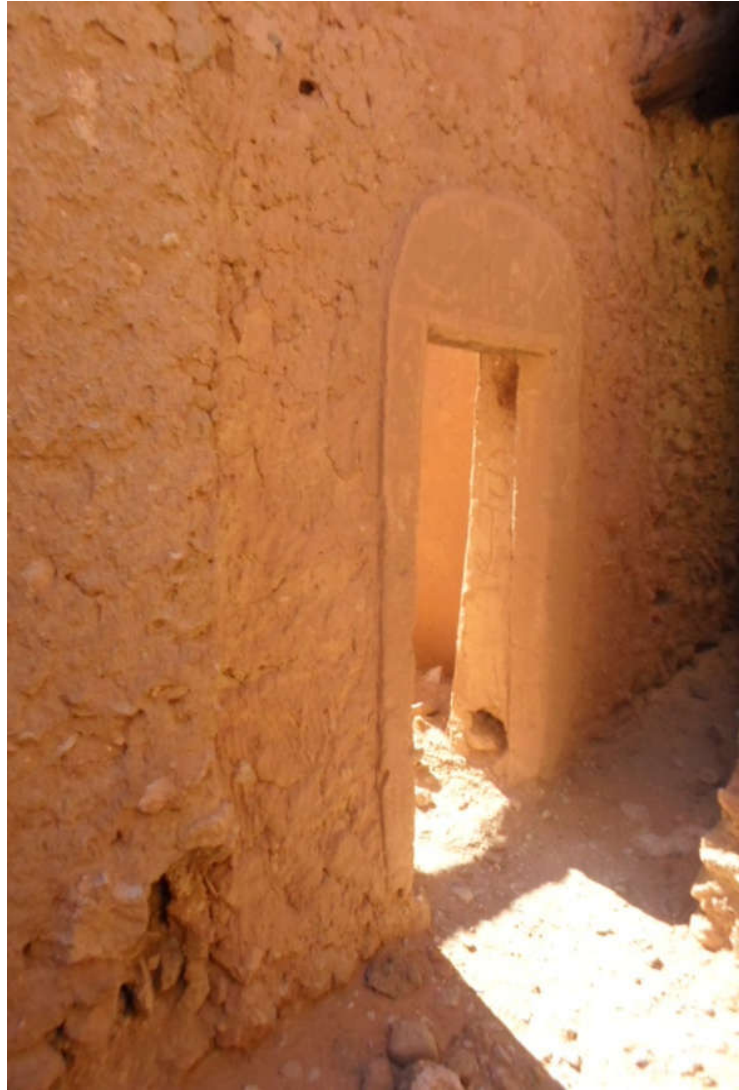
¹ محمد رزق عاصم ، المرجع السابق ، ص 23

² حسن علي حمودة ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية للكتاب ، د.م.ط ، 1972 ، ص 04

ومن بين العناصر الزخرفية نجد :

1/ العقود الصماء:

هي عبارة عن عقود ولكن ليست بالحقيقية ، وإنما هي عبارة عن رسم للعقود في الجدران وقد شاعت بكثرة في العمائر الإسلامية ، أما في منطقة توات فنراها قليلة الاستعمال . وقد وجدناها في بعض الأبواب الخارجية للمنازل في قصر تماسخت وكذلك في قصر زاوية كنتة. (الصورة رقم 34).



صورة رقم 34 نموذج للعقود الصماء - مدخل أحد المنازل قصر تماسخت -

2/ الخطوط :

الخط هو الأثر الناتج من تحرك النقطة في جميع الاتجاهات ، بشكل مستقيم يكون عموديا أو أفقيا أو متموجا ، وهو يستعمل في زخرفة الأشرطة والحشوات والسطوح ، كما تعد الخطوط أساس العمل الفني رسما أو نحتا أو حفرا أو عمارة ، والخط يحمل مدلولاً واسعاً فيكون حافة أو مكان اتصال المساحة.¹

ونجد أن الخطوط التي وجدت في العمائر تتميز بغيرها بالبساطة والعفوية في العمل حيث شكلت على ما يبدو بالأصابع فقط ، ونفذت بعد الانتهاء من عملية تلميس الجدار، وقد استعملت بكثرة في زخرفة الجدران في منطقة توات ومنها ما وقفنا عليه في جدران المنازل بقصر تماسخت (الصورة رقم 35).



صورة 35 زخرفة بواسطة الخطوط

¹ نور الدين بو عبد الله ، المرجع السابق ، ص 181

3/ الكوات:

وهي من بين العناصر المعمارية التي كان فوق وظيفتها المعمارية التي تمثلت في كونها تستعمل لوضع وسائل الإنارة ، وكذا أدوات الزينة للمرأة ، فهي لديها وظيفة أخرى وهي إضفاء الطابع الجمالي ، فكانت توضع في جوانب الجدران في المساجد والأضرحة وكذا المنازل (اللوحة رقم 30 ، الصورة رقم أ ، ب).



صورة أ كوات مربعة الشكل



صورة ب كوات مثلثة الشكل

لوحة رقم 30 استخدام الكوات كعنصر زخرفي

4/الشرفات المسننة:

هي عبارة عن مثلثات متساوية الأضلاع ، تصنع من الطوب وتوضع على شكل إفريز فوق المداخل ، ، ونجد أن رمز المثلث في المجتمعات الأمازيغية ، وترمز لعدة أشياء أهمها أنه صورة للأنثى رمز الخصوبة¹

وقد عرف هذا الأسلوب الزخرفي في عمائر الحضارات القديمة ، في العمارة الساسانية القديمة في الأطراف العليا للعمائر ، وانتقلت فيما بعد تدريجيا للفن الإسلامي² ، وهي متواجدة أكثر فوق الأضرحة .(الصورة رقم 36)، (الشكل رقم 10)



صورة رقم 36 استعمال الشرفات المسننة كأداة زخرفية



شكل رقم 10 الشرفات المسننة

- عن محمد بن سويس -

¹ فريدة بن ونيش ، المجوهرات والحلى في الجزائر ، ط2، وزارة الإعلام ، الجزائر، 1976، ص 11.

² فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص 176.

خلاصة الفصل :

لقد كان للبيئة في منطقة توات دور كبير في طرق البناء التي اتبعها المعماري التواتي ليخلف لنا معالم متنوعة حاكت بساطة وصبر الإنسان الذي أوجدها ، فقد استطاع بواسطة المواد الموجودة في محيطه أن يؤسس معالم كثيرة مازالت صامدة أمام الزمن ، ومن بين أهم المواد التي استعملها الطين والحجارة وأخشاب النخيل وكلها مواد قريبة والحصول عليها سهل ، كما نجد أن الزخرفة نادرة على العمائر وهذا ناتج عن بساطة الإنسان وزهده في مظاهر الترف وهذا نابع من التربية الروحية للفرد في المنطقة ، كما أن الزخرفة تتطلب مواد وتقنيات متطورة لم يمتلكها المعماري التواتي .

الباب الثاني الآثار المنقولة

في إقليم توات :

الفصل الأول: الخزائن والمخطوطات

الفصل الثاني: الحرف والصناعات

الفصل الأول

الخزائن والمخطوطات :

أولاً: المخطوطات العربية

ثانياً: المخطوطات في إقليم توات

ثالثاً: الخزائن في إقليم توات

إن الإسلام دين العلم والمعرفة مصداقا لأول سورة في القرآن الكريم والتي يقول فيها عز من قائل : ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)¹ فلهذا سعى المسلمون منذ أن نزلت الرسالة المحمدية للعلم والمعرفة ، وبذلك نشطت حركة التأليف التي بدأت بالقرآن الكريم ووصلت إلى شتى العلوم في جميع المجالات ، وشجع الخلفاء والسلاطين العلم، فكانت حواضر الإسلام تعج بالعلماء الذين ألفوا في شتى العلوم فتطورت أدوات الكتابة ووسائلها وأصبح الكتاب الرفيق الدائم للمسلم ونشطت حركة التأليف والنسخ في جميع المناطق التي وصل إليها نور الإسلام .

ومنطقة توات من بين المناطق التي شهدت حركة تأليف واسعة وهذا مناطه للدور الكبير الذي قام به شيوخ الزوايا ، في الاهتمام بالعلوم الدينية والدنيوية وتعتبر صناعة المخطوط من أهم الصناعات التطبيقية التي عرفتھا المنطقة ، كونها كانت مركزا علميا ودينيا وأديبا ، وأيضا كونها كانت همزة وصل بين شمال المغرب وبلاد السودان ، فأصبحت بذلك تحوي أهم الخزائن وعدد هائل من المخطوطات التي تستحق أن تدرس للحفاظ عليها وحمايتها.

أولا المخطوطات العربية

1/ تعريف المخطوط :

تعتبر كلمة مخطوط حديثة نسبيا حيث لم تكن بمعروفة بمعناها اللغوي والاصطلاحي إذ أطلقت عليها مصطلحات أخرى مثل (كتاب ، سفر ، مجلد ، رسالة ، جزء) وغير ذلك من المصطلحات ، والغريب أن المعاجم العربية القديمة مثل لسان العرب وتاج العروس لم تورد هذه الكلمة ضمن مواردها ، ولم تتعرض لها بالشرح الوافي²

¹ سورة العلق ، الآية 01 إلى 05

² السيد السيد النشار ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، 1997، ص 05.

ومن أقدم القواميس التي ذكرت فيها كلمة مخطوط قاموس البستاني حيث نجده يعرفه بأنه من الفعل خط بالقلم وغيره، أي خط يخط خطأ، أو صور اللفظ بحروف هجائية².

ونلاحظ أن كلمة خط قد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى ((وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون¹))، أي ولم تكن تكتب بيمينك والخط عند الكفوي في الكليات كل مكان يخطه الإنسان لنفسه³.

أما لفظ المخطوط في الاصطلاح فنجد له تعريفات عديدة إلا أنها تصب جميعها في نفس المعنى، ومن هذه التعريفات نذكر تعريفا في معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، أن المخطوط هو الكتاب المكتوب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أي وثيقة أخرى، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الكتابة².

وقد عرفه الحلوجي بأنه الكتاب المخطوط بخط عربي، سواء أكان في لفائف أو شكل صحف ضم بعضها لبعض على هيئة دفاتر أو كراريس³. ونجد كذلك تعريفا له بأنه كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو ناسخ غيره، أو أخذت عنه صور فوتوغرافية، أو أي يكون مصور بالمايكرو فيلم من مخطوط أصلي⁴.

فالمخطوط العربي هو ذلك الكتاب المخطوط باليد بخط عربي، قبل عصر الطباعة سواء أكان في شكل لفائف أو كراريس أو شكل صحف، ويشتمل هذا التعريف على حسب الباحث السيد سيد نشار توفر أربع شروط أساسية⁵:

² سورة العنكبوت، الآية 48.

² أحمد محمد الشامي، وسيد حسب الله، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، إنجليزي، عربي، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1988، ص 703

³ عبدا الستار الحلوجي، المخطوط العربي، مكتبة صباح، جدة، 1980، ص 15

⁴ طلال مجذوب، فهمي سعد، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ط1 عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1993، ص 13.

⁵ السيد سيد نشار، المرجع السابق، ص 06

- أن يكون المخطوط كتابا، أي أن الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن هذا التعريف

- أن يكون الكتاب مخطوطا أي أن النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة ، وكذلك النسخ المصورة على الفوتوستات ، أو أي مصغر فيلمي هي خارجة عن حدود هذا التعريف

- أن يكون قد كتب قبل عصر الطباعة ، مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر إلى قطر ومن عصر إلى آخر ، أي أن النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة واستقرارها هي خارجة عن حدود التعريف ، ويمكن أن نطلق عليها اسم المخطوطات الحديثة ، لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة .

- أن يكون الكتاب مخطوطا بخط عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربيا أم غير ذلك.

أما المخطوط كعلم فهو مرادف للمصطلح " كوديكولوجيا " "codicologie" ، فحسب معجم مصطلحات المخطوط العربي فإن دراسة المخطوط بوصفه قطعة مادية ، وهذا المصطلح من وضع العالم الفرنسي "ألفونس دان" ، والكلمة مركبة من اللفظة اللاتينية " كوديكس " "codex" أي كتاب ، ومن اللفظة اليونانية " لوغوس " "Logos"

بمعنى دراسة ، وقد دخلت المعجم الفرنسي سنة 1959 م ، وقد يراد به عند القدماء مفهوم الوراقة ، أو كل ما يتعلق بالمخطوطات من كتابة وطباعة وتجارة وترميم وما إلى ذلك.¹

بينما نجد أن الباحث الفرنسي " ألفونس دان " " A.DAIN " يقدم تعريفا مختلفا لما هو معروف ومتداول اليوم ، فهو يدخل في هذا العلم تاريخ المخطوطات، وتاريخ المجموعات والبحث عن المواقع الحديثة للمخطوطات ،

¹ أحمد شوقي بنين ، مصطفى الطوبي ، معجم مصطلحات المخطوط العربي ، (قاموس كاديولوجي) ، ط3، منشورات الخزانة الحسنية ، ، مزينة ومنقحة ، الرباط ، ص 202

والبحث عن المواقع الحديثة للمخطوطات ، ومشاكل الفهرسة ، وسجلات الفهارس والتجارة المخطوطات واستعمالها ... الخ.¹

والملاحظ أن علم الكوديكولوجيا "codicologie" أنه علم دراسة أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف ، أي أنه يعتني بدراسة العناصر المادية للكتاب متمثلة في الورق ، الحبر ، المادة ، التذهيب ، التجليد ، وأيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات ، وكل مادون على صفحة الغلاف "الظهرية" من سماعات وقراءات وإجازات ومداولات وبلاغيات ومعارضات ومطالعات ووقفيات ، ومايسجل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفون "colophon" ، من إسم للناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنتيجة المنقولة عنها ، وكذلك معرفة المصدر الذي جاءت منه النسخة والجهة التي آلت إليها وما على النسخة من أقسام وما شابه ذلك ، وقد أطلق الأوربيون عليها اسم خواريج الكتاب "Ex -Hibris".²

ويعرف الباحث أيمن فؤاد السيد علم المخطوط بأنه دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي ، وبالتالي بحث العناصر المادية للمخطوط ، وبعبارة أخرى هو علم يهدف إلى دراسة كل ما هو مكتوب في الهوامش من شروح وتصحيحات ، وما إلى ذلك من معلومات عن الأسماء الذين تملكوه ، أو نسخوه أو قرؤوه أو استعملوه أو وقفوه ، ثم الجهة التي آل إليها ، والمصدر الذي جاء منه ، ثم العناصر المادية المتعلقة بالمخطوط من ترتيب وتوريق ، وترقيم وغير ذلك ، ثم تاريخ المجموعات ووضع القوائم والفهارس العلمية ، والكنانات ، وفهارس المدارس وغيرها.³

أما الباحث قاسم السامرائي الذي يجد مصطلحا جديدا لعلم دراسة المخطوطات ويجد بديلا لمصطلح "الكوديكولوجيا" ، ويقترح في مكانه اسم "علم الإكتناء" ، ونجد أن الكاتب يضع ضمن هذا المجال العلمي لبيتلعل علوما جديدة من أمثال علم الخط العربي

¹ A، DAIN. Les manuscrits .Les Belles Letres . Paris . Troisième .édition .1975 . P76 _ 93

² أحمد شوقي بنين ، مصطفى الطوبي ، المرجع السابق ، ص 202

³ أيمن فؤاد السيد ، الكتاب العربي للمخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ج1، ط1 1997 ، ص 02.

والتحقيق العلمي ، وعلم المخطوطات ، والفهرسة ، والتاريخ ، وبذلك يرى أن هذا العلم يشمل فنين في اللغات الأوربية وهما :

أ/ باليوغرافيا : وهو فن يهتم بدراسة وفك الخطوط القديمة ورموز الكتابات الأثرية والنقوش والمسكوكات، وذلك بدراسة أشكال النقود وتطور هذه الأشكال عبر القرون ، منذ أن كانت على شكل قضبان وحلقات ثم سبائك معدنية مختومة إلى أن أصبحت نقودا بمعناها المعاصر، ومحاولة قراءة وجهها وظهرها وجل ما تحمله من رموز وأشكال ويندرج تحت هذا التحليل أيضا كل الوثائق بصورها المختلفة.¹

ب/ كوديكولوجيا : هو علم دراسة الكتاب المخطوط وصناعته ، بما في ذلك صناعة الأحبار ، وفن التوريق أو النساخة ، والتجليد والتذهيب ، وصناعة الجلود والكاغط ، وما يتبع ذلك من فنون وما يتصل بها ، مثل حجم الكراسة ونظام الترقيم والتعقيبات ، والسماعات ، والقراءات ، والإجازات ، والمقابلات ، وتقبيدات التملك و الوقف ، وما يظهر في نهاية المخطوط وما سماه بتقييد الختام ، من اسم المؤلف واسم الناسخ ، ومكان النسخ وتاريخ النسخ وما إلى ذلك.²

ونجد تعريفا لعلم المخطوطات في مجلة الوعي الإسلامي حول المخطوط العربي إذ ترى أن علم دراسة المخطوط ، هو العلم الذي يعنى أساسا بالجوانب المادية في المخطوط وهو المجال الذي يعنى أساسا بالجوانب المادية في الكتاب المخطوط ، أي أنه العلم الذي يتناول الكتاب المخطوط ، من حيث مكونات الورق أو المادة المكتوب فيها والطبي وصناعة الكراريس ، والترتيب (أي مسألة كتابة النص في علاقته الزمنية بطيء وصناعة الكراسة) وتركيب الصفحات (أو دراسة التناسبات الممكنة بين درج أو أدراج النص و الصفحة

¹ قاسم السامرائي ، علم الإكتناء العربي الإسلامي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ، 2000

ص 07

² نفسه ، 07

والحزم)، والخزم ، والتسطير ، والنمنمة ، والزخرفة ، والتذهيب ، والتفسير ، أو التجليد بتعبير أهل المشرق ¹.

ومن جهة أخرى العلم الذي يعني بالنسخة في المخطوط، والذي يعني بداية النص ونهاية النص ، وحرر المتن ، والوقف ، والإجازة ، والقراءة ، وقيد التملك ، وقيد الشراء ، والأدعية ، والعبارات الشاردة ، والفوائد ، وقيد الصيانة ، وعناوين الأبواب والفصول ، وأنواع الترقيم ، والحك ، والمحور ، والطلس والإحالة والتشطيب وما إلى ذلك ².

2/ مقومات المخطوط العربي :

المخطوط العربي عبارة عن كتاب ، والكتب لا تتواجد في عصر إلا إذا توافرت لصناعتها ثلاثة عناصر أساسية :

أ/ وجود كتابة وكتاب

ب/ وجود أدوات للكتابة أي الأداة التي سجلت بها المعلومة ، والأداة التي سجلت عليها المعلومة

ج/ وجود تراث فكري يحرص الناس على تسجيله

ولذلك فلمعرفة تطور المخطوط علينا أن نتطرق إلى هاته العناصر الثلاث، ورحلتها عبر القرون الأربعة عشر.

أ/ الكتابة العربية :

لقد عرف الكتابة قبل الإسلام وكان منهم من يجيد والقراءة ، والأدلة منها كثيرة أولها طبعا القرآن الكريم في قوله عز من قائل ((قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى

¹ مصطفى الطوبي، المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات ، مجلة علم المخطوط العربي ، بحوث ودراسات ، ط1 ، مجلة تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة الكويت ، ط1 ، الإصدار التاسع والسبعون ، 2014 ، ص 24.

² نفسه، ص 25

نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس))¹ ، وقد دعى القرآن الكريم للكتابة في قوله عز وجل ((ياايها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فأكتبوه))² ، وقوله أيضا ((إلا تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد³))

ولقد دعى نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى تدوين الوحي حرصا منه عليه ، وكان من أول الصحابة الذين كتبوا الوحي بين يديه عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فإن غابا كتب من حضر من الكتاب ك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه .

وكما هو معلوم فإن الخط العربي تطور من الخط النبطي المتأخر ، ونعني بها النقوش التي عثر عليها في طرفي طريق التجارة الصحراوية ، بشمال جزيرة العرب مثل نقشي زبد وحران ، والمؤرخين في القرن 6م ، والذين لايدلان على معرفة العرب الكتابة منذ ذلك الوقت فحسب إنما يدلا أيضا عن الكتابة العربية التي كتب بها عرب الجاهلية والتي تطورت عن الكتابة النبطية.⁴

وهناك من يرى أن الخط العربي والمسمى بالمسند وهو خط أهل اليمن ، هو أصل الخطوط العربية ، ويسمونه خط حمير.⁵

وقد كان أهل مكة عند نزول الإسلام يكتبون بقلم خاص تختلف حروفه عن حروف المسند ودعوه بالقلم العربي أو الخط العربي تمييزا له عن المسند .

وفي العصر الراشدي بدأ تطور الخط العربي بشكل كبير ، وهذا نتيجة لتشجيع الخلفاء الراشدين للكتابة ، وبذلك دونت الدواوين وأصبح للخط مكانة ، مما جعل رابع

¹ سورة الأنعام ، الآية 91

² سورة البقرة ، الآية 282

³ سورة البقرة ، الآية 282

⁴ السيد سيد نشار ، المرجع السابق ، ص 07

⁵ عبد الستار الحلوجي ، نحو علم مخطوطات عربي ، ط1، القاهرة ، 2004 ، ص 24

الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث على تحسين الخط وإتقانه ،لأن تلك المرحلة تطلبت نهضة متمثلة في البحث والتدوين ، وإظهار الفن الإسلامي من خلال الخط العربي ،مما يجعلنا واثقين أن إنتشار الإسلام وإمتداده له سبب في وصول الخط إلى جمال لم يصل إليه خط آخر في التاريخ الإنساني .¹

أما في العصر الأموي فقد بلغ الخط درجة كبيرة من التطور وقد برز عدة خطاطين أجادوا في الخط ، أبرزهم الخطاط (قطيبة المحرر) الذي ابتكر خط جديد يدعى بالخط الجليل حيث أستعمل في الزخرفة على ابواب المساجد ومحاريبها .²

وفي العصر العباسي أصبحت عاصمتها بغداد قبلة للخطاطين ، ومن المشهورين في هذا العصر نجد الخطاط (الضحاك بن عجلان) و (اسحاق بن حداد) ، وقد بلغ عدد الخطوط في عهد الدولة العباسية 11 خطا ، ليلغ أوج تطوره في عهد الخطاط والوزير (أبو علي بن مقلة) وهو أول من وضع للخط معايير يضبط بها ، فنسب جميع الحروف إلى الألف ، التي أخذها مقياسا أساسيا .³

وقد بلغت أنواع الخطوط في أواخر العصر العباسي نحو ثمانين خطا أويزيد ، وهذا مالم تبلغه أمة من الأمم .⁴

ونجد أن الخط العربي قد بلغ تطورا كبيرا في المغرب والأندلس ، وظهرت عدة إختراعات ساهمت في تطور الكتابة ، ومن بين أهم الإختراعات نجد آلة الطباعة الحجرية التي كانت مستعملة في القرن 19م ، فقد كان لعبد الرحمان الناصر كاتب إعتاد أن ينشئ الرسائل الرسمية في منزله ، ثم ينفذها إلى ديوان خاص تصدر فيه نسخ متعددة ، لتوزع لعمال الدولة ، وهو نوع من الطباعة .⁵

¹ أحمد شوحان ، رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث - دراسة - من منشورات دار الكتاب العربي ، دمشق ،

2001، ص 18

² نفسه ، ص 25

³ محمد خيال مهدي الجواهري ، من تاريخ المكتبات في البلدان العربية ، دمشق ، 1992 ، ص 67

⁴ نفسه ، ص 67

⁵ أحمد شوحان ، المرجع السابق ، ص 31

فقد أصبح الخط العربي في كل بيت ، وأصبح المخطوط العربي في كل مكتبة ، ولا يمكن أن يخلو شارع من شوارع غرناطة أو إشبيلية وغيرها من المدن الأندلسية من مكتبة عامة تقدم كافة الخدمات لمرتاديها .¹

وفي العصر العثماني نجد أن الخط العربي تطور تطورا كبيرا ، وإهتم الخلفاء العثمانيون بالخط ، فقد إمتلأت مساجد الخلافة العثمانية بالمخطوط الرائعة والزخارف الجميلة ، لكبار الخطاطين الأتراك وغيرهم والذين استقدمتهم دار الخلافة العثمانية ، للعمل في عاصمة الدولة العثمانية .²

ب/ أدوات الكتابة العربية :

1/ الأدوات التي يكتب عليها :

قبل أن يعرف العرب صناعة الورق (منتصف القرن 2هـ - 8م) إستخدموا موادا كثيرة للكتابة ، فكتبوا في العصر الجاهلي على العصب ، والعظام ، واللحاف ، والأكتاف ، والعظام ... الخ ، وهي كلها مواد مستخرجة من بيئتهم الصحراوية.³

وقد إستخدم العرب كذلك الجلود في الكتابة عليها وهي على ثلاثة انواع ، الأديم وهو الجلد المدبوغ الأحمر ، والقصيم والجلد الأبيض ، والرق وهو مايرقق من جلد ، وأما المهارق وهي ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويسقل ويكتب فيه ، وهو فارسي الصنع كان يجلب بالقوافل ويكتبون عليه كل ماهو مهم .⁴

¹ أحمد شوحان ، المرجع السابق، ص 32

² نفسه ، ص 37

³ السيد سيد نشار ، المرجع السابق ، ص 11

⁴ عبد الله بن محمد المنيف ، صناعة المخطوط في نجد بين منتصفى القرنين العاشر حتى الرابع عشر الهجريين ، ط1، أروقة للدراسات والنشر ، الأردن ، 1425هـ / 2014م ، ص 107

وقد استخدمت هاته المواد أيضا في بداية عهد النبوة ، لذلك نجد أن النبي ﷺ قبض والقرآن في العصب والقصيم والكرانييف ، مما دعى بالخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يأمر بجمع القرآن من العصب واللحاف وصدور الرجال .¹

وفي العصر الراشدي وتحديدا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح مصر في عهده، دخلت مواد جديدة كورق البردي ، وهو نبات ينمو على ضفاف النيل وكذلك ورق القباطي وهو من النسيج ، وقد أستخدم ورق البردي بشكل كبير خاصة في العهد الأموي .²

أما في العصر العباسي فقد دخلت مادة الورق ، وهذا ابتداءا من سنة 133هـ / 751م ، حيث إنتقلت صناعته بعد معركة طلاس بين المسلمين والصينيين سنة إذ أسر المسلمون عددا من الصناع الماهرين وتدعى هذه الحادثة بفتح سمرقند ، حيث أنشأ الفضل بن يحي البرمكي أول مصنع لصناعة الورق في بغداد ، وذاعت بذلك صناعة الورق إلى جميع مدن الشام ومصر .³

ومن مصر والشام إنتقلت هذه الصناعة إلى شمال إفريقيا ومنها إلى الأندلس ، وكذلك إشتهرت صقلية بقيام مصانع للورق بها .⁴

ونجد ان بلاد المغرب قد فضلو الرق عن الورق في الكتابة أحيانا ، وهذا لإستخدام لما ورثوه عن أسلافهم من تفضيل الكتابة على الرق دون الورق ، خاصة عندما تكون المادة الواردة كتابتها كلام الله تعالى .⁵

¹ عبد الله بن محمد المنيف، المرجع السابق، ص 108

² نفسه ، ص 108

*معركة طلاس هي معركة وقعت على نهر طراز بدولة كازاخستان في وسط آسيا بين المسلمين والصينيين ، وقد قاد المعركة القائد في الجيش العباسي زياد بن صالح ، وانتصر فيها المسلمون وهذا في شهر ذي الحجة سنة 133هـ/751م .أنظر محمد سهيل قطوش ، تاريخ الدولة العباسية دار النفائس ، بيروت ، 2009 ، ص 42.

³ عبد الله بن أحمد المنيف ، المرجع السابق ، 108.

⁴ محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ط2، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د.ت ، ص 279

⁵ عبد الله بن محمد ، المنيف ، المرجع السابق ، ص 114

2/ الأدوات التي يكتب بها:

أ/ القلم :

هو أداة الكتابة والخط ويسمى في لغة العرب ب (المزبر) و(المزبر) يقال زبرت أي كتبت وزبرت أي قرأت¹ . ويسمونه قلما لأنه قلم أي قطع وسوي كما يقلم الظفر ، وهو كل عود يقطع ويحز رأسه ويعلم بعلامة فهو قلم² ، وفي تعريف القلم للقلقشندي أنه سمي قلما لإستقامته ، وسميت القдах أقلاما في قوله تعالى ((إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم³)) ، قال بعض المفسرين أنهم تشاحنوا في كفالتها فضربوا عليها بالقдах ، والقдах مما يضرب بها في الإستقامة ، وقيل مأخوذ من القلام وهو شجر رخو، وقيل سمي كذلك لقلم رأسه وقيل لا يسمى قلما حتى يبرى⁴.

وقد ذكر في القرآن في عدة مرات منها قوله عز وجل ((ان والقلم وما يسطرون))⁵ وكذلك ذكر في أول سورة نزلت في القرآن الكريم ((اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم))⁶.

ويراد أحيانا بمصطلح القلم في المصادر العربية الأداة ونوع الخط ، ويحدد ذلك السياق الذي يرد فيه هذا النوع من الأدوات⁷.

ونجد أن بعض الدارسين أشارو لمعرفة الإنسان للقلم منذ القدم ، ويرجع ذلك للألف الثالث قبل الميلاد حيث عرف الإنسان القلم المدبب . وعرفه العرب كذلك في العصر

¹ أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلبوسي ، الإقتضاب ، طبعة مزيذة ومنقحة ، تحقيق مصطفى السقا ، حامد عبد المجيد مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1996 ، ص 84

² عثمان عبد الستار ، دور المسلمين في صناعة الأقلام ، مجلة الدرة ، عدد 1 ، السنة 11 ، 1985 ، ص 33

³ سورة آل عمران ، الآية رقم 44

أبي العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج2 ، دار الكتاب الخديوية ، القاهرة 1913 ، ص

⁴ 275 ، 276

⁵ سورة القلم ، الآية 01

⁶ سورة العلق ، الآية 3و5

⁷ سفندال ، تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، ترجمة ، محمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ، 1958 ،

الجاهلي وكانت تصنع الأقلام من السعف أو القصب ، وكذلك من لب الجريد . إلا أنصناعته من القصب كانت هي السائدة خاصة في المناطق الذي ينمو فيه هذا النبات وهذا للميزات العديدة وسهولة إستخدامه¹.

ب/ المداد :

جاء في لسان العرب مادة (م . د . د) والمداد النقش ، وهو الذي يكتب ، وهو كل شيء امتلأ وارتفع ، ومد الدواة فيها مدادا ، وكذلك مد القلم وأمدته واستمد من الدواة أخذ منها مدادا ، والمد الإستمداد منها وقيل هو أن يستمد منها مدة واحدة ، قال ابن الأنباري سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب من قولهم أمددت الجيش بمدد قال الشاعر الأخطل² :

رأوا بارقات بالأكف كأنها مصابيح سرج اوقدت بمداد

ولقد ذكرت لفظة المداد في قوله عز وجل ((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا))³

ونجد كلمة المداد في السنة النبوية في دعاء ﷺ في قوله ((سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته))⁴

وقد أستعمل المداد من زمن بعيد فقد إستعمله البشر على جدران كهوف المراحل المتوسطة والمتأخرة من العصر الحجري القديم .

ونجد أن صناعة المداد عرفت في العصر الجاهلي ، وكان مقرونا بالكتابة ويؤيد هذا قول الشاعر :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما ورد في خط الدواة ومدادها⁵

¹ محمد محمد أمان ، الكتب الإسلامية ، ترجمة سعد بن عبد الله الضيعان ، الرياض ، 1990 ، ص 31

² محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 4158

³ سورة الكهف ، الآية 10

⁴ أبو الحسن مسلم بن الحجاج المصدر السابق ، ص 420

⁵ أحمد ، محمد ، شاكور ، عبد السلام ، هارون ، المفضليات ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976 ، ص 379

وفي بداية صدر الإسلام استخدم المداد في كتابة رسائل النبي ﷺ ، وقد صنع من الخشب وفضلات الحيوانات الجافة ، حيث تجمع هذه المواد وتخلط مع الماء بمادة لزجة ، وهذا من أجل جمعها وزيادة كثافتها وتماسكها .

وفي بداية العصر الراشدي نجد أن صناعة الأحبار تطورت بتطور الدولة الإسلامية وخاصة مع جمع القرآن على يد أبي بكر رضي الله عنه ومن تلاه من الخلفاء الراشدين .

وفي العهدين الأموي والعباسي ، نجد أن صناعة الأحبار بلغت تطورا كبيرا ، وقاد ذلك حركة التأليف في جميع المجالات ، بالإضافة إلى إنفتاحهم وتعاملهم مع البلدان الأخرى كالصين والهند ، وبيزنطة .

وقد بلغ الأمر في الحضارة العباسية من الرقي إبتكار أحبار منها ماصنع من مرارة السلحفاة ، وأستخدم في الكتابة حيث كان هذا النوع يقرأ بالليل ولا يقرأ بالنهار.¹

أما في بلاد المغرب الإسلامي نجد أن الخطاطين قد برعوا في الكتابة ، وتفننوا في استعمال المداد ويؤيد هذا ما قاله المقري في قوله (..... أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل أيوب رقعة بيضاء ، إن قرأت الكتاب في ضوء السراج كانت فضية ، وإذ قرئت في الشمس كانت ذهبية ، وإن قرئت في الظل كانت حبرا أسودا)².

3/ التراث الفكري :

لقد كانت الكتابة في العصر الجاهلي مغולה الخطى ولم تنتشر إنتشارا كبيرا ، ومع بداية الإسلام نجد الإهتمام الكبير منه بالتدوين ، ونجد هذا في القرآن الكريم وفي أطول آية فيه إذ يقول الله عز وجل ((يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

¹ خير الله ، سعيد ، وراقو بغداد في العصر العباسي ، مركز الملك فيصل ، لبحوث والدراسات الإسلامية - 1421هـ، ص 114، 116

¹ أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج2، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، 1310هـ ، ص 510.

وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عبه الحق وليتق الله ربه¹

و ففي عهد النبي ﷺ دعت الحاجة إلى ظهور طبقة من الكتاب يحررون رسائل النبي ﷺ إلى الأمصار ، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع القرآن لأول مرة ليصبح أول كتاب إسلامي ، و نلاحظ أن في بداية عهد الحبيب ﷺ لم يدون غير القرآن و يؤيد هذا القول رواية للإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عني متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)²، وقد منع النبي ﷺ كتابة غير القرآن خوفا منه من اختلاط الأمر على المدونين فيخلط كلام الله بغيره ، فكان تحريمه مرحليا فقط .

ففي العهد الأموي شاع بقوة حركة التأليف وساعد ذلك إتساع الدولة وتأثرها بحضارات الفرس والروم ، لذلك نجد خلفاء بني أمية سارعوا في تشجيع العلماء على التأليف خاصة في العلوم الشرعية والتاريخ وأخبار العرب ، ومن بين أهم الخلفاء الذين شجعوا على التأليف نجد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث أمر محمد بن حزم بمهمة جمع أحاديث النبي ﷺ ، إذ يقول (أنظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث فأكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله)³

ومع بداية منتصف القرن 2هـ / 8م إزدهرت صناعة التأليف وانتشرت الكتب في جميع المجالات وشاعت بين الناس، ومن بين الأسماء التي كان لها باع طويل في كثرة التأليف الإمام محمد الشافعي ، حيث نجد رواية لابن النديم إذ يقول (كتبت من محمد وقر جمل كتبا)⁴ ، وهذا تعبير عن كثرة التأليف لشخص واحد .

وقد شاعت حركة الترجمة عند العباسيين ، وأسست لذلك مراكز لجمع المؤلفات كبيت الحكمة ، حيث يقول في هذا ابن النديم (.....كان في خزانة بيت الحكمة لهارون

¹ سورة البقرة ، الآية 282

² أبو الحسن مسلم ، المصدر السابق ، ص 129

³ أيمن فؤاد السيد ، المرجع السابق ، ص 76

⁴ محمد ابن إسحاق ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، دت، ص 295

الرشيد ، وفي هذا الرجل نقل من الفارسي إلى العربي ومعوله في علمه على كتب
الفرس).¹

ونجد أن حركة التأليف قد بلغت أوجها بظهور أعظم مكتبتين بالتاريخ خزانة العزيز
الفاطمي بمصر ، وخزانة الحكم المستنصر بالأندلس.² ، إضافة إلى ذلك نجد الشغف الكبير
من طرف العامة على المطالعة ، وهذا من أسباب كثرة التأليف .

ثانيا المخطوطات في إقليم توات

1/ المخطوطات بمنطقة توات :

لقد كان لموقع توات المميز والمتوسط لأهم طريق تجاري عابر للصحراء من شمال
المغرب الإسلامي إلى بلاد السودان ، دور كبير في نشأة حركة التعليم ، وكما لاحظنا في
نشأة الزوايا فإن التجارة كان لها دور كبير في جلب كميات كبيرة من المخطوطات ، وهذا
إبتداء من القرن 4هـ / 10م إلى منتصف 7هـ / 13م .

بالإضافة إلى التجارة فإن الزاوية كان لها دور كبير في إزدهار المخطوط بالمنطقة
، فالزاوية هي مصدر الإهتمام فقد رعت حركة التأليف وفي هذا الصدد يقول المؤرخ سعد
الله وهو يتحدث عن دور الزوايا في تنشيط حركة التأليف في الصحراء الجزائرية عموما
ومنطقة توات خصوصا (.. الغالب أن الزوايا هي التي كانت ترعى المكتبات لإتصالها
بالدين والعلم ، وقد عرفت منذ القدم بأنها سوق رائجة للكتب ، وأن بعض عائلات الدينية
قد كونت مكتبات صغيرة وكانت صلة أهل توات بجامع القرويين وعلماء المغرب وعلماء
إفريقيا وتلمسان ، قد جعلتهم في مكانة يغبطون عليها ، إضافة إلى علماء توات الذين كانوا
يؤلفون الكتب ويستنسخونها من بعضهم ، أو من علماء آخرين)³

¹ محمد ابن إسحاق ابن النديم، المصدر السابق، ص 296

² عبد الستار الطلوجي ، المرجع السابق ، ص 74

³ أبو القاسم سعد الله ، ج5، المرجع السابق، ص 378

لهذا فإن منطقة توات من بين أهم المناطق في الجزائر، ونستطيع القول في الغرب الإسلامي، والتي حوت كما هائلا من المؤلفات في شتى المجالات، ويعزى هذا للتطور الثقافي للمنطقة ويؤكد هذا قول المؤرخ سعد الله في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي ويقول في ذلك (وهذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني ، وغنية بعلمائها ومؤلفيها وبزواياها ونُظُمها ، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها ، ولكن البحث في ذلك لايزال ضعيفا ولم يهتم بها إلا الأجانب رحالة ومستكشفين ، وحكاما ودارسين ، ومبشرين وجواسيس وتجارا¹ .

2/ مراحل صناعة المخطوط في المنطقة :

لقد مرت صناعة المخطوط في منطقة توات بثلاث مراحل أساسية وهي :

أ/ مرحلة إنتقال وقدم المخطوط :

إن منطقة توات والذي بينا أهميته سابقا ، جعلها منطقة آمنة جاذبة للعلماء وطلبة العلم في جميع المجالات ، لهذا فقد عرفت المنطقة توافد العلماء والصالحين الطالبين للأمن والراغبين في الخلوة والإنعزال ، مما أعطى دفعة نوعية للحياة الفكرية والثقافية بالمنطقة تماشيا مع إزدهار الحياة الإقتصادية والإجتماعية ، فإنتشرت الزوايا ونشطت حركة التأليف، وتفرغ الناس للعلم وذاع صيت توات فقصدها الطلبة من جميع البقاع وتعددت المراكز العلمية في المنطقة² .

ومن بين أهم العلماء الذين وفدوا على المنطقة وتركوا بصمتهم في حركة التأليف نجد على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي 909 هـ ، والشيخ القاضي عبد الله بن أبي بكر العصوني 914 هـ³ .

وكذلك شكلت هجرة الطلبة التواتيين إلى تلقي العلم في حواضر المغرب الإسلامي ، حيث شكل عدد العلماء المشهورين في مدن الغرب الإسلامي النصف تقريبا وخلف هؤلاء

¹ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج3، ص 221

² حاج قويدر العيد ، بيانات وقيود التوثيق في المخطوط العربي - مخطوطات خزائن توات نموذجا - رسالة دكتوراه في علم المكتبات والتوثيق ، قسم علم المكتبات والتوثيق ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2017 - 2018، ص 13

³ نفسه ، ص 14

مئات المخطوطات المحفوظة في خزائن ومكتبات موريتانيا ومالي والنيجر، إضافة إلى خزائن كل من المغرب تونس ليبيا ومصر.¹

وتمتاز المخطوطات في هاته المرحلة بهرمها وكثرة هوامشها، إستعمالها للحبر الأسود والأحمر والأخضر، كتابتها على الورق الصيني، تدوينها بخط الرقعة والنسخي والكوفي.²

ب/ مرحلة الجمع والنسخ :

إن مرحلة جلب المخطوطات من طرف العلماء والطلبة وغيرهم لم تتوقف بل إستمرت وتطورت إلى صناعة مخطوط محلي والذي كان يحضر من الوسائل التالية، قرن الغزال، الودح، فضلات الغزال، العسل..... الخ، فتحرق هذه الأشياء لتكون السمع المحلي الذي يشبه الصمغ الصيني من حيث اللون والأداء وقد إمتدت هاته المرحلة من 7هـ - 13م إلى 9هـ - 15م.³

ومن بين الرجال الذين إهتموا بالنسخ نذكر كل من سالم بن عبد العزيز البلبالي ومحمد عبد الرحمان بن محمد الجزولي، ومحمد بن عبد الرحمان بن محمد التنيلاني، وفي كثير من الأحيان تولى الشيوخ عملية النسخ بنفسهم، وكان لابد من توفر شروط عديدة للناسخ أهمها العلم بعلوم اللغة العربية، وجودة الخط ووضوحه إلى درجة التفنن فيه، والمهارة والسرعة في الكتابة.⁴

ولقد نشطت حركة النسخ والكتابة حتى ان المطلع على هذه المخطوطات يجد في الكثير منها تحرير الإنتهاء من النسخ في أوقات مختلفة، فتارة يقول فرغت منه سحرا،

¹ أحمد أبا الصالح جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2015، ص 23

² عبد الله زروقي، "خزائن المخطوطات في منطقة توات" أهميتها وأبعادها التاريخية، مجلة الحقيقة، العدد 9، رقم 2 جامعة أدرار، 2009، ص 104

³ عبد الله زروقي، المقال السابق، ص 104

⁴ عبد القادر باقادر، "واقع المخطوط في توات بين الماضي والحاضر"، مجلة الذاكرة، العدد 1، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الجزائري، 2012، ص 237

وتارة يقول منتصف الليل ، الشيء الذي يدل على أنهم كانوا يواصلون الكتابة ونسخ الكتب والمخطوطات ليل نهار ، وهذا رغم صعوبة الحصول على وسائل النسخ والكتابة¹.

ونتيجة لهذا النشاط فإن منطقة توات إستطاعت أن تكون من بين أهم المناطق التي تزخر بكنز قل مثيله من المخطوطات في شتى المجالات ، وأسسوا خزائن كثيرة في مدن عديدة في الإقليم وخارجة ، خاصة في إفريقية جنوب الصحراء كتمبكتو وغاوا وبلاد شنقيط... الخ .

ج/ مرحلة التأليف :

تبدأ هذه المرحلة في منتصف 9هـ - / 15م إلى 13هـ - 19م ، حيث إتسعت وظهرت المخطوطات في مختلف المناطق وخاصة المخطوطات المحلية ، والتي تمتاز بالشمولية لمختلف العلوم وخاصة في علوم القرآن وتفسيره ، وشرح خليل وعلوم جديدة محلية كعلم النوازل في توات ، والعلوم الأدبية والشعرية ، كما ظهرت مناظرات ومحاورات العلماء والتي هي مدونة إلى اليوم ، حيث أنها تبين قوة وذكاء المناظرين، ودرجة التحكم المعرفي التي كانوا فيها ، وكذلك تبين شيوع وكثرة التأليف².

3/ حالة المخطوطات في إقليم توات :

إن منطقة توات تحوي كما هائلا من المخطوطات ، لذا فإن هناك عدة آراء حول عددها وتواجدها ، ففي إحصاء لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار ، والتي أحصت حوالي 3000 مخطوط موزعة على 30خزانة تتواجد في مناطق توات الثلاث (توات ، قورارة ، تيديكلت) وقد تم هذا الإحصاء في أواخر التسعينات ، وقد قدرت عددها

¹ عبد الله رزوقي ، المقال السابق ، ص 104

² نفسه ، ص ، 104

قبل الضياع 27000 مخطوط¹، ويرد هذا الإنخفاض في عددها إلى عدة عوامل نذكر منها :

أ/ العامل الخارجي :

منذ أن وطأت قدم المحتل الفرنسي الجزائر سعى إلى محاربة أهم عامل قوة في الأمة الجزائرية ألا وهو العلم والذاكرة ،لهذا فقد تعرضت خزائن المنطقة إلى شتى أعمال التخريب الممنهج وإلى محاربة شديدة لتراثها المخطوط .

لهذا فقد تعرضت المخطوطات للنهب والسلب على يد الغزاة الفرنسيين منذ القرن 19م ، ولاسيما الترجمان الفرنسي - مارتن الجيبي - الذي رافق الحملة التي نزلت بالمنطقة سنة 1904م ، فقد عمل الرجل على جمع المخطوطات التي تحتفظ بها القصور والخزانات وإصطحابها معه إلى فرنسا².

ومن بين أهم الأعمال الشنيعة التي تعرضت لها مخطوطات المنطقة ماحدث في قصر زاوية كنتة من إحراق لعدد كبير من المخطوطات في ساحة القصر³، وكذلك ماحدث لمخطوطات خزانة بن عبد الكريم بالمطارفة حيث جمعت وخزنت في دهايز وضاع كثير منها نتيجة سوء الحفظ⁴.

ب/ العامل الطبيعي :

إن بساطة المنطقة وساكنيها أدى إلى ضياع المخطوطات وهذا لأن اغلبها بقي مدة طويلة دون حفظ وعناية تاتي الأرضة والرطوبة والجراثيم لتحولها بعد مدة إلى هشيم ،

¹ إدريس بن خويا ،فاطمة برماتي ،" خزانة الشيخ مولاي سليمان بن علي بأدرار" ، مجلة الذاكرة ، العدد 4 ، تصدر

عن جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 ، ص 47

² عبد الكريم عوفي ، المقال السابق، ص 128

³ نفسه ، ص 128

⁴ أسماء بوبكراوي ، "قراءة وصفية في خزائن المخطوطات بالمطارفة ولاية أدرار" ، العدد 5 ، مجلة الذاكرة ، تصدر

عن جامعة ورقلة ، 2015 ، ص 93

فأغلب المخطوطات التي أُلقت كانت محفوظة تحت أتربة والكثير منها مازال مدفونا ولا يعرف سببه إلا الذين دفنوه.¹

فالعوامل الطبيعية كانت معولا هدم تراث المنطقة وخاصة المخطوط منه وماتعرضت له مخطوطات اولف إحدى مدن إقليم توات إثر الطوفان الذي أصاب المنطقة عام 1965م خير شاهد على هذه الحال.²

ج/ العوامل البشرية :

إن العامل البشري من أهم العوامل فيما يتعلق بالحفظ او عدمه لأن مُلاك الخزائن يعتبرون المخطوطات من الموروثات كالسكن أو الأرض ، لهذا فهم يرون أي تدخل عليها تعد عليهم والملاحظ أن أغلبهم لا يعلمون ماتحويه من كنوز معرفية ، لذلك فإن معظم ملاكها يمتنعون عن فتح خزائنهم للباحثين والمتخصصين للنظر فيها ، وتحقيقها وفهرستها فلذلك فإن هذا الموقف السلبي قد شجع على زيادة تلفها وإندثار أغلبها ومن بين الأمور التي ساعدت على ضياعها إنتقال ملكية الخزانة من الفرد إلى الجماعة ، مما يشنت الملكية ويزيد في إندثارها بسبب النزاع بين الأفراد حولها ، ونلاحظ أيضا أن العديد من المخطوطات قد تعرضت للنهب والسرقة .

ثالثا الخزائن بمنطقة توات

1/ تعريف الخزانة :

الخزانة هي تلك المكتبة المخصصة لوضع المخطوط ، وهي في أغلب الأحيان تابعة لزوايا العلم والمعرفة والقرآن حيث أنها تمثل مكتبة الزاوية ، وهي مركز غير رسمي حيث تعود ملكية المخطوطات فيه إلى شيخ الزاوية أو على مالك الخزانة والذي يرثها عن اجداده ، حيث تتم قسمة المخطوطات مثل باقي الإرث من المال والسكن وغيرها

¹ قويدر بشار ، "مختار حساني ، فهرس مخطوطات ولاية أدرار" ، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور اقبل

التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 1999م ، ص 12

² عبد الكريم عوفي ، المرجع السابق ، ص 127

وغالبا يرث المخطوط الإبن الفقيه في العائلة¹، حيث أن لها قيمة كبيرة من حيث ما تحويه من فنون في جميع المجالات .

2/ خزائن المخطوطات في إقليم توات :

تعتبر منطقة توات من بين أهم المناطق في الصحراء وفي الجزائر ككل حيث تزخر بكم هائل من المخطوطات والخزائن في شتى المجالات ، وخاصة فيما يتعلق بمجال الدين ، وهذا راجع للاهتمام الكبير بها حيث توات الوسطى لوحدها 29 خزانة وهي كالتالي (الجدول رقم 15) :

المشرف الحالي عن الخزانة	تاريخ التأسيس	إسم المؤسس	الدائرة	البلدية	مكان التواجد	إسم الخزانة
ملياني عابدين	ق 10 هـ 16م	سيدي محمد بن أحمد بن زكرياء	رقان	رقان	قصر تمادانيين	خزانة أولاد الملياني
بن مالك بن عبد الكريم	ق 11 هـ 17م	بلبالي عبد الرحمان بن عبد العزيز	أدرار	بلدية أولاد أحمد تيمي	قصر ملوكة	خزانة ملوكة

¹ أحمد مولاي ، "خزائن المخطوطات بإقليم توات في الجنوب الجزائري" ، خزانتي كوسام وسيدي أحمد ديدي أنموذجا، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، تصدر عن جامعة وهران ، العدد 9 ، 2009 ، ص 203

خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ عبد الرحمان المغيلي	زاوية كننة	الشيخ عبد الرحمان المغيلي	ق 11هـ م 17	أحفاد الشيخ المغيلي
خزانة أنزجمير	قصر أنزجمير	زاوية كننة	مجهول	ق 12هـ م 18	عبد الرحمان بن عبد الكريم
خزانة الشيخ الرقاني	قصر زاوية الرقاني	رقان	مولاي عبد الله الرقاني	ق 12هـ م 18	السي محمد الرقاني
خزانة تنيلان	قصر تنيلان	أدرار	سيدي أحمد بن يوسف	ق 12هـ م 18	بن حسان أحمد
خزانة زافلو	قصر زافلو	زاوية كننة	مجهول	ق 14هـ م 20	محمد العالمي
خزانة الشيخ سيدي أحمد ديدي	قصر تمنطيط	تمنطيط	سيدي أحمد ديدي	14هـ م 20	سيدي محمد بن سيدي حمادي

خزانة زاوية كننة	قصر زاوية كننة	زاوية كننة	زاوية كننة	كنتاوي الحاج محمد	ق 13هـ م 19	سيدي محمد بن سيدي حمادي
خزانة مولاي سالم بن مولاي إسماعيل	قصر زاوية كننة	زاوية كننة	زاوية كننة	مولاي سالم الكنتي	ق 14هـ م 20	مولاي ناجم
خزانة مولاي إسماعيل بن مولاي المهدي	قصر زاوية كننة	زاوية كننة	زاوية كننة	مولاي إسماعيل الكنتي	ق 14هـ م 20	سيدي محمد
خزانة كوسام	قصر كوسام	أولاً أحمد تيمي	أدرار	محمد بالعالم	ق 14هـ م 20	شاري الطيب
خزانة تيلولين	قصر تيلولين	أنزجمير	زاوية كننة	الحاج بن سيدي جعفري	ق 14هـ م 20	الحاج عبد الرحمان جعفري
خزانة سالي	قصر سالي	سالي	رقان	مولاي أحمد الطاهري	ق 14هـ م 20	مولاي عبد الله الطاهري

خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	أدرار	أدرار	بن الوليد	ق 14هـ	بن الوليد
خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي أدرار	أدرار	أدرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق 14هـ 20م	محمد السالم بن عبد الكريم
خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	أولاد أحمد تيمي	أدرار	مجهول	ق 14هـ 20م	مولاي قريشي
خزانة باحو	قصر باحو	سالي	رقان	مجهول	ق 14هـ 20م	بلحبيب عبد الرحمان
خزانة بني ثامر	قصر بني ثامر	أولاد احمد تيمي	أدرار	مجهول	ق 14هـ 20م	ميدوبي أحمد
خزانة الشرفاء	قصر زاوية كننة	زاوية كننة	زاوية كننة	الشرفاء	مجهول	عائلة إسماعيلي
خزانة زاوية سيدي البكري	قصر واوية سيدي البكري	تمنطيط	فنوغيل	مجهول	مجهول	بكر اوي محمد بن سالم

خزانة البلاليين	قصر أولاد أنفال	أدرار	أدرار	مجهول	مجهول	بلبالي الطاهر
خزانة أدغا	قصر أدغا	أدرار	أدرار	مجهول	مجهول	سلماني علي
خزانة علي بن موسى	قصر تمنطيط	تمنطيط	فنو غيل	مجهول	مجهول	محبوبي بن العزيز
خزانة أولاد سيدي واعلي	قصر تمنطيط	تمنطيط	فنو غيل	مجهول	مجهول	بكر اوي الحاج أحمد
خزانة تمنطيط	قصر تمنطيط	تمنطيط	فنو غيل	مجهول	مجهول	صديقي بومدين
خزانة عباني	قصر عباني	فنو غيل	فنو غيل	مجهول	مجهول	سالم سالم
خزانة تيلولين	قصر تيلولين	انز جمير	زاوية كنتة	محمد بن سيدي جعفر	مجهول	عبد العزيز جعفري
خزانة زاوية سيدي محمد بلكبير	ادرار	ادرار	ادرار	سيدي محمد بلكبير	ق14هـ	أبناء الشيخ بلكبير

جدول رقم 15 خزائن منطقة توات ومواقعها ومؤسسيها

- من إعداد الطالب -

3/ نموذج من خزائن المخطوطات في منطقة توات (الخزانة البكرية* فرع سيدي أحمد

ديدي - بتمنيط ** - :

كما رأينا سابقا فإن منطقة توات تزخر بعدد كبير من الخزائن التي تحوي كنزا من المخطوطات في جميع العلوم ، وخاصة الدينية منها ومن بين أهم الخزائن التي بالإضافة إلى كونها زاوية عريقة لتخريج العلماء فهي تحوي عددا كبيرا من المخطوطات ، وقد وقع اختيارنا عليها لكونها خزانة ثرية بموروثها ، وتحتاج للاهتمام بها للحفاظ على ما تبقى من تراث مخطوط بها .

* تنسب الخزانة البكرية إلى مؤسس الزاوية البكرية سيدي البكري بن عبد الكريم الذي ولد سنة 1142هـ - 1729م ، وهو ابن الشيخ عبد الكريم بن إجمد بن أحمد التواتي بن ميمون بن عمر الباز بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن الحسن الأمريني ابن أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن إدريس - مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (172هـ - 788م) - بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنظر: مخطوط لمؤلف مجهول، نسب العائلة البكرية ، مخطوط بخزانة سيدي البكري بالزاوية البكرية تيممي ، أدرار ، ص 01. وللعائلة البكرية باع طويل في العلم والدين في منطقة توات وقد مدحهم الكثير من العلماء وأشادوا بدورهم الكبير في نشر العلم والمعرفة إذ يقول عليهم صاحب مخطوط نسيم النفحات مولاي أحمد الطاهري الإدريسي «... وبجانب القصور المتقدمة قصر تيممي - تمنيط - وهو من أعظم قصور توات بل من أقدمها صار مركز إشعاع للعلم والمعرفة وإقتباس الهدى والفصل بين الناس بالحق والعدل عندما إستقر به الولي الصالح والقطب الفاتح سيدي محمد البكري نفعا الله ببركاته وبعلمه ، أمين وأولاد هذا الولي الصالح فيهم العلم قديما ، ومشهورون بالصلاح والتواضع والكرم والخير الكثير ومحبة اهل البيت النبوي....» ، أنظر ، مولاي أحمد الطاهري ، المخطوط السابق ، ص 104

** تمنيط : هي قصر عريق في منطقة توات ، ويعتبر حاليا مدينة كبيرة وهي مقر بلدية تقع جنوب غرب مقر الولاية أدرار وتتبع إداريا لدائرة فنوغيل ، وتبعد عن مقر الولاية ب 12 كلم ، يحدها شمالا بلدية أدرار وبلدية السبع ، ومن الجنوب بلدية فنوغيل ومن الشرق بلدية أوقروت ومن الغرب بلدية بودة ، وعن موقعها يتكلم صاحب الرحلة العلية محمد بلعالم ويقول في ذلك "تقع تمنيط في الجهة الشرقية لمدينة أدرار على بعد 12 كلم تحاذي السبخة المترامية الأطراف وإلى الجنوب الغربي منها بحوالي 35 كلم يوجد واد مسعود ، وقد شيد القصر على إنحدار صخري يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وفي آخره تتواجد واحات النخيل " أنظر: محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ج1، ص 12، وكلمة تمنيط على حسب صاحب القول البسيط كلمة أمازيغية وهي مركبة من قسمين "إتما" ومعناها النهاية و"تط" ومعناها العين فتركب الإسمان وحذف الألف في آخر " اتما" فكان الإسم على ذلك التركيب الخفيف " اتمنيط" بإشباع ياء فصارت تمنيط أنظر: الطيب بن عبد الرحيم ، البسيط في أخبار تمنيط ، مخطوط في خزنة كوسام للشيخ شاري الطيب ، كوسام ، أدرار ، ص 02 وتتميز بموقعها الهام وكذلك بدورها التاريخي والحضاري في منطقة توات حيث كانت حاضرة ومركزا تجاريا وثقافيا ودينيا هاما في توات ، وفي ذلك يقول الشيخ الطيب بن عبد الرحيم " إنها قاعدة إجتماع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة وانتصبت بها الصناعات والتجارات والبضائع وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات ... " ويضيف قائلا عن عمارتها " وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل متلاصقة العمران في خط جرم فرسخ أو قريب منه وحولها أصول وبساتين ماؤها فقائير جارية .. " أنظر: الطيب بن عبد الرحيم ، المخطوط السابق ، ص 04 .

1/ موقع الخزانة البكرية وتاريخ تأسيسها :

1/ موقعها:

تقع الخزانة البكرية - فرع سيدي أحمد ديدي - بقصبة أولاد سيدي وعلي حيث تتواجد بالجهة الشرقية لمدينة تمنطيط القديمة ، حيث تبعد على مركز المدينة 1 كلم وتقع فيما يسمى قصبة سيدي البكري ، ويحدها شرقا قصبة أولاد العربي ومقبرة تمنطيط التي يتواجد بها ضريح أحد العلماء المشهورين والمعروف بـ " سيدي ناجم " ، وغربا يحدها حي تاوريرت وقصبة أولاد سيدي إجمد ، ومن الشمال مساحة واسعة من بساتين النخيل والتي منها ما هو ملك للزاوية كوقف أو كوراثية ، وتحدها جنوبا قصبة أولاد علي بن موسى وقصبة أولاد الحاج مامون ، ونجد الخزانة داخل الأزقة الضيقة متوسطة قصبة سيدي البكري .

2/ تأسيسها :

تعتبر الخزانة البكرية من أقدم وأغنى الخزائن في منطقة توات ، وقد تأسست على يد الشيخ ميمون بن عمر سنة 809 هـ ، وقد شهدت تطورا كبيرا في عهد الشيخ عبد الكريم بن محمد قاضي القضاة ، وفي عهد أبنة الشيخ البكري أخذت اسمه الخزانة وكذلك الزاوية فأصبحت تدعى بالزاوية والخزانة البكرية ، وقد اهتم الشيخ البكري باقتناء الكتب وتجاوز عددها في عهده 3600 مخطوط في شتى المجالات ، وبقيت لمدة تجاوزت 3 قرون ونصف مجموعة واحدة يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ممن يشهد له بالعلم والنجابة ، وفي سنة 1244 هـ / 1829 م تم تقسيم مقتنيات المكتبة بين فروع العائلة وهي كالتالي :

خزانة الشيخ الحاج محمد العالم زاوية سيدي البكري بلدية تيمي ، خزانة الشيخ محمد القاضي بتمنطيط، خزانة محمد العالم بتمنطيط ، خزانة سيدي أحمد ديدي بتمنطيط ومن الشيوخ الذين تعاقبوا على الخزانة البكرية قبل تقسيمها¹ (الجدول رقم 17)

¹ عبد الحميد بكري ، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ج1، وهران ، الجزائر ، 2008 ، ص 179

اسم الشيخ	ميلاده	وفاته
الشيخ ميمون بن عمر	أسس الخزانة سنة 809هـ / 1409م	890هـ / 1485م
الشيخ عبد الكريم بن إجمد	994هـ / 1586م	1042هـ / 1633م
الشيخ البكري بن عبد الكريم	1042هـ / 1633م	1133هـ / 1721م
الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم	1150هـ / 1738م	1210هـ / 1796م
الشيخ عبد الكريم الحاجب بن الشيخ محمد الصالح	1195هـ / 1779م	1298هـ / 1881م
الشيخ عبد الكريم البكري	1228هـ / 1816م	1261هـ / 1845م
الشيخ محمد بن الشيخ سعيد العالم	1229هـ / 1814م	1291هـ / 1881م

جدول رقم 17 شيوخ الخزانة البكرية قبل تقسيمها

- من إعداد الطالب -

فخزانة أحمد ديدي* هي فرع من فروع الخزانة البكرية، وهي الأهم بين فروعها من حيث

* الشيخ أحمد ديدي ولد سنة 1299هـ / 1879م في قصر تمنطيط تعلم على سد أخيه الشيخ البكري بن الشيخ محمد العالم فحفظ القرآن وتعلم الفقه ، ثم أخذه أخوه إلى قصر كوسام وتعلم هناك على يد الشيخ عبد الله البلبالي فدرس هناك أهم الطرق الصوفية ومناهجها، فدرس الحكم العطائية بالإضافة إلى العلوم الأخرى وبقي لمدة 5 سنين في قصر كوسام إلى أن نال الإجازة من شيخه ، وبعدها رجع إلى تمنطيط وأسس بها مدرسته والتي تعتبر أول مدرسة داخلية بتوات في سنة 1341هـ / 1923م وقد درس في مدرسته القرآن والمتون المعروفة كمتن ابن عاشر والأجرومية ، وقد تخرج على يده العديد من العلماء المعروفين في المنطقة ومن من بينهم الشيخ الحاج أحمد نومناس والحاج عبد الكريم التتلاوي والشيخ محمد بلكبير والشيخ سيدي الحاج باي العالم وغيرهم من كبار العلماء انظر عبد الحميد بكري ، النبة في تاريخ توات وأعلامها، دار الطباعة العصرية، برج الكيفان ، الجزائر، 2010، ص 179.

احتوائها على عدد كبير من المخطوطات ، ومنذ تأسيس هذا الفرع تعاقب عليها 3 شيوخ وهم كالتالي (الجدول رقم 18) .

الشيخ	ميلاده	وفاته
الشيخ أحمد ديدي	1299هـ / 1879م	1370هـ / 1951م
الشيخ الحاج عبد القادر بن الشيخ أحمد ديدي	1336هـ / 1918م	1420هـ / 2000م
الشيخ الحاج أحمد البكري بن الشيخ الحاج عبد القادر	1372م / 1953م	مشرف حاليا عن الخزانة

جدول رقم 18 الشيوخ الذين تداولوا على الخزانة البكرية فرع الشيخ أحمد ديدي

- من إعداد الطالب -

ب/ المشرف الحالي على الخزانة :

المشرف الحالي عن خزانة الشيخ أحمد ديدي هو الشيخ الحاج أحمد البكري بن الشيخ الحاج عبد القادر ، وهو بالإضافة على إشرافه عن الخزانة فهو يشرف كذلك على مدرسة أحمد ديدي والتي تتميز بكونها مدرسة ذات صيت وفضل كبير في نشر العلم الشرعي في المنطقة ، بالإضافة إلى استقباله الضيوف والوفود التي تحل يوميا بالزاوية ، وللشيخ معاونين ينوبون وخاصة فيما تعلق بإدخال طلبه العلم للخزانة أو تقديم واجب الضيافة للوفود .

ج/ وصف الخزانة:

على غرار غالبية الخزائن في منطقة توات فإن خزانة الشيخ أحمد ديدي لم تلقى الاهتمام الكافي من السلطات المعنية ، على الرغم بما تحويه هاته الخزانة من كنز ثقافي ومعرفي ، والخزانة عبارة عن مبنى أسس حديثا وهو جزء زاوية الشيخ أحمد ديدي والتي

أعيد بناؤها تقريبا ، ويتكون المبنى من 04 قاعات مخصصة لحفظ وعرض المخطوطات ، بالإضافة لقاعة تستعمل لاستقبال التلاميذ والباحثين ، وهذا على الرغم بأن المخطوطات المعروضة تمثل القلة القليلة بما تملكه الخزانة ، حيث أنه من الصعب الإطلاع على هاته المخطوطات ، إذ أن القائمين عليها لديهم خوف كبير من سرقتها أو إتلافها ، لهذا يبقى هذا الكنز طريح الصناديق والمخازن في انتظار إخراجها للباحثين والمهتمين بالمخطوط .

فالخزانة على مجموعة ضخمة من المخطوطات في شتى المجالات منها :
المصاحف الشريفة ، الحديث وعلوم الفقه ، علوم اللغة والنحو ، علوم التفسير علم أصول الفقه ، نوازل وفتاوى عامة ، علم القضاء وأحكامه ، التاريخ ومذاهب وقصائد دينية .

وقد وضع عدد من المخطوطات في خزائن خشبية وهذا لتكون متاحة لمن يريد البحث في الخزانة (الصورة رقم 37)، والملاحظ لطريقة الحفظ يجد أنه بالرغم من اهتمام القائمين على الخزانة بها إلا أنها تحتاج لوسائل علمية حديثة للحفاظ عليها من التلف فهي تعاني تقلبات المناخ وهذه حال كل الخزائن في توات فهي الآن بأمس الحاجة إلى تدخل استعجالي من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا التراث الفريد من نوعه .



صورة رقم 37 خزانة خشبية تحتوي على بعض المخطوطات

د/ نماذج من مخطوطات الخزانة :

كما قلنا سابقا فإن الخزانة البكرية - فرع أحمد ديدي - تتميز بكونها خزانة ثرية بتراتها المخطوط ، وهذا لاهتمام الشيوخ الذين تعاقبوا عليها باقتناء الكتب لاستعمالها في التدريس أو للمطالعة ، وقد أدت هاته الرغبة في جمع النسخ المخطوطة إلى تكوين مكتبة غنية بكتب عديدة، سواء كانت مخطوطة محليا أو جلبت إليها من أماكن بعيدة وقد وقفنا على بعض النماذج التي حوتها الخزانة وهي :

1/ النموذج الأول (اللوحة رقم 31 الصور رقم أ،ب، ج)

العنوان : شرح لمقدمة العمروسي على مختصر خليل

الناسخ : عبد الغفور الفارسي

الموضوع : الفقه

مكان النسخ : بلدة البصرة

تاريخ النسخ : 12 جمادى الأول 1256هـ

بداية المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين يقول العبد الفقير نهاية المخطوط :
تمت بالخير والعافية

عدد الأوراق : 140

عدد الأسطر : 19 إلى 21

مقاس الورق 22سم طول 17سم عرض

مقاس الجزء المكتوب : 17 سم طول 13 عرض

نوع الغلاف : جلدي أحمر مع وجود اللسان

نوع الخط : خط النسخ

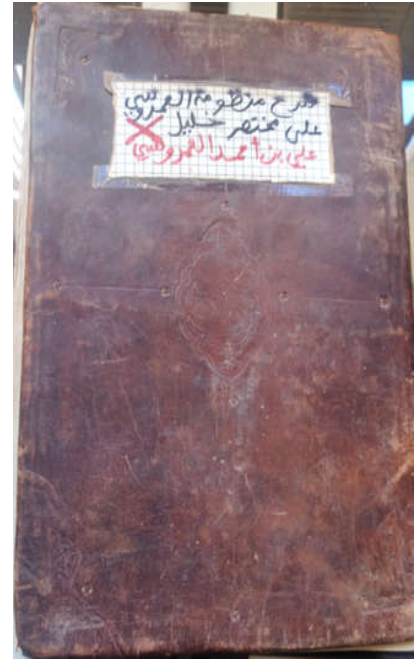
نوع الورق : خشن أبيض اللون

لون الحبر : احمر واسود

حالة المخطوط : جيدة إلى حد ما



صورة ب بداية المخطوط



صورة أ الغلاف الخارجي للمخطوط



صورة ج نهاية المخطوط

لوحة رقم 31 مخطوط شرح لمقدمة العمروسي على مختصر خليل لعبد الغفور الفارسي

2/ النموذج الثاني : (اللوحة رقم 32 الصور رقم أ، ب، ج)

العنوان : الجامع الصغير من حديث البشير النذير

الناسخ : محمد بن عبد الواحد بن شعبان التمنيطي

الموضوع : علم الحديث

مكان النسخ : قصر نومناس

تاريخ النسخ : 1281هـ

بداية المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

نهاية المخطوط : صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

عدد الأوراق : 150

عدد الأسطر : 19 إلى 20

مقاس الورق 24سم طول 19سم عرض

مقاس الجزء المكتوب : 18 سم الى 19 طول 13 عرض

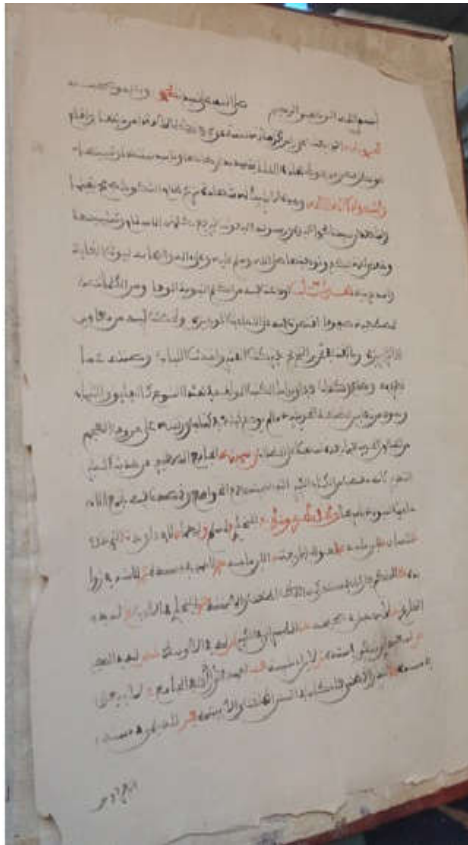
نوع الغلاف : جلدي أحمر مزخرف في الأطراف بأشكال هندسية مع وجود اللسان

نوع الخط : خط مغربي

نوع الورق : خشن أبيض اللون متآكل الأطراف قليلا

لون الحبر : احمر واسود

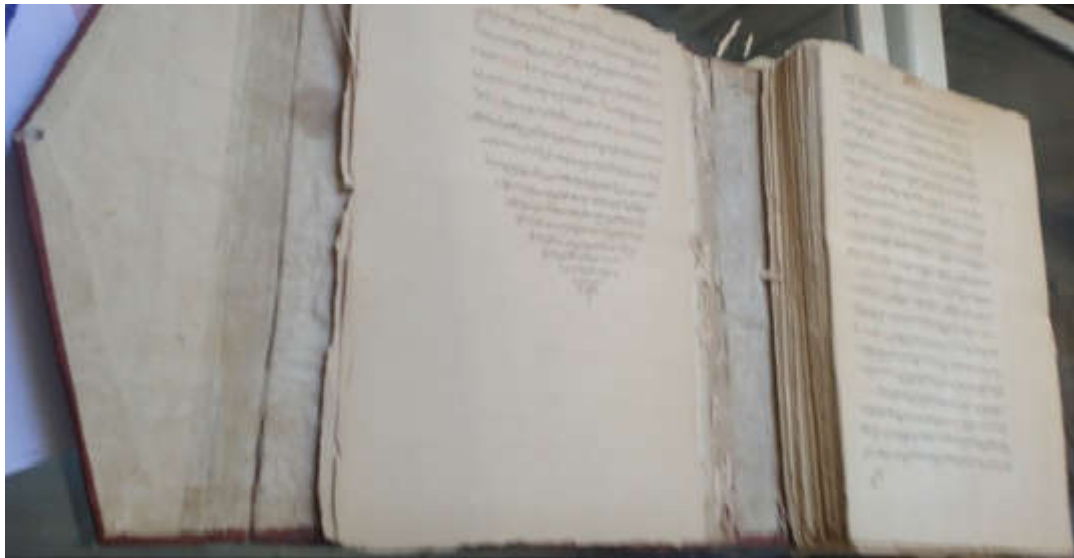
حالة المخطوط : متوسطة



صورة ب بداية المخطوط



صورة أ الغلاف الخارجي للمخطوط



صورة ج نهاية المخطوط

لوحة رقم 32 مخطوط الجامع الصغير من حديث البشير النذير محمد بن عبد الواحد بن
شعبان التمنيطي

3/ النموذج الثالث : (لوحة رقم 33 صورة رقم 116، 117، 118)

العنوان : كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة

الناسخ : محمد بن عبد القادر الكيلاني الحسني

الموضوع : الجهاد

مكان النسخ : /

تاريخ النسخ : /

بداية المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

نهاية المخطوط : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عدد الأوراق : 115

عدد الأسطر : 14 إلى 19

مقاس الورق 21سم طول 16سم عرض

مقاس الجزء المكتوب : 18.5 سم طول 13.7 عرض

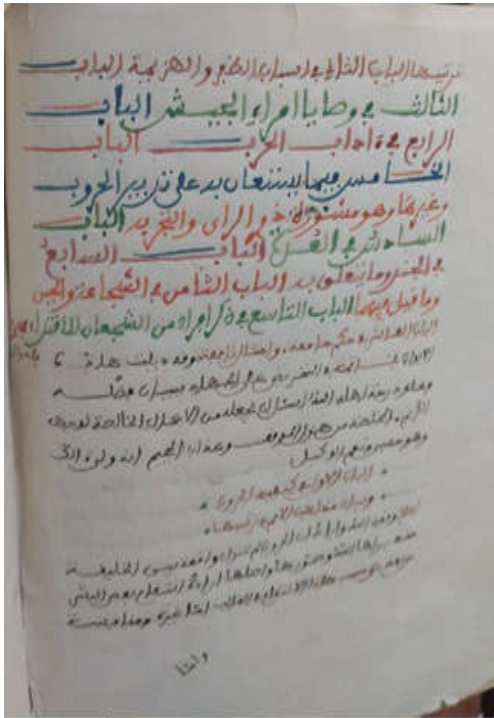
نوع الغلاف : جلدي أحمر مع عدم وجود اللسان

نوع الخط : خط مغربي

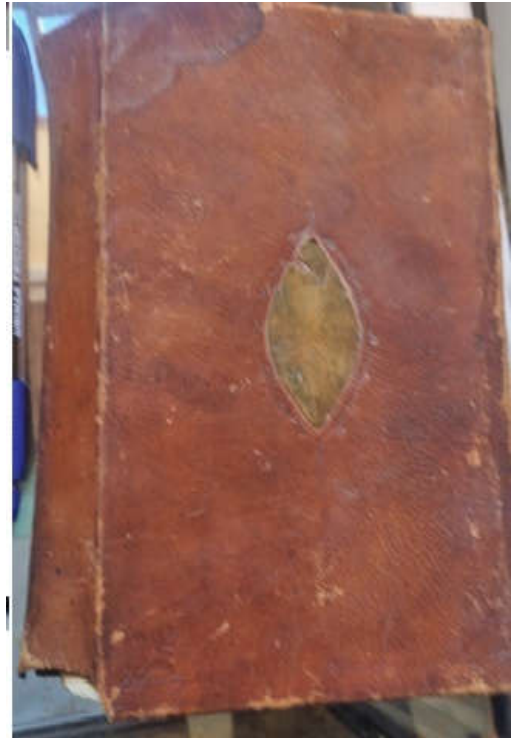
نوع الورق : خشن أبيض اللون

لون الحبر : احمر أخضر برتقالي بني

حالة المخطوط : جيدة



صورة ب بداية المخطوط



صورة أ الغلاف الخارجي للمخطوط



صورة ج نهاية المخطوط

لوحة رقم 33 مخطوط كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة محمد بن عبد

القادر الكيلاني الحسني

خلاصة الفصل :

إن صناعة الكتاب عند المسلمين كان لها شأن كبير فاستطاع المسلمون أن يطوروها وعرفوا بذلك مواد كثيرة للكتابة ، وأخرى للكتابة عليها بالإضافة إلى وجود علوم كثيرة تستحق تدوينها ، ومنطقة توات كما عرفنا سابقا كانت مكانا مناسباً لجلب له العلماء والفقهاء والذين ألفوا عددا كبيرا من الكتب خاصة في الجانب الديني ، كما أن وجود الإقليم في أهم طريق تجاري رابط بين شمال المغرب وبلاد السودان ساهم في وصول عدد كبير من المخطوطات ، وقد ساهمت كذلك الزوايا في جمع الكتب باقتنائها من مختلف البلدان ، وبذلك نشأت العشرات من الخزائن والتي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات والتي تنوعت بين المنسوخ محليا وما هو مجلوب من خارج الإقليم ، وتحتاج هاته المخطوطات إلى جردها والحفاظ عليها وكذلك لدراسة ما تحويه من معلومات تفيد الباحثين في مختلف المجالات .

فالخزائن المنطقة بمخطوطاتها النفيسة والتي تتميز بتنوعها و ثرائها ، تعاني وطأة الإهمال رغم ما يقوم به أصحابها من الحفاظ عليها ، إلا أن الوسائل المنتهجة في حفظها تعتبر بدائية ، فالعوامل التي تتمثل في الظروف المناخية الصعبة ، والبشرية والمتمثلة في عدم وجود متخصصين لترميمها وحفظها ، وكذلك غياب الوسائل التي تحافظ عليها ، فكلها ظروف إن لم تعالج سيندرثر هذا التراث ، وتبقى مهمة الحفاظ عليه مسؤولية الجميع للحفاظ على ما تبقى منه .

الفصل الثاني

الحرف والصناعات

تعتبر الحرف والصناعات عصب الحياة الاقتصادية لأي مجتمع ، كما أنها اللغة التي تعبر بها أي أمة عن نضجها الثقافي والحضاري ، فإن كانت العمارة هي فن يساهم فيه المجتمع كل بما يملك من خبرة فإن الحرفة ممارسة فردية يُظهر فيها الإنسان عبقريته وميوله ورغباته ، فالحرف قد عرفت منذ أن خلق الله الإنسان وتنوعت بتنوع الحضارات المتعاقبة .

وقد عرفت منطقة توات عدة حرف وصناعات وتنوعت بتنوع وتوفر المواد المستخدمة في الصناعة ، ومن بين الحرف والصناعات التي أتقنها التواتيون صناعة النسيج بأنواعه ، والصناعة الخشبية ، والصناعات المعدنية والحجرية ، وكلها صناعات برع فيها الفنان التواتي وظهرت شخصيته فيها رغم ندرة بعض المواد الأولية .

1/ تعريف الحرفة والصناعة:

أ/ الحرفة:

1/ لغة:

يعرف ابن منظور الحرفة بأنها (الصناعة) ، وحرفة الرجل صنيعته أو صنعته وحرف لأهله ، ويقول عنها كذلك بأنها الاحتراف أو الاكتساب¹. ونجد كذلك تعريفا للحرفة عند الجوهري في كتابه الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية فيقول في تعريفه لها (الحرفة الصناعة والمحترف الصانع)².

بينما عند العلامة بن خلدون يعرف الحرفة في قوله (الصناعة هي المهارة في كل شيء فصناعة التوليد تعني المهارة والفن ، فهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه ، من الرفق في إخراجها من رحمها وتهيئة أسباب ذلك)³.

¹ محمد ابن منظور ، المصدر السابق، ص 839

² إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار العلم

للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1990، ص 1343

³ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 404

فالحرفة بذلك هي الصناعة وجهة الكسب وحريف الرجل هو عمله في حرفته، فالمحترف هو الذي نما ماله وصلاحه، والاحتراف والحرفة من أسماء الأضداد.¹

2/ اصطلاحاً:

والحرفة في الاصطلاح يقصد بها كل عمل يقوم به الإنسان، فهي الصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب فكل ما اشتغل به يسمى عند العرب صنعة أو حرفة لأنه يقوم بها، يقولون صنعة فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال (إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة فإن قالوا لا يسقط من عيني)².

ب/ الصناعة:

1/ لغة:

الصناعة في اللغة هي حرفة الصانع وعملة الصنعة، ورجل صنيع اليدين وصنع اليدين أي حاذق بعمل اليدين وامرأة صناع اليدين أي حاذقة بعمل اليدين، وامرأتان صناعتان ونسوة صنع والصناع جمع صانع، وهم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم.³

2/ اصطلاحاً:

والصناعة بالمعنى الاصطلاحي عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يتغير في ذات المصنوع مثل الحدادة والصياغة وفي هذه وفي أمثالها يسمى

¹ محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، 1413 هـ / 1993 م، ص 165

² جهاد غالب، مصطفى الزغل، الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة إستكمالية لمتطلبات رسالة الماجستير، في التاريخ، الجامعة الأردنية، كانون الثاني، السنة الجامعية 1993/1994، ص 13

³ أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، المخصص، السفر 12، د-ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د-ت، ص 257

المصنوع بغير مادته.¹ وعماد الصانع على يديه يستعملهما في صنع الأشياء، ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية.²

ويمكننا القول أن الحرفة أعم من الصناعة وهذا لقول القاموس من خلال التعريف الوظيفي للحرفة فهي الطعمة، فتكون بذلك الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان فيه ويتصرف للكسب حتى تشمل التجارة والزراعة والدلالة والطبابة، وتحطيب الحطب بالأجرة، ودلالة الدليل في الطرقات، وكيالة الحبوب، وكناسة الأسواق والطرق وكل هذه الأمور نستطيع أن نقول عليها حرف لا صنائع.

2/ الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية :

عرف العرب في الجزيرة العربية العديد من الحرف مثل النجارة والحدادة، والحياسة والصباغة والدباغة ونحوها من الحرف، والتي كان يمارسها أهل الحضر في الغالب ودفعت الحاجة إلى ظهورها، أما الأعراب فقد كانوا يأنفون بالاشتغال بها وينظرون إلى المنشغلين بالحرف نظرة احتقار وازدراء لأن الحرف في عرفهم وضيفة، جعلت للعبيد والرقيق ولا تليق بالحر، كما كان العرب يكرهون التزاوج مع أهل الحرف.³

لقد حث الإسلام على اتخاذ الحرفة فهذا قد وردت آيات كثيرة تتحدث عنها وعن العمل بصفة عامة ومنها قوله عز من قائل ((إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى))⁴ وقوله عز وجل ((وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم))⁵، وفي

¹ طاهر خير الله الشوبري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة، 1994، ص 57، ص 58

² واضح عبد الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1402 هـ / 1981 م، ص 15

³ جمال سليمان علي عامر، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم من قسم شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم من قسم شبه الجزيرة العربية، جامعة الزقايق، مصر، دت، ص 28

⁴ سورة آل عمران، الآية 195

⁵ سورة الأنبياء، الآية 80

موضع آخر في القرآن الكريم نجد أمر الله لنبيه نوح عليه السلام ((فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا))¹.

وفي الحديث الشريف نجد إشارات عن فضل الحرف والمهن فقد روي عن الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال ((إن الله يحب العبد يمتهن المهنة ليستغني بها عن الناس))² ، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام ((إن الله يحب المؤمن المحترف))³، ويقول كذلك الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام في تبيلن أهمية الحرفة في حياة المسلم ((والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه))⁴.

ولهذه الأهمية الكبيرة التي أعطاها الإسلام للحرف والصنائع نجده أصبح ضرورة لا بد منها في الحضارة الإسلامية ، فقد ألحظ الإسلام على ممارستها ، فالمهنة شرف للمؤمن ومدعاة لفخره ، وتختلف المهنة على العمل كونها تختص بتحويل الأشياء الموجودة في الطبيعة إلى أشياء ثانوية أكثر فائدة للإنسان والمجتمع .

وقد قسم العلامة عبد الرحمان بن خلدون الحرف والصنائع إلى نوعين ، الضرورية في العمران والشريفة بالموضوع ، أما الأولى كالزراعة والبناء والخياطة والتجارة والحياسة والثانية كالكتابة والوراقة والغناء والطب ، وما سوى ذلك من المهن والحرف فيه تابعة ومتممة⁵.

ونجد تقسيما آخر للصنائع عند المسلمين في كتاب رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا حيث يقسمون فيه الحرف والصنائع حسب موضوع الصناعة إلى⁶ :

¹ سورة المؤمنون ، الآية 27

² مالك بن أنس ، الموطأ ، ج2 ، صححه ورقعه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، عبد الباقي محمد فؤاد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1985 ، ص 998 ، ص 999

³ نفسه ، ص 999

⁴ أبو محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج2 ، بقلم بدوي طبانة ، مكتبة ومطبعة كرياضة ، د ، ت ، ص 63

⁵ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 402

⁶ مجموعة مؤلفين ، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، مج1 ، القسم الرياضي ، مركز النشر ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، 1405 هـ ، ص 280

أ/ الصنائع الروحانية والتي تتمثل أساسا في الصناعة العلمية كالتدريس والكتابة والخط

ب/ الصنائع الجسمانية : وهي تتمثل في الحرف اليدوية وتنقسم إلى نوعين البسيطة والمركبة

1/ البسيطة كالماء والذي يشمل صنائع (الملاحين ، والنقابين ، والروائين ، والسباحين) والتراب (مثل حفر الآبار ، الأنهار ، والقني وحفر القبور وحفر المعادن وكل من يشغل بالتراب والحجارة) ، والنار وتشمل صناعة (النفاطين والوقادين) ، والهواء ويشمل (الزمارين والبواقين والنفاخين أجمع) ، والماء والتراب معا مثل (كصناعة الفخارين والغضارين والقناريين وضرابي اللبن وكل ما يستعمل فيه التراب والماء معا)

2/ الصنائع المركبة وتشمل : الأجسام المعدنية مثل (صناعة الحدادين والصفارين والرصاصين والزجاجيين والصواغين ومن كان على شاكلتهم) ، والنبات وتشمل فيه الأشجار والقضبان والأوراق (كصناعة النجارين والخواصين والبوارين والحصويين والأقفاصيين ومن شاكلهم ومنها ماتماول لحاء النبات) كالكتانيين ومن يعمل القنب والكاغد وماشاكلهم) أو تناول ورق الأشجار والحشائش وزهر النبات ونورها وعروقها وقشورها أو تناول حب النبات (كصناعة الدقاقين والرزازين والنوائيين والعصارين والبزارين وكل ما يخرج من ثمر الشجر وحب النبات) ، والحيوان ويشمل (القصابين والشوائين والطباخين والدباغين والأساكفة ، والخرازين) ونضيف كل ما يتعلق بالإنتاج الحيواني كمقادير الجسم (الوزانين والكيالين ، والذراعين وما شاكلهم)¹.

ومن الصنائع المركبة أيضا ما يتناول أجسام الناس كصناعة الطب والمربين وما شاكلهم².

هذا فيما يخص تقسيم الحرف والصنائع على حسب أنواعها ، ونلاحظ هذا النص يقدم لنا أنواعا عدة للحرف التي كانت سائدة في وسط المجتمع الإسلامي، ونجد تقسيما آخر للحرف

¹ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ص 281

² نفسه ، ص 281

والصنائع في إخوان الصفا لكن هذه المرة نجدها مقسمة على حسب أهميتها ودورها في المجتمع وتقسيمها كالآتي :¹

1/ صناعة ضرورية كالزراعة والحياسة والبناء

2/ صناعة متممة - أي متممة للصناعة الضرورية - فمثلا صناعة الحياكة ضرورية للإنسان إلا أنها لا تتم إلا بإضافة الغزل ، وصناعة الغزل لا تتم إلا بإضافة الحلج ، فصارت بذلك صناعة الغزل والحلج تابعة ومتممة لصناعة الحياكة ، وأيضاً بذلك أصبحت الخياطة والخرازة تابعة لصناعة الحياكة

3/ صناعة الجمال كصناعة الديباج والحريز وصناعة العطر وما شاكلها

ويرى ابن خلدون كذلك أن ممارسة الحرف كانت في العادة تتم بتدرج الصانع أو الحرفي في حرفته وتنسب إليه ، كأن يقال فلان صواف أو نساج أو مجوهراتي ، وتقسم درجة الخبرة في ممارستها ابتداءً من المبتدئ فالصبي الصغير ، ثم إلى العامل فصانع متدرب ، ثم إلى أن يصبح معلماً ، وهو الذي يصبح متقناً لتلك المهنة اتقاناً تاماً ، وفي الغالب كانت تورث تلك المهنة من الآباء والأجداد إلى الأبناء ، فتصبح بذلك مهنة يتوارثها الأولاد وتبقى ملازمة لتلك العائلة ، وهذا رغبة من أصحاب المهن في توريثها اعتزازاً منهم بها ورغبة في مزاولة أبنائهم لها².

أما بالنسبة لتقسيم العمل الحرفي ، فقد كان لكل حرفة رئيس أو شيخ لقب (بالأمين) أو (العريف) ، ومن ثم يندرج بعده أستاذ الحرفة ومنزلته أدنى من منزلة العريف ، ثم يأتي بعده الصناع والصبيان والأجراء ضمن إطار الحرفة الواحدة³.

وقد بلغت مزاولة الحرف والصنائع عند المسلمين مبلغاً كبيراً سواء في المشرق أو المغرب ، ويترجم هذا التخصص والتنظيم في مزاولتها ويؤيده ما وقفنا في رواية من

¹ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ، ص 284

² عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 403

³ حسن رزاق إبراهيم ، النقابات العمالية ، د ، ط ، بغداد 1979 ، ص 21

كتاب المدونة الكبرى للأصمعي ، حيث يتكلم عن تنظيم محلات الحرفيين في عهد الدولة الحمادية ويقول (... رأيت الحدادين والخياطين والصواغين والخرازين والسراجين والفرائيين وما يشبه هذه الاعمال ، هل يجوز لهم أن يشتركوا (قال) قال مالك إذا كانت الصناعة واحدة

خياطين أو قصارين أو حدادين أو فرائيين اشتركا جميعا على أن يعملوا في حانوت واحد فذلك جائز ، ولا يجوز أن يشتركوا واحدهم حداد والآخر قصار وإنما يجوز أن يكونوا حدادين جميعا ، أو قصارين جميعا ، على ما وصفت لك)¹

ويتكلم أيضا ابن أبي زرع عن شيوع الحرف وتخصصها ، وهذا في حديثه عن حوانيت صنع الخبز في مدينة فاس إذ يقول (مدينة فاس بها من الأفران في جهاتها وأزقتها ألف فرن ومائة وسبعين فرن)².

3/ أنواع الحرف والصناعات في منطقة توات :

إن منطقة توات كغيرها من المناطق في العالم الإسلامي شهدت عدة حرف وصناعات، فقد دعت الضرورة لظهورها وكان للطبيعة دور كبير فيها ومن أهم الحرف والصناعات نذكر:

أ/ النسيج:

1/ تعريفه:

النسيج هو ضم الشيء للشيء ، فنسجه فإن نسج ، ونسجت الريح التراب تنسجه نسجا سحبت بعضه إلى بعض ونسجت الماء ضرته فإن نسجت فيه طرائق ، وكذلك يقال نسجت الريح الورق والهشيم أي جمعت بعضه إلى بعض ، ونسج الناسج الثوب ينسجه نسجا من ذلك لأنه ضم السدى على اللحمية ، وقالوا في الرجل المحمود هو نسيج وحده ومعناه أي

¹ سحنون بن سعيد التوخي ، المدونة الكبرى للإمام مالك بن انس الأصمعي ، ج12، دار صادر ، بيروت ، دت ، ص

² علي عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار منصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 48

الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره ، وإذا لم يكن كريما على منواله سدى عدة أثواب .¹

وقد ذكر النسيج في القرآن الكريم في قوله عز من قائل ((جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولباسهم فيها حرير²))

أما اصطلاحا فنقصد بالنسيج عملية صنع القماش من خلال مجموعتين من القماش إحداهما أعلى والأخرى أسفل ، وهذا باستخدام الخيوط الطبيعية كالقطن أو الحرير أو الصوف ، وقد تعلم الإنسان النسيج منذ القديم حيث استخدم العشب وأعناق أوراق النبات وجريد النخل والشرائح الخشبية الرقيقة لصنع ما يحتاجه من ملابس وأغطية وأدوات .³

ومنذ أن عرف واستخدم الإنسان المنسوجات في شؤونه المختلفة لم يشأ أن يقف عند حد المنفعة بل عمل أن تكون إلى جانب وظيفتها الأساسية ، أثرا فنيا ترتاح العين لرؤيته ويبعث الإعجاب في نفوس إخوانه وعشيرته ، فصبغها بالألوان وركب عليها شتى الرسوم والأشكال وجمع بين اللون والزخرفة ، فدعته الصدف إلى صبغ الخيوط بمواد نباتية فأخذ بذلك يرتب الصور والألوان المختلفة على أقمشته البيضاء .⁴

ونجد أن الكثير من الرحالة والمؤرخين ذكروا ازدهار صناعة النسيج بأقطار المغرب الإسلامي ، واشتهرت أقطاره الثلاث صناعته ، فعرفت في تونس زراعة القطن ، وفي المغرب الأوسط كانت تخرج أجمل وأرقى أنواع الصوف كذلك عرفت بنعومتها ، كما عرف المغرب الأقصى زراعة القطن وبرعت نسائه في حياكته أيما براعة .⁵

¹ أبي الحسن علي بن إسماعيل، بن سيده المرسى ، المصدر السابق ، ج 07 ، ص 277.

² سورة فاطر ، الآية 33.

³ الموسوعة العربية العالمية ، ج 25 ، ط2 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، 1419 هـ / 1999 م ، ص 325.

⁴ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، د-ت ، ص 120.

⁵ نفسه ، 121.

وقد تنوعت صناعة النسيج في منطقة توات وهذا بتنوعها العرقي وتأثرها بما حولها من ثقافات، وكذلك لوقوعها في وسط أهم طريق تجاري كما قلنا سابقاً، لهذا نجد استخدام مواد عديدة متنوعة فيه.

2/ المواد المستخدمة في النسيج :

أ/ القطن :

القطن يسمى عند العرب الكرفس والبرس والعطب¹ ، والخرفع والطوط² ، وظل لفظ القطن مستخدم في إسبانيا لفترة طويلة ، وتتميز نبتة القطن بأنها نبتة معمرة حتى لعشرين سنة وهذا لأن الفلاحين يعملون لقطع نبات القطن وترك الجذور تنمو من جديد ، وهذا يدعى بالتشذيب³.

ويرجع أصل نبتة القطن إلى بلاد الهند حيث تزرع بكثرة هناك ، فهي من النباتات التي تحب كثرة المياه والدفء ، وقد دخلت مع العرب الفاتحين إلى بلاد المغرب في القرن 2هـ / 8م ، وبعدها دخلت للأندلس مع بدايات القرن 5هـ / 11م⁴ ، وانتشرت زراعته فيها بكثرة حيث وجدت التربة المناسبة له فيها وفي هذا يقول ابن بصال (ويوافق من الأرض بالأندلس الحرشا المحسومة ، لأنه في هذه الأرض يسرع بنفعه ، ولا يتأخر عن وقته ، ويكثر حمله وأما أهل صقلية فينتخبون له الأرض الكريمة ، وقد يفعل هذا أهل السواحل من الأندلس وذلك موافق فيها)⁵ وتتم زراعته من فيفري إلى غاية مارس وقد تتأخر إلى شهر ماي⁶.

¹ عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني ، النواذر والزيادات على مافي المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق ، بوخيزة التطواني ، دار الغرب الإسلامي ، دت ، ج 6 ، ص 57

² أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 69

³ لوسي فولنر ، نباتات الصباغة والنسيج ، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص 1396.

⁴ غوستاف لوبرن ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ط4 ، مطبوعة البابي الحلبي وشركائه ، 1964 ، ص 274.

⁵ أبو عبد الله إبراهيم ابن البصال ، كتاب الفلاحة ، عني بشرحه خوسيه ماريّا ميكروسا ، محمد عزيمان ، مطبعة كرماديس ، تطوان ، المغرب ، 1955 ، ص . ص 149 ، 150

⁶ لوسي فولنر ، المرجع السابق ، ص 1395

ب/ الكتان:

يعد الكتان من النباتات النسيجية التي انتشرت في بلدان الغرب الإسلامي ، فهو نبات ليفي نسيجي بلغ طوله نحو ذراع دقيق الأوراق والساق أزرق الزهر له بذور حمراء¹، ويزرع الكتان في شهر أكتوبر ويحصد في شهر ماي². وتعتبر مصر من أهم البلدان وأولها التي استعملت الكتان³ ، وتختلف الأنسجة بين سمك الخيش وخشونته وبين رقة الشاش ونعومته ، لهذا فالكتان هو من بين المواد الأكثر انتشارا واستعمالا في حياكة الملابس وهذا لكونه عملي ، ونجده مستعملا في حياكة الملابس في الصحراء .

ج/ الصوف :

الصوف نسيج من شعيرات تغطي أجسام بعض الحيوانات كالغنم وله خصائص عديدة أهمها الدفء والنعومة ، والصوف من الألبسة المشهورة عند المسلمين وهي ترمز للبساطة والتقشف ، وقد لبس الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام رداء مصنوع من الصوف حيث يروي ابن ماجة عن أنس بن مالك أنه قال على لباس ﷺ الصوف كما جاء في حديث المخصوف عن عبادة بن الصامت (خرج علينا ﷺ ذات يوم وعليه جبة رومية من الصوف ضيقة الكمين وصلى بنا فيها ليس عليه شيء فمسح بها وجهه)⁴.

د/ وبر الإبل :

الإبل أو رفيق للإنسان في الصحراء وعز البدوي وقوته وراحلته وطعامه ، وحتى كسائه ، فالإبل بالنسبة لأهل الصحراء كالماء لا يمكن الاستغناء عنها ، وقد عرفت تربية الإبل في المغرب منذ القدم وهذا لتوفر البيئة المناسبة لتربيته ، وقد أستخدم وبره في الكثير من المنسوجات ، وهذا لتوفره ولتميزه بالخفة والمتانة والنعومة .

¹ حنان فرقوتي ، "ملاحم من صناعة النسيج عند المسلمين" ، مجلة الدارة ، العدد 4، السنة 25، 1420 الرياض ، السعودية، ص 135

² عبد الغني النابلسي، علم الملاحة في علم الفلاحة ، قرأه وعلق عليه ، يحي مراد ، د ط ، د.م ط ، د.ت ، ص 74

³ ألفريد لوкас ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكي اسكندر ، القاهرة ، 1945 ، ص 236

⁴ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، المكتبة العلمية د، ط، بيروت د.ت ، ص 27

هـ/ شعر الماعز :

هي من بين الحيوانات التي استخدم الإنسان شعرها ووبرها منذ القدم ، للحصول على خيوط النسيج وقد شبه النويري وبرها بالصوف¹.

3/ صناعة النسيج :

إن صناعة النسيج والذي تمثل في الملابس والأغطية والأفرشة قد عرفت منذ القديم في المنطقة كغيرها من مناطق العالم ، ووفي هذا نجد وصفا للعلامة ابن خلدون حينما يتكلم عن تطور صناعة الحياكة في عهده (صناعة الحياكة والخياطة هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرقة ، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإجماء في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد يتم منها قطع مقدرة وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة، ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام وهو أقدم الأنبياء)².

ويضيف ابن خلدون قائلا (إن صناعة الخياطة مختصة بالعمران الحضري لما ان أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب إشتمالا، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإمامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها)³.

ونستخلص من كلام ابن خلدون أن التطور الحضري ينعكس على تطور اللباس والاهتمام به ، وان أهل البدو أقل اهتماما بملابسهم وهذا الأمر ينطبق على المنطقة ، حيث أن الناس حيكت الملابس لتلاءم الظروف الاقتصادية والمناخية للمنطقة وتطورت بما تمتلكه من إمكانيات ، فكانت صناعة الغزل والصوف والقطن تحتل مكانة كبيرة عندهم وقد ظهرت براعة صناعتهم في مجال الأبسطة والأغطية والملابس كالبرانس و الكسي ، وقد أدى ذلك إلى كثرة الطلب الخارجي عليها .

¹شهاب الدين أحمد بن محمد النويري الاسكندري ، الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، تحقيق عزيز سوربال عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، 1970 ، ج3، ص 348.

² عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 41

³ نفسه ، ص 41

ولقد واجهت صناعة النسيج والحياكة في توات رغم أهميتها صعوبات عديدة تمثلت في قلة المواد الخام من صوف وقطن وهذا يرجع إلى قلة المواشي في الإقليم ، وإن وجدت فهي تتميز برداءة صوفها ، كما أن التواتيون قد فشلوا في زراعة القطن ، لذلك لجأ السكان إلى شراء الصوف والقطن من القوافل التي كانت تأتي إلى المنطقة.¹

وقد قام بعملية الغزل والحياكة النسوة حيث كان غزل ونسج الصوف من الأعمال التي تباشرها يومياً ، والعادة المعروفة والمنتشرة بين النسوة هو تعاونهن على النسيج ، فتعين هذه الأخرى حتى تفرغ من النسيج وتعين هي بدورها الأولى.²

ونجد أن النسوة في منطقة توات قد صنعن من الصوف والقطن والوبر أشياء عديدة منها الأبسطة والأغطية والملابس المختلفة والملاحف والإزارات . وقد استعمل المرأة التواتية في الحياكة والنسيج ، المنسج التقليدي الذي هو متشابه مع غيره في الصحراء أو في الشمال ويتكون من³: (الصورة رقم 38) .

1/ خيوط النسيج : هي عبارة عن خيوط نتحصل عليها من الطعمة وهي تستخرج من صوف الغنم أو شعر الماعز ، أو وبر الإبل وقد تكون من القطن أو الكتان .

2/ العارضتان : وهما خشبتان يوضعان بشكل أفقي يكونان متوازيين ، واحدة في الأعلى والأخرى في الأسفل وتسمى بالزناتية إفجاجن .

3/ الركائز : وهما خشبتان توضعان بشكل عمودي على يمين ويشار النسيج وتسدانه.

4/ الشرطة والمفتاح: تمسك النسيج من الأسفل وهي عبارة عن شكل مسمار أو قطعة حديدية أو حتى شوك.

¹ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ص ، 60

² عبد المؤمن يمين ، " وظيفة المرأة التواتية من خلال نوازل الغنية للبلالي خلال القرن 13 هـ / 19م " ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، العدد 12 ، 2015 ، ص 26.

³ ميلود بلحاج ، الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة تلمسان ، السنة الجامعية 2017 / 2018 ، ص 75.

5/ الخلالة : هي عبارة عن مشط وأسنان حديدية يدك بها على خيوط النسيج ، وله مقبض يدوي من الخشب وتسمى في بعض المناطق بالبدرية.

6/ القصبة : هي قطعة من القصب توضع على عرض النسيج تقوم بتفريغها بشكل عكسي

7/ الكبابة : كبة من الخيط توضع في طرفي المنسج ، تحرك اليمنى ويسرى من أجل تزويد النسيج بالخيط

8/ المقص : يستعمل لفصل المنسج عن نوال النسيج ، أو لعمل العقد في الزرابي

9/ مشدان حديديان : في طرفي البساط أو الزربية خاصان بتثبيتها من الجانبان ، حتى تستقيم خيوط النسيج

11/ عمودان مثبتان في الحائط :

خرزا في الأعلى من أجل تثبيت المنسج لكي لا يميل ويسقط وهما من تشدانه في الأعلى .



الصورة رقم 38 المنسج التقليدي

وفيما يلي قائمة ببعض الملابس التي عرفت وما زالت تستخدم إلى اليوم في منطقة توات (جدول رقم 19) (لوحة رقم 34 ، الصور رقم أ ، ب ، ج) .

نوع اللباس (الاسم المحلي)	مواصفاته
عجار	قطعة من القماش تلبسها المرأة لتغطية وجهها وهو يأتي بألوان مختلفة أهمها الأسود والأبيض
عمامة ، شاش ، حواق	قطعة من الكتان طولها من 04 م وأكثر وعرضها 1.5م ، يستخدمها الرجل لتغطية رأسها وتأتي بألوان عديدة أهمها الأبيض والأزرق النيلي
محرمة	غطاء تستعمله المرأة لستر شعرها
روبة الجمة	هي عبارة عن عباءة تلبسها النساء المسنات
ليزار	عباءة تلبسها النساء عند خروجهن من المنزل وتلبس فوق الفستان ، وتأتي بألوان مختلفة وطولها 03م وعرضها 1.5م
حايك	قطعة كتان تلبسها المرأة فوق الفستان وهي تتميز بكونها تستر الجسد كله وتصنع في الغالب من الصوف والقطن
السلهام ، البرنوس	هو لباس يستعمله الرجل سواء في الأيام العادية او المناسبات التي يلبس فيها الأبيض منه
قشابة	هي عبارة عن عباءة من الصوف او الوبر أو الصوف والوبر معا

سروال العرب العريض	هي عبارة عن سروال يرتديه الرجل عريض
شاشية	عبارة عن غطاء صغير يوضع فوق رأس الرجل ينسج من الصوف
الكسى	هي لحاف يوضع فوق ظهر الرجل ينسج من الصوف
كمبوش الواد	عبارة عن لحاف ينسج من خيوط الصوف الرقيقة تضعه النسوة على رأسهن
عباية شتاميل	عباءة عادية تلبسها النسوة في البيت
حزام	قطعة رقيقة من القماش يشد بها الرجل والمرأة وسطهم به

جدول رقم 19 بعض الملابس المستخدمة في المنطقة وتعريفها

- من إعداد الطالب -



صورة بـ فستان ترتديه المرأة



صورة أعباءة وشاش يرتديه الرجل



صورة جـ زربية تحوي رسوم هندسية

لوحة رقم 34 بعض المنسوجات في منطقة توات

ب/ صناعة الفخار :

إن صناعة الفخار من بين أهم الصناعات التي عرفت في منطقة توات وهذا لأهميتها في حياة الإنسان واستخدامها في حياته اليومية كالطهي و التخزين والزينة ، لهذا أولى الإنسان التواتي أهمية كبيرة لها رغم بساطتها إلا أبدع فيها على حسب الإمكانيات المتوفرة لديه .

1/ تعريفه:**أ/ لغة :**

يعرف الفخار بأنه كل أنية عملت بالطين وشويت بالنار لتصبح فخاراً¹ ، وهو كذلك الجر جمع جرة أي كل ما يبيعه الخزاف² ، فالصلصال هو المادة التي لها خاصية اللزابة ، أما الفخار فهو المادة الجديدة الناتجة عن حرق الصلصال أما الطين فهو المادة الأساسية التي تدخل الفخار³.

وقد ذكر في القرآن الكريم في قوله عز وجل (خلق الإنسان من صلصال كالفخار)⁴، وفي قوله عز من قائل (لقد خلقنا الإنسان من حمأ مسنون)⁵، وكذلك في قوله (إن خلقناهم من طين لازب)⁶، (وقال أيضا ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)⁷

فالصلصال هو المادة التي لها خاصية اللزوبة ، والتي تنتج عن خلط الماء بالترربة الطينية ، أما الفخار فهو المادة الجديدة الناتجة عن حرق الصلصال⁸.

¹ الفيروزبادي ، المصدر السابق ، ص 462

² محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، مج 5، ص 50

³ الفيروزبادي ، المصدر السابق ، ص 462

⁴ سورة الرحمان ، الآية 14

⁵ سورة الحجر الآية 26

⁶ سورة الصافات ، الآية 11

⁷ سورة المؤمنون ، الآية 12

⁸ هناء محمد عدلي ، التماثيل في الفن الإسلامي ، دار الجلال ، مصر ، 2008، ص 30

ب/ إصطلاحا :

الفخار كل آنية صنعت بالطين وشويت بالنار ، ويصبح خزفا إذا تم تزجيجه أو طلاؤه بأصباغ ملونة لإكسابه رونقا وبريقا ، ويعتبر الفخار من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان ، وهذا لارتباطها بالإنسان والأرض وكذلك ببساطة موادها الخام والمتمثلة في الطين والماء ، ويعتبر الفخار من أهم الأشياء التي يعثر عليها المنقبون عن الآثار ، وقد تنوعت صناعة الفخار حسب تنوع الحضارات التي أوجدته ، و به يتم قياس مستوى التطور الحضاري حيث صنع في البداية بسيطا خالي من الزخرفة والرسوم ، ثم نجده تطور في الصنع وتم إضافة طبقة زجاجية له مع رسوم مختلفة ، وكذلك نجد أن صناعة الفخار المزجج أو الخزف ذا البريق المعدني ، قد عرف وتطور أكثر في الحضارة الإسلامية .

2/ طريقة صنع الفخار (الفخار الأسود تمنطيط) :

يعتبر الفخار الأسود من أهم أنواع الفخار الذي عرفته المنطقة ، كما أنه يتميز عن غيره بلون السواد المميز له وتتم صناعته عبر هاته المراحل :

أ/ مرحلة تحضير الطين :

لصناعة الفخار يجب أن تتوفر التربة المناسبة والتي تشمل أساسا في توفر الطين والذي يتشكل بفضل تفتت الصخور بفعل الأمطار ، وتتميز منطقة توات بتوفر الطين وهذا على ضفاف الأودية التي تمر فيها ، لذلك كانت تستخرج التربة الطينية على شكل صخور طينية بعدها تدق وتغربل لاستخراج التراب منها ومن أهم المناطق في توات والتي كانت تحوي طينة جيدة قصر فنوغيل* ،أو يتم تكسير أو بعدها تتم إضافة الماء إليها والعجن بالأقدام حتى تصبح عجينة لينة ومتماسكة ، وأحيانا يتم إضافة بعض القش والمواد العضوية الدقيقة

* قصر فنوغيل هو قصر ومقر بلدية ودائرة يقع على بعد 25 كلم جنوب مقر الولاية أدرار ، ويقع على الطريق الوطني رقم 6 ،، وكلمة فنوغيل مصطلح زناتي مركب من قسمين "فنو" آثار و"إغيل" الذراع أي آثار الذراع، **أنظر:** محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص 20

لكي تصبح صلبة وتمنع تشقق الإناء بعد جفافه ، وكذلك نجد أن تلك المواد العضوية بعد احتراقها مع الإناء ، تعطي له صلابة كبيرة

ب/ مرحلة التشكيل:

في القديم كانت تتم عملية التشكيل باليد حيث يتم صنع كريات من الطين وتشكيلها على حسب الأنية المراد صنعها ، وبعدها تم إدخال الطابع الذي توضع فيه العجينة وتأخذ نفس الشكل الموجود في الطابع (الصورة رقم 39)، و هاته الطريقة حديثة نسبية في المنطقة ، وصناعة الفخار في المنطقة لم تكن لها ورش خاصة بذلك حيث كان يتم صناعته في المنزل ، فكانت النسوة تصنع ما تحتجنهن من أواني في بيوتهن .



صورة رقم 39 تشكيل الفخار بالطابع

ج/ مرحلة التجفيف:

بعد تشكيل الأواني يتم وضعها لتجف وتختلف المدة على حسب المناخ ، حيث تكون في الشتاء ليومين وفي الصيف يوم واحد فقط ، وبعد جفافها يتم صقلها بواسطة حجارة ملساء وهذا لتمليس سطحها ، وبعدها يتم نقش رسومات والتي تتمثل أساسا في خطوط على

شكل شمس أو مراوح نخيلية أو سنابل ، وتتم عملية الرسم عليها بواسطة أداة حادة (الصورة رقم 40)



صورة رقم 40 آنية فخارية قبل الحرق والتلوين يظهر عليها رسم هندسي على شكل شمس

د/ مرحلة الحرق :

يتم حرق الأواني بحفر حفرة واسعة ، وتوضع داخلها الأواني ويوضع فوقها الحطب وتغطى كذلك بالتبن ، وتتم إضافة التبن الذي يحترق فتنبعث منه الأدخنة التي تغطي المسحة السوداء على الأواني ، هذا قديما أما في يومنا هذا يتم طلاؤها بصباغة سوداء بواسطة قطعة من الكتان وعود خشبي . (الصورة رقم 41)



صورة رقم 41 أنية فخارية بعدما حرقت وصبغت باللون الأسود

وفيما يلي بعض الأواني الفخارية المستعملة : (لوحة رقم 35 الصور رقم 126، أ، ب، ج ، د)

الزير : اناء للشرب يشبه الجرة

بخارة : اناء من الفخار يوضع فيه البخور ويحرق لتعطير المنزل

قدرة : هو اناء كبير يستخدم لطهي الطعام

غرفية : عبارة عن طبق مقعر يوضع فيه الحساء

طاس : هو كأس يوضع فيه الماء أو اللبن الماء لكن حجمه كبير

القلة : هي جرة كبيرة يوضع داخلها الحطب ويوضع فوقها الخبز لطهيهِ .



صورة ب بخارة



صورة أ زير



صورة د القلة



صورة ج قدرة

لوحة رقم 35 بعض الأواني الفخارية

ج/ الصناعة المعدنية:

الصناعة المعدنية هي الصناعة التي أساسها المعادن ، وهي من الحرف التي عرفتھا منطقة توات وهذا على الرغم من درة المعادن في المنطقة ومن بين الصناعات التي عرفتھا المنطقة نذكر :

1/ الصناعة الحديدية:

الحديد ذلك المعدن الذي يتميز بالشدّة والصلابة ، استعمله الإنسان منذ القديم وقد ذكره الله في محكم تنزيله ((ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد))¹ ، ففي هاته الآية العظيمة نلمس مدى أهمية الحديد للإنسان حيث استخدمها في كل أموره الحياتية ، وفي آية أخرى يقول الله عز وجل ((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز))².

ولهاته الأهمية لهذا المعدن نجد أن أهل المنطقة قد اهتموا بصناعة الحدادة ، وهذا على الرغم من عدم توفر الحديد، حيث اعتمدوا على استراده من الشمال وهذا لصناعة الأسلحة التي يحتاجونها كالسيف والمكحلة - بندقية - وهذا لدفع الأخطار الخارجية التي كانت تحيط بالمنطقة ، لكونها كما قلنا سابقا ممر للقوافل التجارية ، وقد أشار دوماس في رحلته للصحراء الجزائرية حيث لاحظ أن الأسلحة تصل إليها من تونس و من المغرب ، وكذلك من تقرت وبلاد القرارة ، ولقطة معدن الحديد أيضا قام الحدادون بتركيب البنادق من خلال القطع المتوفرة³.

ومن الأسلحة التي صنعت في المنطقة بواسطة الحديد السكاكين والسيوف بأشكالها المختلفة ، حيث تختلف في حجمها وسمكها وهذا لاختلاف الغرض الذي صنعت من أجله

¹ سورة سبأ ، الآية 10

² سورة الحديد ، الآية 24

³ إبراهيم حامد لمين ، التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي ، (999هـ / 1317م - 1391-1900م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة غرداية ، السنة الجامعية 2015 / 2016 - ص 63

فمنها ما هو مصنوع للتقطيع ومنها ما هو مصنوع للذبح ، ومنها مصنوع للسلخ ، ومنها ما هو مصنوع لاستعماله في الحرب ، وكذلك نجد أن السكاكين أو ما يدعى محليا (الخدمي) قد زين برسومات تتمثل أساسا في أهلة صغيرة متخالفة ، ونجد أن السيوف لم تكن للحرب فقط فهي تعتبر رمز للرجولة والقوة والشهامة حيث تعلق في الجدران للزينة ، وكذلك يحملها الرجل معه في زفافه . (الصورة رقم 42)



صورة رقم 42 سيف تظهر عليه نقوش هندسية

وقد أستعمل الحديد كذلك في صنع الآلات الفلاحية كالرفش (المسحة) وكذلك الفؤوس والأقفال (أفكر) ، والمفاتيح (ساروت) إلى غير ذلك من الأدوات الحديدية .

وقد قام بمهنة الحدادة أناس عرفوا محليا (المعلمين) ومفردها (معلم) ، حيث تواجد في قصر واحد وأثنين منهم ، فكانت توكل لهم مهمة صنع الآلات والأدوات لأهل القصر ،

حيث كانت أجرتهم عبارة عن جزء من المحصول مقابل خدمتهم ، وكان هؤلاء المعلمين ذوو أصول تارقية أو زنجية .

وقد استغل الحدادون لصنع الأدوات المنزلية كذلك معدن النحاس ، حيث نجده مستخدما بكثرة في العديد من الأدوات ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر صناعة آلات الحلاقة وآلة قياس تدفق المياه في الفقارة (الشقفة) وآلات الموسيقى كالقرقابو* (صورة رقم 43).



صورة 43 قرقابو

* القرقابو آلة موسيقية تستعمل في الأعراس والمناسبات وهي مشكلة من جزاين مصنوعين من الحديد ويربطان بخيط ويضربان على بعض مما يصدر صوت قوي على شكل طقطقة ، وتستعمل هاه الآلة في قصور توات وتيديكلت وقورارة ومنطقة الساورة ، وعلى حسب السكان فإن مصدرها إفريقي حيث كان العبيد المجلوبون من السودان يرقصون ويضربون عليها .

2/ صناعة الحلي :

الحلي هي أدوات تتمثل في الزينة التي يلبسها الناس والشائع منها الأساور والأقراط والعقود والخواتم وغيرها ، وقد استعملت الحلي بشكل رئيسي للزينة الشخصية إلا أنها قد استخدمت من طرف الإنسان لغايات عقائدية ، وقد تطورت صناعتها بتطور الحضارة البشرية من قلائد وأساور بسيطة إلى أحجار كريمة ولؤلؤ وألماس .

وقد ذكرت الحلي أو الحلية في القرآن الكريم في آيات عديدة ومنها قوله عز وجل ((لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها))¹ ، وكذلك قوله عز من قائل ((ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها))² ، وفي آية أخرى ((وإتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار))³ ، وكذلك قوله عز وجل ((يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا))⁴ .

ولكون منطقة توات مقصدا للتجارة وطريقا تجاريا هاما للقوافل ، فقد عرفت استقطابا للمعادن النفيسة حينها ، وخاصة بعد سقوط الأندلس واستيطان اليهود واحات توات وخاصة في حاضرتها تمنطيط ، ففتحوا محلات لصياغة وصنع الذهب والفضة ، فكان اليهود يشترون الذهب من القوافل القادمة من السودان ، فبذلك انتعشت صناعة الذهب في أدرار وتيميمون.⁵

ومن بين الحلي التي صنعت في المنطقة نجد (اللوحة رقم 36 ، الصورة أ، ب)

أدبلز لحرش : هو عبارة عن أنبوب مقعر ومقوس كالحلقة ومزين بخيوط عبارة عن مستطيلات مزخرفة وكریات صغيرة وهو المصنوع بكثرة نتيجة الطلب الكبير عليه .

أدبلز لملس : يتميز بكونه ذا زخرفة مغايرة يتميز بخيوط مزركشة باللون الأسود

¹ سورة النحل ، الآية 14

² سورة فاطر ، الآية 12

³ سورة الأعراف ، الآية 148

⁴ سورة الكهف ، الآية 31

⁵ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 62

أنبل : يختلف تماما على النوعين الأولين فهو عبارة عن قطعتين مشدودتين ومزينتين بالفضة وهو يعتبر من أغلى الأساور ثمنا فالطلب عليه كبير .

الخاتم : عبارة عن شكل دائري توضع عليه قطعة مربعة مزينة بخيوط من الفضة وكريات صغيرة .

محبس : حلقة بسيطة عريضة وضيقة توضع عليه قبة مزركشة ويعتبر من الصناعات القديمة بتمنيط وزاوية كنتة وكذلك قصر أنزجمير¹ .

الخلالة : تصنع من الفضة تستعملها النساء فوق الصدر لمسك الحولي أو إزار المرأة² .

¹ محمد حوتية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 138

² ميلود، بلحاج ، المرجع السابق ، ص 235



صورة أ مجموعة من الحلي الذهبية



صورة ب خواتم فضية

لوحة رقم 36 الحلي الفضية والذهبية التي تزينت بها المرأة التواتية

د/ الصناعة الجلدية :

الجلود هي فراء الحيوانات ، وقد ذكرت في القرآن الكريم في قول الله تعالى ((وجعلنا لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها))¹ ، فجلود الحيوانات أو صناعة الدباغة معروفة منذ الأزل ، وقد عرفت في منطقة توات صناعة الدباغة بشكل كبير رغم قلة المواد الأولية والمتمثلة أساسا في جلود الحيوانات ، وهذا لكون البيئة الصحراوية لا تسمح بتربية الأغنام بشكل كبير ، ولهذا فقد لجأ السكان لإستيرادها من الخارج ، فكانت القوافل تحضرها أساسا من السودان الغربي لتوفرها هناك .

وقد قام بحرفة الدباغة أشخاص يدعون محليا (الخرازين) وجمعها (خراز) ، وكانو يقومون بمهنة الخرازة بعد إكمالهم العمل في البساتين ، وتدبغ الجلود بواسطة الملح الممزوج بورق الصلاح ، وهي نبتة تنمو بزاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل ، ويحضر الجلد بإبقائه في الماء لمدة ثلاثة أيام ، وبعدها ينزع منه الصوف ثم يخرج وتوضع عليه الدباغة المصنوعة من شجرة تلالية ، ويصنع الخراز الدباغة من قشور الرمان التي يطلّى بها الجلود وتتخذ بذلك اللون الأحمر² ، وبعد إخراجها يتم صناعة عدة أدوات منه ومن بينها نذكر: (لوحة رقم 37 ، الصورة أ ، ب ، ج ، د)

القربة : تصنع من جلد الماعز لحمل الماء وهي ضرورية كثيرا في الصحراء حيث تعطي للماء برودة ، كما أنها تستخدم لحمله في السفر .

الشكوة : مثل القربة لكنها تصنع من جلد منزوع الشعر ومدبوغ وتستعمل لتخزين الحليب ، وكذلك يبيع فيها الحليب من أجل إستخراج الدهن أو الزبدة .

الواغة : تصنع من أغصان أقار وتلصق بالجلد وتستعمل كتأبوت لحمل الأثاث الذي تسلمه الأم لابنتها عند زواجها .

¹ سورة النحل ، الآية رقم ، 80² محمد بن حوتية ، المرجع السابق ، ص 138

النعال والأحذية : وقد اشتهرت بهذه الحرفة منطقة أولف بتيدكلت يصنع النعل من الجلد ويسمى نعل أولف، وكذلك هناك أحذية تصنع تسمى الريحية .

الحزام : يصنع من الجلد ويستعمل في شد الظهر أثناء العمل ، ولشد الثياب .

المزود : يصنع من الجلد لتخزين الدقيق أثناء السفر .

الضبية : وتستعمل لحفظ السفوف (التمر المكسر)¹.

الفروة : وتنقسم إلى قسمين الأولى منزوعة الشعر وتستعمل كفراش للرحى عند عملية الطحن ، والثانية تدبغ بشعرها وتستعمل كفراش للجلوس .

الجبيرة : يضع فيها الرجال النقود ، وهناك نوع آخر يعلق فوق الجمل تحمل فيها الثياب.

السرّج : يصنع من الحطب ويغلف بالجلد ويدعى بالمجبود ويستعمل لركوب الخيل ،

الدلو : يستعمل لجذب الماء من البئر².

كيس التبغ : مثل الحافظة يصنع من جلد الجمل .

الحجابات : وهي قطع من الجلد تحفظ فيها آيات من القرآن وهذا للوقاية من العين ، وتصنع في تيمي وتمنطيط ، والطلب عليها كبير .

الفوق : أحذية تصنع من الجلد وتطرز بواسطة الحرير ، يهدى للمرأة كصدّاق لها عند زواجها³.

¹ إبراهيم جامد لمين ، المرجع السابق ص 63

² نفسه ، ص 64

³ بلحاج ميلود ، المرجع السابق ، ص 234



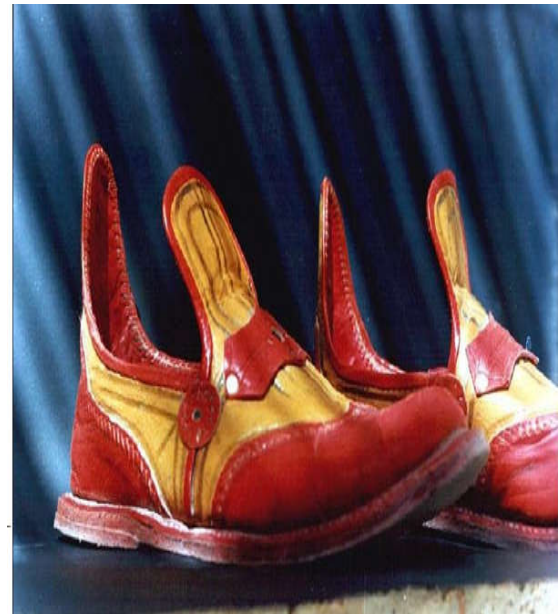
صورة ب الضبية



صورة أ الجبيرة التي تحمل الثياب



صورة د الصناديق



صورة ج النعال

لوحة رقم 37 أمثلة عن الصناعات الجلدية بالمنطق

هـ/ الصناعة الحجرية:

تعتمد هاته الصناعة على الحجارة المستخرجة من المقالع ، وقد استخدمت خاصة في بناء الفقاير والسواقي ، بالإضافة إلى عدة أدوات نذكر منها: (اللوحة رقم 38 الصور أ ، ب)

الرحى : تصنع من حجرتين علوية وسفلية ، العلوية منها يوجد لها ثقب يوضع فيها مقبض الرحى وهو معروف بـ (الشضاض) ، والسفلية فيها حفرة صغيرة في الوسط وهي التي تثبت الشضاض ، وتدور بالمقبض المغروس في الحفرة فتتحرك العلوية فوق السفلية ، ويصنع الشضاض من شجرة أقارة .

القداي أو أدقى : يتكون من حجرتين وبه يطحن الكحل.

القصرية أو القصري : وهي حجارة عريضة تشبه المشط لها عيون أو ممرات تسمح بخروج المياه .

أنفيف : يصنع من حجارة عريضة تفتح في وسطها تستعمل في المكان الذي يخرج منه الماء من الماجن .

تشفر : وهي عبارة عن حجرتين إحداها عريضة ، والأخرى صغيرة ، تعوض الرحى عند غيابها فتستعمل لطحن القمح¹ .

حجرة العلف : وتتكون من حجرتين العلوية صغيرة كروية يدق بها فوق الحجرة السفلية ، التي تتكون محفورة قليلا في وسطها ، ويوضع فيها ليف النخل (الفدام) للإحاطة بها لمنع سقوط العلف المكسر ، وبعد تكسير العلف والحشف وغيره من المواد التي تحتاج إلى السحق كعلف الحيوانات² .

¹ إبراهيم حامد لمين ، المرجع السابق ، ص 229

² نفسه، ص 61



صورة أ الرحي



صورة ب حجرة العلف

لوحة رقم 38 أمثلة عن الصناعة الحجرية

و/الصناعات الخشبية :

حينما نذكر الصناعات الخشبية في الصحراء يتبادر إلى ذهننا شجر النخيل ، ومنطقة توات تزخر بكم هائل منه ، فقد كان النخيل أساس الصناعة المعتمدة على أخشابها فاستخدموا كل جزء فيها من جذعها إلى سعفها إلى لحائها ... ، فكانت هي الطعام وهي الكساء ، وهي مصدر النار ، بالإضافة إلى النخيل توجد بعض الأشجار والتي رغم قلتها إلا أن السكان قد اعتمدوا عليها في صناعاتهم ومنها كالطلح ، والأقار ، والرمان ، والتين ..

ومن بين الصناعات التي كان مصدرها الأخشاب بأنواعها نذكر (اللوحة رقم 39 ، الصور رقم أ ، ب ، ج ، د)

مكحلة العين : هي أداة تصنع من أعواد الحنة ، تستخدمها المرأة في تكحيل عيونها.

القفة أو لقيفة : عبارة عن كيس يصنع من سعف النخيل ، ويستعمل لحمل أو حفظ الطعام .

الحصائر : جمع حصيرة حيث تصنع من جريد النخل الأملس ، وتستخدم للفراش .

تادارة أو الطبق : أواني منزلية مصنوعة من سعف النخيل وهذا بعد تجفيفه لتوضع داخلها المأكولات خاصة ما يدعى السفوف.

أفكر : يصنع من شجر آقار يستعمل كقفل للباب .

المصب أو المشربية: هي إناء مخروطي الشكل يصنع من سعف النخيل ، ويستخدم لشرب الماء .

الدبش : هو كيس يصنع من ليف النخيل وهذا لكي تحمل عليه الأشياء الثقيلة ، حيث أن الليف يستحمل الثقل .

القصة : هي إناء مجوف وتختلف أحجامه ، ويستخدم عادة في وضع الطعام في الولائم .

قلوشة : إناء مصنوع من سعف النخيل يستخدم لحمل المياه .



صورة ب القفة



صورة أ تدارة



صورة د قصعة



صورة ج الحصيرة

لوحة 39 رقم أمثلة عن الصناعات الخشبية بمنطقة توات

خلاصة الفصل :

لقد لعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في تطور الحرف والصناعات في منطقة توات ، وكان هذا نتيجة للطريق التجاري المار بقصورها المنتشرة ، واستيطان المجموعات البشرية المختلفة للمنطقة ، ومن بين الخصائص التي ميزت الحرف والصناعات في توات نذكر :

الحرف في المنطقة تأثرت بالأعراق المختلفة التي سكنت الإقليم والتي كان لكل مجموعة بشرية منها أسلوبها ونمطها الثقافي المميز لها، فأدى ذلك إلى ظهور ثقافتها في الصناعات المحلية .

تأثر الصناعات المحلية بندرة المواد الأولية خاصة المعادن والتي كانت تجلب من أماكن بعيدة، لهذا نجد أن براعة الصانع موجودة أكثر في الصناعات التي مصدر مادتها الأول محلي خاصة فيما تعلق بالصناعة النسيجية والخشبية والفخارية وكلها مواد متوفرة في البيئة المحلية.

نجد أيضا أن الصناعات الغالب عليها البساطة في التصميم والتنفيذ وهذا لكون المنتجات المصنوعة موجهة في أغلبها للاستعمال الشخصي وليس للتجارة لذلك نجد أن الزخارف فيها فقيرة إلا ما قل.

لقد كان للدين الإسلامي لمسته وتأثيره في الصناعات وهذا من خلال انعدام التصوير الحيواني والآدمي ، والاستغناء عليه بالتصوير الهندسي والنباتي ، كما أن التصوير الكتابي منعدم وهذا يثير الاستغراب لأن المعروف على الفن الإسلامي كثرة الزخارف الكتابية ، والذي نرجحه إلى صعوبة التنفيذ أو لقدسية الحروف العربية لذلك لم يرغب الفنان أن يضعها على الأدوات ذات الاستعمال اليومي .

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير نصل إلى خاتمة هاته الدراسة التي حملت في طياتها التعريف بالموروث الحضاري لمنطقة توات، انطلاقا من التعريف بالمنطقة وأصول سكانها وتعميرها البشري عبر مراحل التاريخ المختلفة، وكذا عمارتها وعمرانها الديني والمدني وطرق الري المستخدمة ، بالإضافة إلى صناعة المخطوطات بالمنطقة وكذلك العادات والتقاليد والصناعات والحرف التقليدية بها ، وكذلك تناولت هذه الدراسة الجوانب التاريخية والمعمارية والفنية والثقافية والعلمية وكذا الاجتماعية، فموضوع الآثار الثابتة والمنقولة بإقليم توات، موضوع واسع وكبير فالإلمام بالتفاصيل الحضارية لهاته المنطقة الشاسعة بمساحتها المتنوعة بثقافتها والعريقة بتاريخها ، ليس بالأمر السهل فهي بحاجة إلى الكثير من الاهتمام من أجل إعطائها الأهمية التي تستحقها

ومن خلال ها استطعنا التعرف على الكثير من الخصائص المميزة لحضارة وثقافة هذا الإقليم، الذي يمثل جزءا كبيرا من صحرائنا الكبيرة المترامية الأطراف ومن بين النتائج التي توصلنا إليها نذكر:

- تاريخ المنطقة ضارب في القدم ويعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، حيث تم استيطانها منذ وقت مبكر وهذا من خلال الرسومات والصناعات الحجرية المنتشرة في المنطقة ، وقد شهدت كذلك هجرات عديدة في فترات تاريخية مختلفة .

- تتميز المنطقة بتنوعها البشري (توارق ، عرب ، زناتة ، زنوج) وهذا التنوع كان نتيجة موقعها الجغرافي ، الذي جعلها منطقة ملائمة للاستقرار حيث فرت إليها العديد من القبائل النازحة من الحروب في شمال المغرب ، أو من الزنوج الأفارقة الطالبيين للعيش ، وأدى التنوع البشري الكبير فيها إلى تنوع حضاري قل مثيله .

– إن التنوع البشري والاثني للمنطقة أدى إلى تأسيس عدة تجمعات سكنية (قصور) وهذا على ضفة وادي مسعود لتشكل أرخبيلًا من القصور المنتشرة ، وقد احتوت هاته القصور المنتشرة ، حيث نجد أنها توفر على كل شروط بناء المدينة الإسلامية من حيث اختيار موقع البناء ، وكذا توفر مقومات المدينة من مسجد وسوق ودكاكين وآبار ، وكذلك قد تميزت بنمط معماري بسيط وعملي بالنسبة لمناخ المنطقة ، والذي تطبعه الحرارة وكثرة الرياح، حيث نجدهم استخدموا المداخل والشوارع المنكسرة وكذا الأزقة المسقوفة .

– إن الناظر لقصور المنطقة يجد بأنها محصنة بشكل كبير وبعضها يظهر وكأنه قلاع ، وهذا من خلال الأسوار والأبراج المنتصبة ، وكذلك اتخاذ الخنادق فيها ، وهذا كله يستخلص منه أن المنطقة كانت تشهد حروبًا كثيرة ، وتتعرض للسطو من قبائل البدو فكان لزاما على سكانها حمايتها .

– لقد ازدهرت الفلاحة في المنطقة واستخدمت طرقًا عديدة فيها وتنوعت المنتجات الفلاحية بها ، وقد كان الري بواسطة الفقارة سمة مميزة فيها ، فهي تعتبر بحق إنجازا يحسب لأهل توات دون النظر لأصلها ، فالفقارة تعتبر شريان الحياة للقصور ومنه نشأت بساتين النخيل والأكثر إعجابا هو طرق تقسيم المياه بين السكان حيث كان يأخذ كل واحد حقه على حسب جهده .

– لقد عرفت المنطقة الإسلام مبكرا وانتشرت في ربوعها المساجد والزوايا لتحفيظ القرآن الكريم ، وتميزت المساجد فيها بمحافظتها على نمط البناء المبكر المتمثل في مسجد النبي ﷺ حيث نجد بناءها بسيطا ، وتخلو من المئذنة والميضأة وكذلك من القباب ، و تتميز أيضا بخلو الزخارف وبساطة مواد البناء ، وهذا كله مستوحى من نفسية الإنسان في توات الذي هو بسيط بطبعه، كما نجد أن الزوايا انتشرت بانتشار الطرق الصوفية التي ازدهرت أكثر بعد مجيء الشيخ المغيلي رحمه الله في القرن 10هـ / 16م.

- لقد استعمل البناء التواتي مواد بناء من بيئته المحيطة ، وأهمها الطين والجص والجير وشجر النخيل الخ ، وهذا لسهولة الحصول عليها كذلك لملاءمتها للمناخ عند البناء بها، وكذلك استخدم طرقا عديدة في البناء ، والتي رغم بساطتها إلا انه استطاع بواسطتها تشييد معالم كثيرة قاومت الزمن والمناخ معا وعاش فيها لقرون عديدة .

- إن موقع الإقليم كما قلنا سابقا كان له دور كبير في استقطاب العلماء ، وبهذا ازدهرت حركة التأليف ، والتي أدت إلى تكوين كنز كبير من المخطوطات في جميع المجالات ، وبذلك نشأت وانتشرت خزائن المخطوطات عبر ربوع الإقليم ، وقد استخدم الخطاطون أنواعا مختلفة وعديدة من الورق للكتابة وكذلك نجد تنوعا في المداد والأقلام ، وطغى الخط المغربي على الكتابة ، إلا أنه قد لاحظنا أن معظم الخزائن تعاني الإهمال المتعمد أو غير المتعمد للمخطوطات، مما نتج عنه نزيف حاد في هذا الموروث القيم .

- لقد لعبت التجارة دورا كبيرا في تنشيط المبادلات مع الأقطار الخارجية ، مما انعكس على توفر المواد الأولية الضرورية في الصناعات والحرف ، فجلبت القوافل معها من شمال المغرب المعادن كالحديد والنحاس والفضة وكذلك الأخشاب والصوف والقطن وأنواع الكتان ، ومن بلاد السودان جلبت الجلود والذهب ، وبهذا تحولت منطقة توات إلى قطب صناعي وتجاري يربط بين دول المغرب في الشمال وبلاد السودان في الجنوب .

- لقد أدت الحركة التجارية ونشاط القوافل الى نشأة عدة حواضر ، كانت محطات لاستراحة القوافل ثم تحولت إلى مدن بها الصنائع والمحلات التجارية، حيث استقطبت جالية كبيرة من اليهود والذين امتهنوا صناعة الذهب وبيعه، فأصبحت مدينة تمنطيط مابين القرنين 8هـ/ 12م و 10هـ/ 16م من أهم المدن التجارية في الصحراء.

- لقد تميزت المنطقة بتنوع اثني كبير والذي أدى إلى تنوع في اللهجات والألسنة في المنطقة ، فلهجتها إلى اليوم تحمل كلمات ومصطلحات من لغات عديدة كالأمازيغية بنوعيتها الزناتي والتارقي ، وكذلك لغات إفريقيا جنوب الصحراء كالهوسا ، وأيضا بلهجات العرب الحسانيين والبرابيش الخ .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

— القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

— السنة النبوية

1/ المصادر المخطوطة :

1/ البكراوي محمد العالم ، الدرة البهية في الشجرة البكرية ، المخطوط بيد عبد الحميد بكراوي ، تمنطيط ، أدرار د-ت .

2/ البكراوي محمد بن عبد الكريم ، ، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط خزانة أبناء عبد الكبير ، المطارفة ، أدرار د-ت .

3/ الطاهيري ، مولاي أحمد ، نسيم النفحات في ذكر جانب من أخبار توات ، مخطوط خزانة الشاري الطيب ، كوسام ، أدرار د-ت .

4/ المبروك محمد ، "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات" ، مخطوط ، بخزانة أبا سيدي جعفري ، زاوية سيدي حيدة بودة ولاية أدرار د-ت .

2/ المصادر المطبوعة :

1/ ابن أبي زرع علي عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار منصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972

2/ ابن البصال أبو عبد الله ، إبراهيم ، كتاب الفلاح ، عني بشرحه ، خوسيه ماريا ، ميكروسا محمد عزيزان ، مطبعة كرماديس ، تطوان ت المغرب ، 1955 .

3/ ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، د-ت .

4/ ابن أنس ، مالك ، الموطأ ، ج2 ، صححه ورقعه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، عبد الباقي محمد فؤاد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1985 .

5/ ابن حوقل أبو القاسم بن محمد ، صورة الأرض ، طبعة برلين ، ليدن ، 1983 .

6/ ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، إعتنى به أبو صهيب المكرمي، بيت الأفكار الدولية د- ت ص.

7/ ابن بطوطة محمد بن عبد الله ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1980 .

8/ ابن سيدة أبي الحسن ، علي بن إسماعيل ، المخصص ، د- ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، د- ت ، السفر 12.

9/ ابن عذارى أبو العباس أحمد ، بن محمد ، ، المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ج 1) ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بيروت ، 1848- 1851 .

10/ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، المكتبة العلمية (د، ط) بيروت د- ت .

11/ السعدي، عبد الرحمان ، تاريخ السودان ، المطبعة الباريزية لتدريس اللغة العربية ، باريس 1981م .

12/ الإصطخري إبراهيم ، محمد الفارسي ، المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي ، مراجعة محمد شفيق غربال ، 196 .

13/ البطليوسي أبي محمد ، عبد الله ، بن محمد بن السيد ، ، الإقتضاب ، طبعة مزيدة ومنقحة تحقيق مصطفى السقا ، حامد عبد المجيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1996.

14/ التوخي سحنون بن سعيد ، المدونة الكبرى للإمام مالك بن انس الأصبحي ، ج 12، دار صادر ، بيروت ، د- ت.

15/ الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار العام للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1990.

16/ الغزالي أبو محمد، أحياء علوم الدين ، ج2، بقلم بدوي طبانة ، مكتبة ومطبعة كرياضة.

17/ القشتالي عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق د/ عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب ، 1972.

18/ القلقشندي أبي العباس ، أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج2 ، دار الكتاب الخديوية ، القاهرة 1913.

19/ القيرواني أبي زيد عبد الله بن عبد الرحمان ، النوادر والزيادات على مافي المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق ، بوخبزة التطواني ، دار الغرب الإسلامي ، د.ت.

20/ المقري احمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، 1310هـ ، ج2 .

21/ النابلسي عبد الغني، علم الملاحة في علم الفلاحة ، قرأه وعلق عليه ، يحي مراد ، د.ت.

22/ النويري شهاب الدين أحمد بن محمد ، السكندري ، الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، تحقيق عزيز ، سوربال عطية ، داشرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، 1970.

23/ الوزان الحسن ، بن محمد ، وصف إفريقيا ، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي لبنان ، 1983 العياشي ابو سالم ، رحلة العياشي ، ماء الموائد ، الجزء الأول ، تحقيق ، محمد حجي ، طبعة فاس الحجرية ، المغرب ، 1977 م .

24/اليعقوبي أحمد بن يعقوب ، وصف إفريقيا من كتاب البلدان ، تصحيح ونشر هنري بيريس ، 1960 ، ، الجزائر.

25/ رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا ، مج1، القسم الرياضي ، مركز النشر ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، 1405هـ.

26/ مسلم أبو الحسن ، بن الحجاج ، النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق وتصحيح وترقيم وتعليق، فؤاد ، عبد الباقي ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، د.ت.

3/ المراجع :

- 1/ إبراهيم حسن رزاق ، النقابات العمالية ، د، ط ، بغداد 1979.
- 2/ أبو رحاب محمد السيد محمد ، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب فى عصر الأشراف السعديين ، دراسة أثرية معمارية ، دار القاهرة ، 2008.
- 3/ عبد الجواد أحمد توفيق ، تاريخ العمارة فى الفنون الإسلامية ، ج3، المطبعة الحديثة ، القاهرة ، د.ت.
- 4/ الألفي صالح ، الفن الإسلامى أصوله فلسفته مدارسه ، ط2، دار المعارف بمصر القاهرة، 1967 نور الدين ، السمهودي علي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج2، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى " فرع مكة والمدينة المنورة ، ط1، السعودية 2001.
- 5/ الحلوجي عبد الستار ، المخطوط العربى ، مكتبة صباح ، جدة ، 1980 .
- 6/ الجواهري، محمد خيال مهدي ، من تاريخ المكتبات فى البلدان العربية ، دمشق ، 1992.
- 7/ السامرائي قاسم ، علم الإكتناء العربى الإسلامى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ، 2000.
- 8/ السيد أيمن فؤاد ، الكتاب العربى للمخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، مصر ، ج1 ط1 ، 1997.

- 9/ الشافعي فريد ، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب المجلد الأول ، القاهرة ، 1970.
- 10/ الصديق الحاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، مديرية الثقافة ، أدرر ، ط₁ ، 2003.
- 11/ العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية ، منشورات كلية الآداب ، المنوبة ، جامعة تونس (1) .
- 12/ العربي اسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط₁ ، 1983.
- 13/ العربي إسماعيل ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983.
- 14/ العماري ، أحمد ، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب ، منشورات كلية الآداب بفاس ، المغرب ، المغرب 1988.
- 15/ الكروي بديع ديب فؤاد ، أساسيات في كيمياء الأراضي وخصوبتها ، مطبعة خالد بن الوليد ، سوريا ، 1977.
- 16/ المالكي قبيلة ، تاريخ العمارة عبر العصور ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط₁ ، 2007.
- 17/ أونتييموس جان ، الإنسان والمدينة ، تعريب كمال خوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق 1977.
- 18/ النشار السيد السيد ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، 1997 .

19/ المنيف عبد الله بن محمد ، صناعة المخطوط في نجد بين منتصفى القرنين العاشر حتى الرابع عشر الهجريين 1425هـ/2014م .

20/ أمان محمد محمد ، الكتب الإسلامية ، ترجمة سعد بن عبد الله الضيعان ، الرياض ، 1990.

21/ بلحاج معروف ، العمارة الإسلامية ، مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية ، ط¹ ، دار قرطبة ، 2007 .

22/ بكري عبد الحميد ، النبة في تاريخ توات وأعلامها ، دار الطباعة العصرية ، برج الكيفان ، الجزائر، 2010.

23/ بكري عبد الحميد ، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ج¹، وهران ، الجزائر ، 2008.

24/ بن يوسف إبراهيم، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، د-ت.

25/ بوساحة أحمد ، ، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، دار هومة ، الجزائر . 2002 .

26/ بوعزيز يحيى، الطرق والأسواق التجارية في الصحراء الكبرى و تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، الكويت ، مؤسسة الفيلج 1984.

27/ بهنسي عفيف ، الفن الإسلامي ، دار طلاس ، مطبعة الصباح ، ط¹، دمشق 1986م

28/ بهنسي عفيف ، العمارة عبر التاريخ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1987.

29/ توفيق عبد الجواد أحمد ، تاريخ العمارة في الفنون الإسلامية ، ج³، المطبعة الحديثة، القاهرة.

30/ حجي محمد ، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، ط²، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، 1988.

31/ حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، ج⁴، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، 1996.

- 32/ حملاوي علي ، القصر بالجنوب الجزائري مفهومه ومكوناته ، ع 10 ، مطبعة
سومر بئر خادم ، الجزائر ، 1422هـ / 2001.
- 33/ حمودة ، حسن علي ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1972.
- 34/ جعفري أحمد أبا الصالح ، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية
منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2015.
- 35/ دون روس ، المجتمع والمقاومة في الجيوب الشرقية المغربي ، المواجهة المغربية
الإمبريالية الفرنسية ، 1881-1912 ، ترجمة حمد بوحسن ، الرباط ، منشورات زاوية ،
2006 .
- 36/ زبيدي محي الدين ، تاج العروس ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1988.
- 37/ زيادية عبد القادر ، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين ، الجزائر ، 1971.
- 38/ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
لبنان ، 1998.
- 39/ سفندال ، تاريخ الكتاب منذ منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، ترجمة ، محمد
صلاح الدين حلمي ، القاهرة ، 1958.
- 40/ سعيد خير الله ، وراقو بغداد في العصر العباسي ، مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية - 1421هـ.
- 41/ شوحان احمد ، رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث - دراسة - من منشورات
دار الكتاب العربي ، دمشق ، 2001 عبد الصمد واضح ، الصناعات والحرف عند العرب
في العصر الجاهلي ، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،
1402هـ / 1981م.
- 42/ عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الصحراء ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب ،
1967.
- 43/ عبد العزيز سالم ، المغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 .
- 44/ عبد المقصود محمد ، الصخور من المنشأ والتكوين إلى الحضارة والفنون ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007

- 45/ عتريس محمود ، قواعد تخطيط المدن ، بيروت ، د. ت.
- 46/ عدلي هناء محمد ، التمثيل في الفن الإسلامي ، دار الجلال ، مصر ، 2008.
- 47/ عزب خالد ، فقه العمارة الإسلامية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط1، 1977.
- 48/ عثمان محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
- 49/ علي محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، ط2، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د. ت.
- 50/ فادي عبد الحميد ، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة ، بدون دار نشر ، الجزائر ، د. ت.
- 51/ فرج محمود فرج ، إقليم توات بين القرنين 18 و19م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977م .
- 52 / فادي عبد الحميد ، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة ، بدون دار نشر ، الجزائر ، د. ت.
- 53/ فهمي سعد طلال مجذوب ، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1993.
- 54/ فيرون ، ريمون ، الصحراء الكبرى ، ترجمة د/ جمال الناصوري وآخرون ، مؤسسة العرب ، القاهرة ، 1963.
- 55/ قاسم عبد الحكيم عبد الغني ، المذاهب الصوفية ومدارسها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1999.
- 56/ كروم عبد الله ، الرحلات بإقليم توات ، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات ، منشورة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007.
- 57/ لقبال موسى ، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
- 58/ لمي ، صالح مصطفى القباب في العمارة الإسلامية ، بيروت ، د. ت.
- 59/ لوبرن غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبوعة عبي البابي الحلبي وشركائه ، ط4، 1964.

- 60/ لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكي اسكندر ، 1945.
- 61/ لويس ممفورد ، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها ، ترجمه إبراهيم نصحي ج¹، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1964.
- 62/ لينيتكون ، فن صناعة الفخار ، ترجمة عدنان خالد ، منشورات وزارة الإعلامية ، د، ط ، العراق ، 1974.
- 63/ ماهر سعاد ، مساجد من السيرة النبوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987.
- 62/ مؤنس حسين ، المساجد ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، 1981.
- 64/ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، د-ت .
- 65/ نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع ، ط²، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، 2006.
- 66/ نظيف عبد السلام ، الفن الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، د-ت.
- 67/ وزيري يحي ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، القاهرة ، 1993

4/ المقالات والملتقيات والدوريات :

- 1/ الشوبري الطاهر خير الله ، الحرفة وتوابعها ، مجلة المقتطف ، القاهرة ، 1994.
- 2/ الطوبي مصطفى ، المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة العلمية وعلم المخطوطات علم المخطوط العربي بحوث ودراسات ، مجلة الوعي الإسلامي ، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة الكويت ، ط¹، الإصدار التاسع والسبعون ، 2014.

- 3/ المهدي البوعبدلي، "الرباط والفناء في وهران والقبائل الكبرى"، الأصالة ، عدد 13، السنة 3، مطبعة البحث قسنطينة ، 1973.
- 4/ باراشد محمد ، مواد البناء المحلية في وادي حضر موت ، مجلة حضر موت للدراسات والبحوث ، جامعة حضر موت للعلوم والهندسة ، اليمن ع 2، 2002.
- 5/ باقادر عبد القادر ، واقع المخطوط في توات بين الماضي والحاضر ، مجلة الذاكرة ، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الجزائري ، ع 1 ، 2012 .
- 6/ باي محمد بعالم ، على منوال شراج المدينة ، مجلة أعمال المهرجان الثقافي للتعريف بمنطقة توات ، أدرار 1985م.
- 7/ باي محمد بلعالم ، محاضرة بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها ، من اعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1988.
- 8/ بشار قويدر - حساني مختار ، فهرس مخطوطات ولاية أدرار ، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 1999م.
- 9/ بن خويا ادريس - برماتي فاطمة ، خزانة الشيخ مولاي سليمان بن علي بأدرار ، مجلة الذاكرة تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، العدد 2، 2014.
- 10/ بن زيطة احمد ، الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات ، الملتقى الأول للزوايا ، أدرار ، ماي ، 2000.
- 11/ بوبكراوي اسماء ، قراءة وصفية في خزائنة المخطوطات بالمطارفة ولاية أدرار ، مجلة الذاكرة ، تصدر عن جامعة ورقلة ، العدد 5 ، 2015 .
- 12/ جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية ، دليل ولاية أدرار، بمناسبة انعقاد ملتقى الزوايا 2000 .
- 13/ جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية بأدرار، بحث حول الفقارة ، أدرار ، 1992.

- 14/ حملاوي علي ، البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة ، مجلة الآثار ، معهد الآثار ، عدد 7، لسنة 2008.
- 15/ رائق نجم ، مدخل لتعليم العمارة العربية ، المدينة العربية مجلة دورية متخصصة ، تصدرها منظمة المدن العربية ، العدد 39، 1989 .
- 16/ رزوقي عبد الله ، خزائن المخطوطات في منطقة توات - أهميتها وأبعادها التاريخية ، مجلة الحقيقة ، جامعة أدرار ، العدد 9، رقم 2، 2009.
- 17/ زرقة محمد علي ، الأفلاج - القنوات - ، دار الحصاد ، دمشق ، 1999.
- 18/ صادق بلي ، عمان بلاد النخيل والنارجيل ، مجلة العربي ، العدد 346، سبتمبر ، 1987.
- 19/ عبدالستار عثمان ، دور المسلمين فسي صناعة الأقلام ، مجلة الدرة ، عدد 1 ، السنة 11 ، 1985.
- 20/ عبد العال محمد أحمد ، مملكة أودغست الإسلامية ، بحث مقدم للمشاركة في ملتقى الدراسة الإسلامية والغربية بأدرار ، في الفترة ما بين 27 30 نوفمبر 1987
- 21/ عبد العزيز الدولاتي ، المدن العربية التقليدية بين الأصالة والمعاصرة ، المجلة العربية الثقافية ، العدد الأول ، حلب ، 1981.
- 22/ عثمان اسماعيل ، عمارة ومميزات أبواب الموحدين الأثرية برباط الفتح ، مجلة المتحف العربي ، السنة 2، العدد 3، يناير ، فبراير ، مارس ، 1987 .
- 23/ عقاب ، محمد الطيب ، المدخل إلى المسكن العربي بمدينة الجزائر ، المؤتمر العاشر للأثريين العرب ، تلمسان ، الجزائر ، من 15 إلى 18 نوفمبر 1982
- 24/ فرقوتي حنان ، ملاحم من صناعة النسيج عند المسلمين ، مجلة الدارة ، ع 4، السنة 25، 1420.
- 25/ فولتر لوسي ، نباتات الصباغة والنسيج ، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1999

26/ قاجة جمعة ،احمد ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ط¹، دار الملتقى للطباعة والنشر ، دمشق ، 2000.

27/ مولاي أحمد ، خزائن المخطوطات بإقليم توات في الجنوب الجزائري ، خزانتى كوسام وسيدي أحمد ديدي أنموذجاً، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، تصدر عن جامعة وهران ، العدد 9 ، 2009

28/ يمينة عبد المؤمن ، وضيفة المرأة التواتية من خلال نوازل الغنية للبلبالي خلال القرن 13هـ / 19م ، المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد 12، 2015

5/ المذكرات والرسائل الجامعية :

1/ الأمين عمر ، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط ، خلال القرنين (4 - 6 هـ) / (10- 12 م) ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001

2/ الزغلول جهاد غالب مصطفى ، الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة ، رسالة إستكمالية لمتطلبات رسالة الماجستير ، في التاريخ ن تحت إشراف الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، كانون الثاني ، 1994

3/ العيد حاج قويدر ، بيانات وقيود التوثيق في المخطوط العربي - مخطوطات خزائن توات نموذجاً - رسالة دكتراة في علم المكتبات والتوثيق ، قسم علم المكتبات والتوثيق ، جامعة وهران ، 2018

4/ بلحاج ميلود ، الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات ، رسالة دكتراة في التاريخ ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ، جامعة تلمسان ، 2018

5/ بن حمو محمد، ال عمران والعمارة من خلال كتب النوازل بالمغرب الإسلامي - دراسة في فقه العمران والعمارة الإسلامية ، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر 2011

6/ بن سويسى محمد ، العمارة الدينية الإسلامية فى منطقة توات تمنطيط نموذجاً من القرن (6هـ/ 13م - 12هـ/ 19م) ، مذكرة ماجستير فى الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008

7/ بوراس يحيى ، العمارة الدفاعية بوادي ميزاب نموذج قصر بنى يزجن ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر، الجزائر ، 2002

8/ تاوشخت لحسن ، عمران سبلماسة ، من خلال المصادر التاريخية ، والخريطة الأثرية أطروحة دكتراة فى التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، المغرب سنة 2001 / 2002

9/ توختوخ محمد ، الزوايا فى إقليم توات (تيميون ، توات الوسطى ، تيديكلت) ، رسالة الماجستير فى علم الاجتماع المعرفة والمنهجية ، كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2013

10/ حملاوي علي ، قصور منطقة جبال عمور ، (السفح الجنوبي) ، مذكرة دكتوراه دولة ، الجزائر ، 2001

11/ حوتية محمد الصالح ، توات والأزواد خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ميلادى ، رسالة دكتراة فى التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، السنة الجامعية ، 2004

12/ دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثمانى ، دراسة عمرانية أثرية ، رسالة دكتوراه فى الآثار الإسلامية ، ج1، 2010

13/ سالم مصطفى ، الأطلس الأثرى لإقليم الزاب فى العهد الإسلامى (بسكرة نموذجاً) ، مذكرة ماجستير معهد الآثار جامعة الجزائر 2008

14/ عامر جمال سليمان علي ، الحرف والصناعات اليدوية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ماجستير فى حضارات الشرق الأدنى القديم من قسم شبه الجزيرة العربية ، المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم من قسم شبه الجزيرة العربية ، جامعة الزقايق ، مصر ، د-ت

15/ عزوق عبد الكريم ، المعالم الأثرية الإسلامية لبجاية ونواحيها (دراسة أثرية) ، رسالة لنيل شهادة دكتراة فى الآثار الإسلامية 2007

16/ عليق ريحة نابت ، قصر ملوكة دراسة أثرية تاريخية ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2002 حملاوي

17/ لمين إبراهيم ، حامد ، التبادل التجاري بين إقليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافي ، (999هـ / 1317م - 1391 - 1900م) ، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة غرداية ، 2016

18/ مطروج أم الخير ، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2004 ،

6/ القواميس والمعاجم :

1/ الشامي أحمد محمد ، حسب الله السيد ، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات ، إنجليزي ، عربي ، دار المريح للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1988

2/ المعجم العربي الأساسي ، تأليف وإعداد جماعة من اللغويين العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاروس 2002

3/ الموسوعة العربية العالمية ، ج 25 ، ط2 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، 1419هـ / 1999م

4/ الموسوعة العسكرية ، ج4- ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990

5/ أنيس إبراهيم ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، ، إسطنبول ، تركيا ، 1985

6/ بنين احمد شوقي ، الطوبى مصطفى ، معجم مصطلحات المخطوط العربي ، (قاموس كاديكولوجي) ، منشورات الخزانة الحسنية ، ط3 ، مزينة ومنقحة ، الرباط ، 2005

7/ خفاجة جمعة احمد ، موسوعة فن العمارة الإسلامية، الملتقى للطباعة والنشر، بيروت
2000

8/ عمارة محمد ، قاموس المصطلحات الاقتصادية ، في الحضارة الإسلامية ، دار الشروق ،
بيروت ، 1413هـ / 1993م

9/ يوسف توني ، معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي ، 1977

7/ المصادر والمراجع باللغة الفرنسية :

1/ capot Rey , , Grenier domestiques et greniers fortifiés au Sahara
le cas deGourara T,I,R,S ,XIV,1^{er} et 2^{eme} 1957

2/Echallier,j,C,Notule sur une mosquée du Touat in le saharien,
Paris , 1_2 trim 1969

3/Lezine A,Deux ville d'afriqiya,études d'archéologie d'urbanisme
de démographie Sousse,Tunis,Librarie,orientaliste,paul,
Geuthner1971

4/Marouf Nadir,Lecture de l'espace oasien,Edition, Sindbad paris
1980

5/ Martin,les oasis Sahariennes , challamel ,Paris1908

6/ Oliel. Jacop, Le juifau Sahara,CNRS édition,Paris,1994

7/TerrasseH Hisn,Encyclopédie de l'islam,t,III,Novelle
édition,Brill,paris,1971,

8/ DEVORS, le touat étude géographique et médicale ,Institut
,pasteur , Alger 194 Nadir

9/ Saffory, Bernard ,**chronique du Touat,-les reperes pour une
histoire** –c.c.d.s gardaia,algerie,sd

فهرس الخرائط والمخططات والأشكال

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	رقم الصفحة
01	موقع منطقة توات بالنسبة لخارطة الجزائر	20
02	المناطق المشكلة لإقليم توات	21
03	موقع بلدية تامست والتي يقع فيها قصر تامسخت بالنسبة لبلديات أدرار	136

فهرس المخططات

رقم المخطط	عنوان المخطط	رقم الصفحة
01	مخطط عام لمسجد قصر تامسخت	63
02	المخطط العام لزاوية الشيخ لأحمد الرقاد	93
03	المخطط العام لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	112
04	مراحل التطور لأحد قصور توات - قصر تمنطيط	131
05	أحد نماذج قصبات منطقة توات - قصبة ملوكة -	132
06	مخطط عام لقصر تامسخت	139
07	مخطط عام لمنزل الشيخ	156

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	رقم الصفحة
01	أجزاء الفقارة	181
02	مكونات النخلة	219
03	كيفية وضع الأساسات	222
04	كيفية بناء الأساسات	222
05	تقنية بناء العقود	228
06	الطريقة الأولى في بناء السلاالم	229
07	الطريقة الثانية بناء السلاالم	230
08	التسقيف بواسطة أشجار النخيل	232
09	التسقيف بواسطة الحجارة	233
10	الشرفات المسننة	239

فهرس الجداول

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	أهم قصور منطقة قورارة ومواقعها	23
02	أهم قصور منطقة توات توات الأصلية ومواقعها	24
03	فصور منطقة تيديكالت ومواقعها	25
04	اسم القادة المعينين من طرف الدولة السعدية لحكم منطقة توات	42
05	أبعاد مسجد تماسخت	62
06	أبعاد بيت الصلاة	65
07	مقارنة بين وظائف زاويتي الشيخ زواوي وأبي الفضل القرشي ببجاية	81
08	يمثل أسماء القرى والبلديات المقرون اسمها بالزاوية في توات	83
09	يمثل توزيع الزوايا في منطقة توات	86
10	الشيوخ الذين تعاقبوا على الزاوية الكنتية	88
11	الأجزاء المشكلة لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	111
12	أسماء الفقارة حسب مختلف الدول	175
13	تسميات ورموز قياس مياه الفقارة	188
14	المصطلحات المستخدمة في الفقارة	194
15	المكونات الكيميائية للطينة في المنطقة	209
16	خزائن منطقة توات ومواقعها ومؤسسيها	267
17	شيوخ الخزانة البكرية قبل تقسيمها	270
18	الشيوخ الذين تداولوا على الخزانة البكرية فرع الشيخ أحمد ديدي	271
19	بعض الملابس المستخدمة في المنطقة وتعريفها	296

فهرس الصور واللوحات

فهرس الصور

رقم الصفحة	عنوان الصورة	رقم الصورة
64	السقيفة	01
68	المحراب	02
70	المنبر	03
71	الصحن	04
72	السطح	05
74	أحد دعائم بيت الصلاة	06
75	أحد أعمدة بيت الصلاة	07
77	أحد عقود بيت الصلاة	08
94	السقيفة	09
95	القسم الذي بناه الشيخ أحمد الرقاد ويظهر الفناء مع الرواق الوحيد	10
97	السطح	11
110	المظهر الخارجي لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	12
111	أرضية الضريح ويظهر السقف المعدني الحديث	13
146	المزاغل في البرج الذي بجانب المدخل ونلاحظ تقاربها	14
148	الخدق	15
150	مدخل القصر	16
166	المخزن	17
167	الكنيف	18
168	السلم	19
181	عملية حفر وجذب التراب داخل البئر	20
182	فوهات الفقارة وقد بنيت عليها جدران	21
184	قسرية تتفرق منها السواقي	22
185	الساقية	23
186	المياه متجمعة داخل الماجن	24
189	الشفقة	25

26	زمام حديث نسبيا لتقسيم يظهر فيه تحديد نصيب كل واحد من المياه	190
27	سلسلة آبار فقارة بن الطاهر وهي مغطاة بطبقة من الطين	196
28	أحد المواجن تصب فيه ساقية	199
29	بقايا الطوب (قصر تماسخت)	213
30	استعمال الجير في الطلاء	215
31	تقنية البناء بالحجر غير المنتظم	224
32	طريقة المزج	225
33	استخدام الخشب في التسقيف	232
34	نموذج للعقود الصماء - مدخل أحد المنازل قصر تماسخت	236
35	زخرفة بواسطة الخطوط	237
36	استعمال الشرفات المسننة كأداة زخرفية	239
37	خزانة خشبية تحتوي على بعض المخطوطات	273
38	المنسج التقليدي	294
39	تشكيل الفخار بالطابع	300
40	آنية فخارية قبل الحرق والتلوين يظهر عليها رسم هندسي على شكل شمس	301
41	آنية فخارية بعدما حرقت وصبغت باللون الأسود	302
42	سيف تظهر عليه نقوش هندسية	305
43	قرقابو	306

فهرس اللوحات

رقم اللوحة	عنوان اللوحة	رقم الصفحة
01	بلاطات بيت الصلاة	66
02	مداخل مسجد تماسخت	73
03	المظهر الخارجي للزاوية الرقادية	91
04	بلاطات بيت الصلاة للقسم الذي بناه علي بن أحمد الرقاد	96
05	محاريب زاوية الشيخ أحمد الرقاد	98

100	المدخل في زاوية أحمد الرقاد	06
102	الأعمدة في زاوية أحمد الرقاد	07
103	عقود زاوية الشيخ أحمد الرقاد	08
113	الأجزاء المشكلة لضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	09
115	مدخل ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	10
117	القبور داخل ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	11
116	القبة في ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان	12
118	الفتحات والكوات	13
142	الأسوار	14
145	الأبراج	15
151	الساحات	16
152	الشوارع	17
158	المدخل في المنزل	18
159	السقيفة الخارجية والداخلية في منزل الشيخ	19
161	الغرف في منزل الشيخ	20
162	الفتحات الصماء والنافذة	21
164	الفناعات	22
165	المطبخ والفرن	23
169	السطح	24
198	القسريات بفقارة بن الطاهر تيطاوين الشرفاء	25
201	مظاهر نقص مياه الفقارة على الفلاحة	26
207	استعمال الحجارة في البناء - قصر تماسخت -	27
215	استخدام الملاط	28
226	الدعامات والأعمدة	29
238	استخدام الكوات كعنصر زخرفي	30
275	مخطوط شرح لمقدمة العمروسي على مختصر خليل لعبد الغفور الفارسي	31
277	مخطوط الجامع الصغير من حديث البشير النذير محمد بن عبد الواحد بن شعبان التمنيطي	32

33	مخطوط كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة محمد بن عبد القادر الكيلاني الحسني	279
34	بعض المنسوجات في منطقة توات	297
35	بعض الأواني الفخارية	303
36	الحلي الفضية والذهبية التي تزينت بها المرأة التواتية	309
37	أمثلة عن الصناعات الجلدية بالمنطق	312
38	أمثلة عن الصناعة الحجرية	314

فهرس المواضيع

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الشكر	
التقدير	
قائمة المختصرات	
المقدمة	١
الفصل التمهيدي الإطار الطبيعي والتاريخي	17
أولا الإطار الطبيعي	
1/ أصل التسمية	17
2/ الموقع	19
3/ التكوين الجيولوجي	26
4/ التضاريس	27
5/ المناخ	28
6/ الثروة المائية	29
7/ الثروة النباتية والحيوانية	31
ثانيا الإطار التاريخي	32
1/ وصف إقليم توات من خلال المصادر	32
2/ التعمير البشري لإقليم توات	36
ثالثا التركيبة البشرية	45
1/ المجتمع التواتي	45
2/ الطرق التجارية	50
الباب الأول الآثار الثابتة بإقليم توات	
الفصل الأول العمارة الدينية	
أولا المساجد	55
1/ تعريف المسجد	55
2/ عمارة المساجد في منطقة توات	58
3/ نموذج عن المساجد في منطقة توات - قصر تماسخت -	59
أ/ موقع مسجد تماسخت وتاريخ بنائه	60
ب/ الدراسة الوصفية والتحليلية للمسجد	60
ج/ المكونات المعمارية للمسجد	63

72	د/ العناصر المعمارية للمسجد
78	ثانيا الزوايا
78	1/ تعريف الزاوية
80	2/ نشأة الزوايا
82	3/ نشأة الزوايا بمنطقة توات
87	4/ نموذج عن الزوايا في منطقة توات - زاوية احمد الرقاد بزاوية كنتة -
87	أ/ تأسيس الزاوية الرقادية
89	ب/ الدراسة الوصفية التحليلية لزاوية أحمد الرقاد
93	ج/ المكونات المعمارية للزاوية
99	د/ العناصر المعمارية للزاوية
104	ثالثا الأضرحة
104	1/ تعريف الضريح
105	2/ نشأة الأضرحة وتطورها
108	3/ الأضرحة في منطقة توات
108	4/ نموذج من الأضرحة في منطقة توات - ضريح سيدي عمر بن عبد الرحمان -
108	أ/ التعريف بشخصية سيدي عمر بن عبد الرحمان
109	ب/ الموقع
109	ج/ الدراسة الوصفية التحليلية للضريح
114	د/ العناصر المعمارية للضريح
	الفصل الثاني العمارة المدنية والعسكرية
121	1/ تعريف المدينة
124	2/ تعريف القصر
127	3/ العلاقة بين القصر والمدينة
129	4/ القصر والقصبة في العمران الصحراوي
132	5/ أنماط قصور وقصبات منطقة توات
134	6/ نموذج عن قصور منطقة توات - تماسخت -
135	أ/ الموقع الجغرافي لقصر تماسخت
137	ب / أصل التسمية
137	ج/ تاريخ القصر
138	د/ إختيار موقع القصر
138	هـ/ الوصف العمراني
138	1/ المظهر الخارجي
150	2/ المظهر الداخلي
	الفصل الثالث الفقارة

172	1/ تعريف كلمة فقارة
175	2/ تاريخ دخول الفقارة للمنطقة
177	3/ تقنية إنجاز الفقارة
177	أ/ اختيار المكان
178	ب/ توفير اليد العاملة
179	ج/ مباشرة الإنجاز
182	4/ العوامل المؤثرة في عمل الفقارة
183	5/ أجزاء الفقارة
186	6/ نظام كيل وتوزيع المياه في الفقارة
193	7/ المصطلحات المستعملة في الفقارة
194	8/ نموذج من فقارات منطقة توات - فقارة بن الطاهر تيطاوين الشرفاء -
	الفصل الرابع مواد وتقنيات البناء
205	أولا مواد البناء
205	1/ الحجارة
207	2/ الطين
210	3/ الطوب
213	4/ الملاط
215	5/ الجير
216	6/ الخشب
220	ثانيا تقنيات البناء
220	1/ تقنية بناء الأساسات
223	2/ تقنية بناء الجدران
225	3/ تقنية تكسية الجدران
226	4/ تقنية بناء الأعمدة والدعامات
227	5/ تقنية بناء العقود
228	6/ تقنية بناء السلالم
230	7/ تقنية بناء السقوف
234	8/ تقنية بناء القباب
234	9/ تقنية وضع الميازيب
235	10/ تقنية تثبيت الأبواب
235	ثالثا العناصر الزخرفية
236	1/ العقود الصماء
237	2/ الخطوط
238	3/ الكوات

239	4/ الشرفات المسننة
	الباب الثاني الآثار المنقولة في إقليم توات
	الفصل الأول الخزائن والمخطوطات
243	أولا المخطوطات العربية
243	1/ تعريف المخطوط
248	2/ مقومات المخطوط العربي
248	أ/ الكتابة العربية
251	ب/ أدوات الكتابة العربية
251	1/ الأدوات التي يكتب عليها
253	2/ الأدوات التي يكتب بها
255	3/ التراث الفكري
257	ثانيا المخطوطات في إقليم توات
257	1/ المخطوطات بإقليم توات
258	2/ مراحل صناعة المخطوط في المنطقة
258	أ/ مرحلة انتقال وقدم المخطوط
259	ب/ مرحلة الجمع والنسخ
260	ج/ مرحلة التأليف
260	3/ حالة المخطوطات في إقليم توات
261	أ/ العامل الخارجي
261	ب/ العامل الطبيعي
262	ج/ العوامل البشرية
262	ثالثا الخزائن بمنطقة توات
262	1/ تعريف الخزانة
266	2/ خزائن المخطوطات في إقليم توات
268	3/ نموذج من خزائن منطقة توات (الخزانة البكرية - فرع سيدي أحمد ديدي - بتمنيط)
269	أ/ موقع الخزانة البكرية وتاريخ تأسيسها
271	ب/ المشرف الحالي على الخزانة
271	ج/ وصف الخزانة
273	د/ نماذج من مخطوطات الخزانة
	الفصل الثاني الحرف والصناعات
282	1/ تعريف الحرفة والصناعة
282	أ/ الحرفة
283	ب/ الصناعة
284	2/ الحرف والصناعات في الحضارة الإسلامية
288	3/ أنواع الحرف والصناعات في منطقة توات

288	أ/ النسيج
288	1/ تعريفه
290	2/ المواد المستخدمة في النسيج
292	3/ صناعة النسيج
298	ب/ صناعة الفخار
298	1/ تعريفه
299	2/ طريقة صنع الفخار (الفخار الأسود تمنطيط)
304	ج/ الصناعة المعدنية
304	1/ الصناعة الحديدية
307	2/ صناعة الحلي
310	د/ الصناعة الجلدية
313	هـ/ الصناعة الحجرية
315	و/ الصناعة الخشبية
319	خاتمة
323	قائمة المصادر والمراجع
340	فهرس الخرائط والأشكال والمخططات
342	فهرس الجداول
344	فهرس الصور واللوحات